د.محمد بن حامد الغامدي

جامعة الملك فيصل



الماء
يبحث عن إدارة

الماء يبحث عن إدارة



© دار الكفاح للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
علي؛ محمد حامد
الماء يبحث عن إدارة/ محمد حامد علي - الدمام، ١٤٣٤هـ
٢٧٦ص ، ١٤×٢٠سم
ردمك ١-٧٣-٨٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- المقالات العربية أ. العنوان
ديوي ٨١، ١٤٣٤/٧٥٣

رقم الإيداع : ١٤٣٤/٧٥٣
ردمك: ١-٧٣-٨٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨



AL - KIFAH PUBLISHING HOUSE
دار الكفاح للنشر و التوزيع

General Administration :
Dammam - King Khalid St. - Rabie Area
Tel.: 03 8330507 - Fax : 03 8343633

الإدارة العامة :
الدمام - شارع الملك خالد - حي الربيع
تلفون : ٠٣٨٣٣٠٥٠٧ - فاكس : ٠٣٨٣٤٣٦٣٣

E-mail : publishing@kifahprint.com

تصميم الغلاف والاشراف الفني
مركز الكفاح لخدمات المؤلفين
تصميم الغلاف: هشام محيي

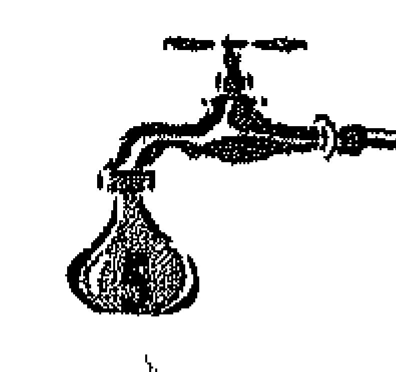
Text Typesetting :
Al-Kifah Printing Press
Printing Finishing
Al-Kifah Printing Press

الصف الضوئي :
مطابع الكفاح
التنفيذ الطباعي
مطابع الكفاح

الماء يبحث عن إدارة

د. محمد بن حامد الغامدي
جامعة الملك فيصل

الطبعة الأولى
١٤٣٤-٢٠١٣



إهداء

إلى الذين يرون الماء حياة وقضيّة

إلى الذين يشربون الماء نعمة ويشكرون

إلى الذين يعرفون قيمة الماء.. لا يسرفون.. لا يهدرون.. يحترمون الماء.. يرون الماء نعمة.. هبة الله.. يعطونها قيمة وأهمية

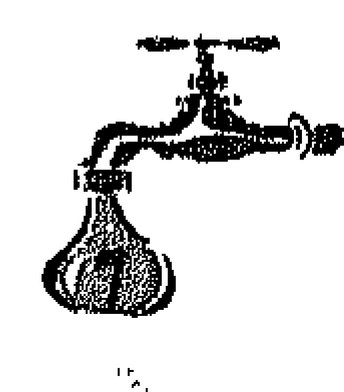
إلى جيل مضى كان يعرف قيمة الماء.. يحافظ على الماء..

يقاتل من أجل الماء

إلى كل الذين يكافحون من أجل الماء

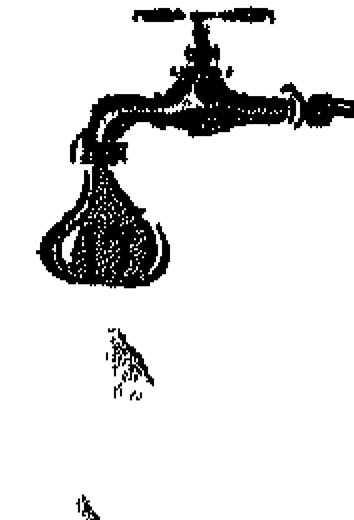
إلى العلماء الذين يقدمون الحقائق عن الماء

إلى كل الذين ناصروا قضيتي وكفاحي عن الماء



المحتوى

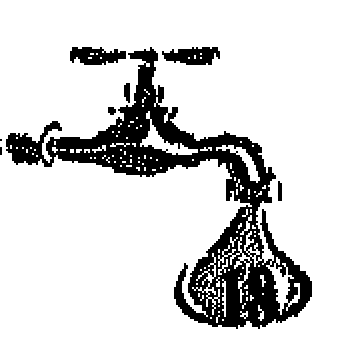




المقدمة

هذا الكتاب نتاج إحساس عظيم بمسئولية المياه الجوفية.. ولهذا الإحساس أساس علمي.. وله آخر من واقع معايشة فعلية.. بهما تكونت ظروف قضية المياه الجوفية لدى المؤلف.. شكلت حدود معاناتها بكل وضوح.. رسمت لنفسها منهجاً وفلسفة لها جذور.. كنتيجة، أصبحت هذه القضية جزءاً لا يتجزأ.. من حياة المؤلف العلمية والعملية.. تشبع بأبعادها إلى أقصى حد.

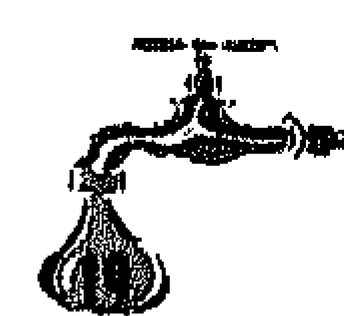
من عاش يوماً «غزارة» مياه ينابيع واحة الأحساء.. يدرك أكثر من غيره.. خطورة استنزاف المياه الجوفية.. بل ويستطيع بشكل أعمق.. فهم أبعاد الدفاع عن المياه الجوفية.. عاش المؤلف ملامح نضوب مياه تلك الينابيع التاريخية.. هكذا تخلّقت نواة قصة قضية المياه الجوفية.. وتشكلت أبعادها عند المؤلف.. من خلال معايشة فعلية.. كان شاهداً على غزارتها.. ثم أصبح شاهداً على نضوبها.. ثم شاهداً ومتتبعاً مسيرة غورها إلى أعماق الأرض.. ثم شاهداً عايش نتائج الهبوط الحاد في مناسيب جميع أنواع المياه الجوفية بالمملكة.. نشاط حرّكه قلق السؤال العلمي وشغف البحث عن الحقيقة.



❣ ملامح مقدمات ذلك الوضع.. شكل نجاح حصولي على إجازة الدكتوراه.. في مجال المياه الجوفية.. كانت مفتاحاً.. فتح الباب على مصراعيه.. وحققت الإجابة على سؤالي الكبير: لماذا كل هذا النضوب.. وبهذه الحدة.. في زمن قياسي قصير؟!.. سؤال فتح أبواب المعرفة التي حرّكت قوى كفاحي ورؤيتي عن المياه الجوفية.. هذا الكتاب كفاح.. يستعرض جهداً.. يوضح أبعاداً لواقع المياه الجوفية في ظل نضوبها.. ليس فقط في واحة الأحساء.. ولكن في جميع مناطق المملكة.. نضوب يصعب تخيله وتصديقه.. واقع جعل المياه الجوفية مشروع مسئولية.. يرويها لكم هذا الكتاب في ملامح بيّنة.

❣ هكذا تشكلت قناعات ذات أبعاد.. أنارت طريق كفاحي عن المياه الجوفية.. الكتاب يحوي خيوط سيرة الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية.. يوثق جور الإنسان وطمعه وجشعه وأنانيته.. جور لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

❣ وعبر مسيرة هذا الكفاح.. كتبت الكثير عن المياه الجوفية.. ونازعت القوم ممارساتهم.. ترافعت بحماس وقوة.. عبر الكثير من المقالات العلمية.. والمحاضرات.. والأبحاث العلمية.. والنّدوات.. والمؤتمرات.. والاجتماعات.. يعرض هذا الكتاب ملامح نتائجها.. من خلال ما كتبته في جريدة اليوم خلال السنين الثماني الماضية.. وهناك غيرها قبل تلك الفترة وبعدها.. وفي مطبوعات أخرى.. أعمل لتجميعها هي الأخرى لتكون شاهداً على كفاحي عن المياه الجوفية.. ولتكون مرجعاً ذا قيمة.. ينبئ بجهد كفاح أعتز به وأفتخر.. كجزء من مسئولياتي لخدمة هذه الأرض المباركة.. وكرد جميل لما بذله وطن

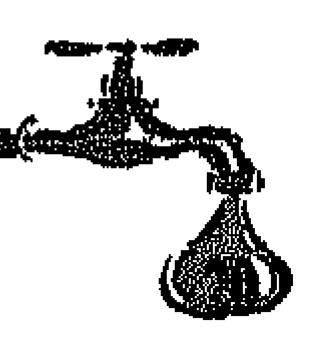


الأمجاد من عطاء.. لتعليمي في جميع المراحل.. وما زال يعطي بفخر.

❢ تم تقسيم أجزاء هذا الكتاب إلى ثماني مراحل.. عناوين كل مرحلة تمثل كفاح المؤلف وجهوده لمصلحة المياه الجوفية.. والتي تم استعراضها في جريدة اليوم فقط.. ابتداء من عام (2005).. حيث احتوى هذا الملف على (6) عناوين.. ثم كان عام (2006).. احتوى على (17) عنواناً.. ثم عام (2007).. احتوى على (12) عنواناً.. ثم عام (2008) احتوى على (9) عناوين.. ثم عام (2009) احتوى على (20) عنواناً.. ثم عام (2010).. احتوى على (14) عنواناً.. ثم عام (2011).. احتوى على (7) عناوين.. وأخيراً كان عام (2012) احتوى على (9) عناوين.

❢ ذلك الكفاح يمثل جهداً ومعاناة وغيرة.. وأيضاً إبراء ذمّة.. عناوين تحمل همّ المياه الجوفية بين سطورها.. وتحمل أيضاً همّ موضوعات أخرى ذات علاقة بهذه المياه.. منها الشأن الزراعي.. والبيئي.. والسدود.. ومياه الأمطار.. هي نسيج مجموع كل العناوين خلال تلك الفترة والتي بلغت (95) عنواناً.

❢ أحمل إيماناً راسخاً.. بأنه لا يمكن لأحد الحكم برأي صائب.. في المشكلات والحلول.. حول أي شيء كان.. ما لم يكن يملك رصيداً من الخبرة العلمية.. ويتمتع بالمعايشة الواعية لواقع الشيء نفسه.. وقد تحقق بعض ذلك للمؤلف بفضل الله وقوته.. وكنتيجة، كان الإحساس العظيم بمسئولية المياه الجوفية.. مسئولية تفيض بحماس الدفاع.. فتحت أبواب العطاء وإلهاماته.. حفزت للمزيد من المعرفة.. وشكلت فهماً أدق للمشكلات والحلول.. ما جعلني أشعر بتميّز النجاح في



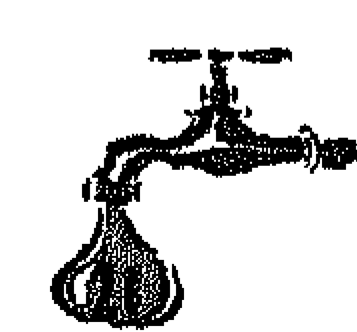
الحماس.. والطرح.. والمتابعة.

- التشبّع بقضية المياه الجوفية.. فجّر الرّؤى والأفكار.. متدفقة لا تتوقف.. زخم أعطى قوة استمرار الكفاح عنها طوال ثلاثة عقود مضت وما زالت.. تميزت بالدقة.. والمصداقية.. وشجاعة الطرح وشفافيته.. الكتاب يحوي موضوعات أشبه بالمرافعات القوية والصادقة.. بطرحها.. مع غيرها.. أمام النّاس خلال تلك السنوات.. أثارت الكثير من الدهشة.. والتساؤلات.. والاهتمام.. وجدل الصدمة.

- هذا الكتاب... تحقيق لرغبات المهتمين.. الذين تابعوا ما كتبته خلال العقود الماضية.. (شكراً لهم).. ينقل لكم قضية المياه الجوفية التي دافعت عنها.. تحمّلت الكثير من أوجاع سهام البعض.. لكن الإيجابيات كانت أكثر من السلبيات.. التفاعل البنّاء يشكل قوة الاستمرار.. السّهام المؤلمة تحولت إلى قوة إقناع وعزم.. لزيادة الحراك لمصلحة المياه الجوفية.. كان لكل شيء فائدة.. إلّا عنصر التجاهل الذي قابلت.. من جهات كان يجب عليها تجنّب التجاهل.. تجاهل الحقائق يقود إلى الوهم وخرافاته.

- أرجو أن يحقق هذا الكتاب الفائدة لمصلحة المياه الجوفية.. هي في النّهاية لمصلحة الحاضر والمستقبل.. ومصلحة الأجيال القادمة.. ولأن الحديث مستمر عن قضية مهمة.. ستجدون بعض التكرار.. كان يجب أن يكون.. بهدف إعلاء كلمة الحق نحو تحقيق حماية المياه الجوفية من النضوب.

- قضية المياه الجوفية أمانة ومسئولية.. وصاحب أي قضية.. لا تجف منابع حديثه عن قضيته.. لكنه دائم الترافع.. يعيد ويكرر.. بما



يعرف ويستنتج ويضيف.. هذا تفسير ما سترونه من معلومات مكررة في بعض المرافعات.. هي مرافعات في أزمنة مختلفة.. كان لكل مرافعة ظرفها الخاص في الطرح.. لكنها تحقق أهداف كفاحي عن المياه الجوفية.. وقد شارفت على نضوب كارثي.

❢ نحن لم نرث المياه الجوفية لكننا مستأمنون عليها.. هذا أفضل شعار لهذا الكتاب.. هو دعوة «خير».. هو دعوة نهي عن «منكر» حلّ بالمياه الجوفية.

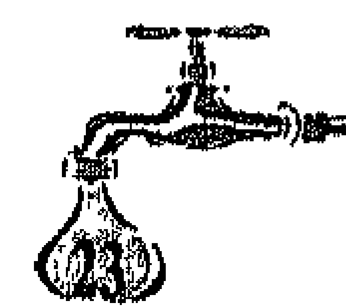
❢ أخيراً... أرجو أن أكون بهذا الجهد.. وهذا الكتاب.. من الأمّة التي قال عنها الله في كتابه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104).

وبالله التوفيق...

المؤلف

الدمام

رمضان -1433 الموافق يوليو/أغسطس 2012



مقالات 2005

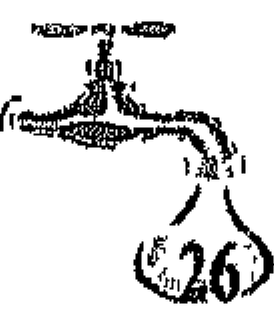
التنبؤات

1

التصحر قادم بمشكلاته ومصائبه ونتائجه المرعبة.. قول يستند لمؤشرات منها: انهيار النظم الزراعية التقليدية.. وخاصة في المناطق الجنوبية من المملكة.. والاستنزاف الجائر للمياه الجوفية.. والتوسع في بناء السدود الخراسانية.. وعدم وجود حماية لموارد المياه.. وتباطؤ سن القوانين والتشريعات المائية.. التي تحمي المياه الجوفية من الاستنزاف.

البعض لم يستوعب خطورة نقص وشح المياه الجوفية على مستقبل الأجيال القادمة.. ما زال هناك بعض التعامي والتجاهل.. وحتى الآن... ما زال الجميع يتطلع إلى قرارات حاسمة وشجاعة.. تحمي المياه من العبث والتبذير.. فهناك سوء إدارة.. وهناك سوء استخدام.. وهناك استنزاف هائل ومدمر لهذا المورد الحيوي.. بجانب قضايا التلوث الخطيرة.

وخير مثال على ذلك واحة الأحساء الشهيرة.. التي كانت غنية عبر تاريخها بالمياه.. حيث أصبح ماؤها الآن غوراً.. بعد أن كانت أرضها ينابيع فوارة بالمياه الغزيرة.. وهذا يرجع إلى جملة من الأسباب الكثيرة.. ومن أهمها كثرة الآبار العشوائية.. التي تم حفرها في الواحة.. حيث تحولت المزارع إلى مراكز ترفيهية.. مهمتها استنزاف



المياه.. بدون حسيب أو رقيب.. إلى جانب سوء تطبيقات الري.

ولكي نوضح أبعاد المشكلة.. لا بد من استعراض تاريخي مختصر عن مياه الأحساء كمثال حي.. يشير إلى عمق مشكلة المياه في المملكة.. حيث تم تسجيل وجود أكثر من 70 عيناً فوارة بالماء.. في بداية القرن الماضي.. كان إنتاج كل عين يتراوح ما بين أقل من متر مكعب إلى 80 متراً مكعباً في الدقيقة.. وكان يقدر مجموع حجم تصريفها من المياه عام 1970.. بأكثر من 250 مليون متر مكعب سنويّاً.

ولكن تقلص عدد هذه العيون إلى أن وصل في عام 1954 إلى حوالي 57 عيناً فوارة.. و مع نهاية 1989 جفت جميع عيون الأحساء قاطبة.. وكانت صدمة لم تتم معالجة نتائجها حتى اليوم.

ومع بداية عام 2000 ..أصبحت مياه هذه العيون على بعد أكثر من 20 متراً تحت سطح الأرض.. بينما كان يرتفع عمود الماء الخارج من فوهة بعض العيون إلى حوالي مترين.. فوق سطح الأرض في شكل نافورة طبيعية.. كان ذلك.. مع بداية السبعينيات من القرن الماضي.. وحاليّاً فإن مستوى الماء ينخفض بشكل حاد.. حيث يزيد مقدار الهبوط في مستوى الماء إلى أكثر من 4 أمتار سنويّاً.. في بعض المواقع.

في عام 1977 كان احتياج الواحة من مياه الري.. يصل إلى 319 مليون متر مكعب سنويّاً.. وارتفع الطلب على المياه في الواحة.. إلى أكثر من 500 مليون متر مكعب سنويّاً مع منتصف 1985.. ثم وصل الطلب إلى أكثر من 700 مليون متر مكعب سنويّاً.. مع نهاية القرن الماضي.

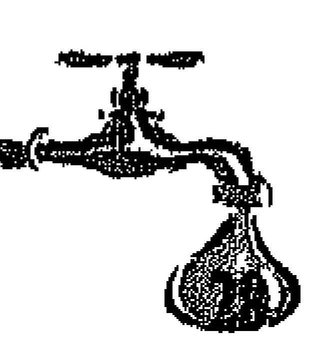
وبسبب العجز في توفير هذه الكمية من المياه.. تم حفر الآبار لمواجهة هذا الطلب المتزايد على المياه.. حيث كان عددها لا يزيد على 5 آبار قبل سنة 1950.. ثم ارتفع العدد إلى 336 بئراً.. ثم ارتفع

العدد ليصل إلى 887 بئراً مع نهاية 1967.. ومع نهاية 1990 .. وصل عدد الآبار في الواحة وحدها إلى أكثر من 10 آلاف بئر.. ويقدر عدد الآبار في الوقت الراهن بحوالي 13 ألف بئر.. في مساحة الواحة التي تقدر بحوالي 8000 هكتار فقط.. بخلاف الآبار العشوائية في المنازل.. كل هذه الآبار.. محفورة على تكوين النيوجين.. الذي كان يعتبر المصدر الرئيس لمياه عيون الأحساء.. بمقدار يزيد على 75%.

ومن الأسباب الرئيسة.. التي ساهمت في نضوب مياه العيون بهذا الشكل المؤلم.. مشروع الري والصرف.. الذي تم تشغيله قبل أكثر من ربع قرن.. بهدف الاستفادة من مياه العيون الفوارة.. إلا أن هذا المشروع.. لم يحقق أهدافه الرئيسة في جميع مراحل تشغيله وحتى اليوم.. بل أصبح أداة لاستنزاف المياه وإهدارها.

لقد وصلت كميات المياه التي تصرف من الواحة حدّاً مخيفاً.. بلغ أكثر من 100 مليون متر مكعب سنويّاً كمياه صرف لا يستفاد منها.. وذلك نتيجة للري الجائر.. حيث كانت تجري هذه المياه في شكل نهر.. إلى أن تصب في ميناء العقير على الخليج العربي.. على بعد أكثر من 60 كم عن الواحة.

وهذا يعني أنه خلال ربع قرن من عمل المشروع.. تم إهدار حوالي 3 مليارات متر مكعب من مياه الأحساء الجوفية.. كمياه صرف لم يتم الاستفادة منها بشكل فاعل.. وهذه كميات مهولة.. كان يمكن توفيرها للأجيال القادمة.. وما زال الهدر والاستنزاف قائمين.. وقد تنقرض المياه الجوفية.. ليس فقط من الأحساء.. ولكن من البلاد ككل.. فهل أصبح الماء مشكلة أمنية؟.. ومتى سيتم تدارك الأمر ومعالجته؟.. كلما طال تأجيل اتخاذ القرار.. أصبحت المشكلات أعقد وأصعب.. ...



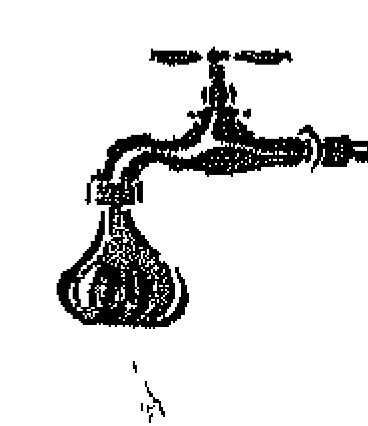
2

تظل المياه هاجساً.. يتطلب المزيد من وضوح الرؤية.. في بلاد تشح فيها المياه.. وندرك.. أننا لم نرث هذا المورد الهام .. فنحن مستأمنون عليه في حاضر الزمان.. وقد كان لزمان مضى.. وسيكون للذين لم يولدوا بعد.. فهل أدينا واجب الأمانة؟.. لا حياة مع الجفاف والعطش.. وقد كانت وستظل هذه الحياة.. قائمة بالقرب من منابع المياه وحولها.

ولأهمية المياه في بلدنا.. أصبح لها وزارة.. ولكنها غير مستقلة.. فكانت وزارة الزراعة والمياه.. ثم أصبحت وزارة المياه.. وتحولت إلى وزارة المياه والكهرباء.. وهذا من سوء حظ المياه.. التي لم تحظ بوزارة مستقلة.. ولكنها دائماً رديف اهتمامات أخرى.

كنت كغيري من المهتمين بالماء.. نتطلع إلى وجود وزارة مستقلة.. حتى لا يطغى جانب على آخر.. وجهود على جهود.. تشتت الاهتمام.. وتعطي الماء شأناً ثانوياً في بعض الحالات.

في المملكة.. المياه الزراعية هي مياه جوفية.. والمياه الجوفية لها شكلان.. مياه متجددة ومياه غير متجددة.. المياه المتجددة تعتمد على مياه الأمطار.. أما المياه غير المتجددة.. فهي مياه مخزونة من العصور المطيرة.. في مستودعات جيولوجية.. في كهوف وأخاديد وفراغات تحت



الأرض.

ومع عصر الإمكانيات.. أصبح من الممكن اختراق طبقات الأرض.. عن طريق حفر الآبار.. وأصبح أيضاً من الممكن.. سحب هذه المياه.. بمضخات عملاقة.. وتوظيفها لأغراض الزراعة والشرب والصناعة.. وتفشت ظاهرة حفر الآبار.. حتى أصبحت عاملاً.. يهدد تلك المستودعات المائية بالجفاف.

والمتابع للأنشطة الإرشادية.. لوزارة المياه والكهرباء.. يجد أن الوزارة لم تعط المياه الزراعية اهتماماً كافياً.. فمعظم نشاطها.. ينصب على مياه الشرب.. التي مصدرها التحلية.. وكانت الحملات الإرشادية.. التي تسعى إلى تثقيف الناس.. بتقليل استهلاكهم من المياه في المنازل.

ورغم أن المياه المحلاة.. مياه مهمة.. ويجب ترشيد استخدامها.. إلا أنها مياه لا تهم الأجيال القادمة.. فهي مياه يمكن التوسع في توفيرها.. وفقاً لنمو الاحتياجات.. رغم كونها مياهاً باهظة الثمن.

أما المياه الجوفية.. فهي مياه تهم الأجيال القادمة.. وهي مياه غير مكلفة.. لأنها مياه موجودة ومخزونة بشكل طبيعي في أعماق الأرض.. ولأنها (ببلاش).. ولا تكلف شيئاً.. مقارنة بمياه التحلية.. فإن الاهتمام بها يقل.. فهي أرخص موجود.. ولكنها أغلى مفقود.

الاهتمام بالمياه الجوفية.. كما يبدو.. ضاع في (الطوشة).. فمع الوزارة القديمة.. كانت الزراعة تتوسع على حساب المياه.. ومع الوزارة الحديثة.. أصبح الاهتمام بها أقل شأناً وأهمية.. مقارنة بما تعطيه الوزارة من اهتمام لمياه التحلية.

ربما.. وأكرر.. (ربما).. لكون وزيرها كان محافظاً لمياه التحلية..

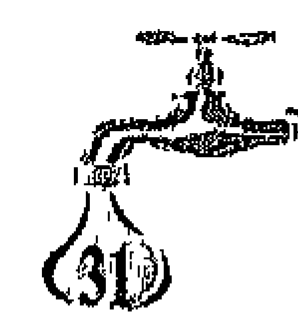
ومتشعباً بهموم مياه التحلية.. وانعكس ذلك على نشاط الوزارة.. رغم أن الاهتمام بمياه التحلية أمر في غاية الأهمية.. وقد ترتقي إلى أن تكون خياراً استراتيجيّاً.. عند التحدث عن مستقبل مياه الشرب في المملكة.

المياه الزراعية.. مياه يجب أن تأخذ اهتماماً وجهداً خاصّاً من الوزارة.. ويجب أن تكون هناك حملات مكثفة.. للسيطرة على كل قطرة ماء جوفية.. ويجب أن يتم سحب هذه المياه.. وفق إستراتيجية واضحة.. توظف الحزم.. بقوة النظام والقانون.. وعلى الجميع.

استنزاف المياه الجوفية.. يشكل خطراً على مستقبل الأجيال القادمة.. فهو ماء وجدناه مخزوناً في أرضنا.. كهدية من الله سبحانه وتعالى.. وهو نعمة.. يجب أن نحسن تعاملنا معها.

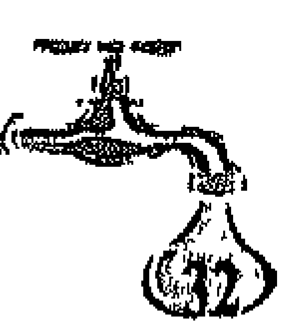
وزارة المياه والكهرباء.. مطالبة بوضع المياه الجوفية تحت مجهرها.. ومطلوب منها سن الأنظمة والقوانين الرادعة.. لتقليل الاستنزاف الصارخ لها.. والسيطرة عليها تتم من خلال السيطرة الكاملة على الآبار.. ومن خلال القضاء على سبل وطرق الري الجائر.. ومن خلال تحديد المحاصيل التي تتم زراعتها.. ومن خلال وسائل نقلها.. ومن خلال إدارة مائية.. تستوعب أهمية أن يتم توظيف كل قطرة في مسارها الصحيح.

المياه الجوفية استنزفت بشكل قاس خلال السنوات الماضية.. بواسطة زراعة القمح والشعير والأعلاف.. وفي بعض المناطق.. أصبح الوضع المائي حرجاً للغاية.. ونتيجة لهذا الاستنزاف الجائر.. غارت المياه في أعماق الأرض.. وبالنظر إلى نمو الاحتياجات المائية الزراعية خلال السنوات القادمة.. نجد أن الطلب على هذه المياه يزداد ولا يتناقص.



ونجد الجميع يبحث عن مصادر جديدة.. ولا يبحث عن تقنين الاستخدام.. الجميع يركض للبحث عن مصادر وموارد جديدة للمياه.. ولا يبحث عن كيفية تقنين الاستفادة من المتاح من هذه المياه.. وحتى في استخدام وسائل الري الحديثة.. التي ندعي أنها توفر الماء.. نجد أنها لا توفر شيئاً.. لأنها تستخدم بشكل جائر لتبديد المياه.. والسبب هو كونها مياهاً بدون ثمن.

وتزداد حيرتنا.. عندما لا تعرف الوزارة مقدار السحب السنوي.. من هذه المياه الجوفية.. وعندما يترك الحبل على الغارب.. للغرف والإهدار.. بدون حساب.. يحدد ما يجب أن يكون.. للسيطرة على كل قطرة ماء. ...



3

♦ الحياة محبوكة بالحكايات والقصص.. ولكن بفعل مد شعار (دبر نفسك).. ساد منهج الضغط والتقزم.. أصبحت الحبكة خلايا مجهرية.. بفعل ندرة الوقت الذي نسمع عنه.. وأيضاً بفعل سرعة إيقاع الحياة.. التي نشعر بها في التحركات الأمريكية.. لم يعد هناك وقت لسرد كامل.. تكفي الصور التي تغني عن الكلام.

♦ ينمو العشب ويتم جزه.. يستمر في النمو من جديد، ويتم جزه.. ينمو وبغزارة من جديد.. هكذا العشب قصة حياة رغم كونه عشباً ضعيفاً.. العشب لا ينتهي بجز الفروع.. حياته في الجذور.

♦ تظل النكتة قصة لبعض الشعوب.. ويظل العلم قصة الشعوب الطموح الشغوف بنجاحها وإنجازاتها، كمتعة لحياتها.. ويظل الإنتاج قصة شعوب القانون والنظام والعدل والمساواة.. ويظل التخلف قصة الشعوب المبهورة بنجاح تقدم الشعوب الأخرى.. ويظل هناك شعوب متخلفة وشعوب أخرى متقدمة.. لكل شعب رسالة.. كنتيجة، تظل الشعوب جميعها تبحث عن إدارة.. البعض يبحث في براميل القمامة العالمية.

♦ ينتشر الجدل كقصة لضياع الوقت وإهداره.. يظل الكنز حبيس الكتب.. يظل الإنسان حبيس الاتجاهات المتوارثة.. ويظل السؤال:

ماذا يمكن أن تحقق اتجاهات الشعوب المتخلفة؟ يظل الإنسان حبيس خصائص شخصيته، وحبيس خصائص مجتمعه، رغم وجود خصائص الهاتف الجوال.

في وجود المدارس والجامعات، هل تغير السلوك ؟ هل تغيرت الاتجاهات؟ هل تغيرت المعلومات؟ هل تغيرت المهارات؟ في انعدام التغيير، يصبح التعليم قصة ضياع.. وهدراً للوقت والجهد والمال.

تغيرت الحصيرة.. تغير الحمار.. تغير البيت والأثاث.. تغيرت الإمكانيات.. تغيرت الطريق.. تغير الناس.. تغير الزمان.. بقي العقل بدون أي تغيير.

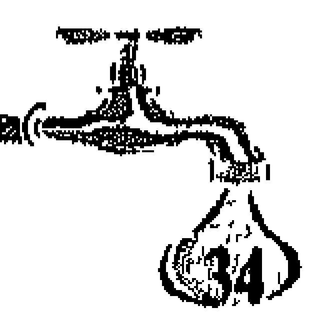
كيف يبقى صامداً؟ كيف يبقى ساكناً؟ كيف يقبل أن يكون مشهداً لعاطفة؟ كيف يقبل أن يكون حملاً ثقيلاً حتى على الطريق؟ الرحيل.. فيه راحة للجميع.

سأله أحدهم: لماذا توقفت عن عطائك العلمي؟ أجاب: علمي لم يعط الفقراء.. لكنه زاد غنى الأغنياء.. سأله: لماذا؟، أجاب: أصبحت موظفاً لدى الأغنياء.

وقف الطالب يلقي موضوع التعبير.. أمسك الورقة، وقال: الحياة إعلان.. قدم الورقة لأستاذه.. عاد إلى مكانه.. وقف الأستاذ مندهشاً.. وقال: أنت راسب.. كال الاتهام ورفع الصوت.. انتهى بطرد الطالب من الفصل.. خرج الطالب.. وفي طريقه قال: هذا هو الإعلان.

تشرح فاطمة معاناة أطفالها بين البيت والمدرسة.. الأهم في حياتها.. هو الهم الأكبر لها.

كتبت اسمها.. لم تنتسب لأبيها.. كتبت اسم أمها وجدها لأمها.. سألوها: لماذا؟.. طفلة صغيرة، عرفت دور أمها وعرفت أيضاً دور



أبيها.. تخلت عن اسم أبيها لأنه طلق أمها.. ولم يتوقف عند هذا الحد، تخلى عن أبوته.. تركها وأمها لظروف القهر والمحن.. انتصرت الطفلة لأمها في المدرسة. بقي السؤال بدون إجابة.

يرى الأشياء ذخيرة ورصاصاً.. بعضهم يحترمها ويعطيها بعداً للبناء والحضارة.. بعضهم يحترمها ويعطيها بعداً للقتل والدمار وتخريب الحضارة.. البناء حياة.. القتل حياة.. للحياة ذخيرة ورصاص.. للموت أيضاً ذخيرة ورصاص.. تبقى الحياة حلوة بين هذا وذاك.

الحضارات مداد لا ينتهي.. لكن الإنسان ينتهي.. ويبقى أيضاً جسداً خالياً من الحضارة.

توقف القتال دون قيد أو شرط.. لم يعد هناك بشر للقتل والدمار.

يأتي النهار بشمسه المشرقة.. يأتي الليل بنجومه وقمره.. البعض لا يرى الشمس ولا يرى النجوم والقمر.. لكنه يرى النهار، ويرى الليل.. يتآكل الإنسان في النهار والليل.. ويستمر النهار والليل.. ويستمر الظلام في الليل والنهار.

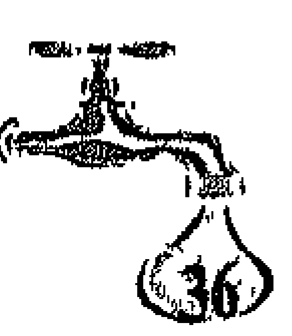
الباب الذي يأتيك بالريح..سده.. واستريح، مثل شائع ومعروف.. مثل يلغي الحلول الأخرى.. ويلغي الأفكار والآراء الأخرى.. البعض يوظفه كإدارة للحياة.. رفعه كشعار، إعلان بوجود عجز بغيض.

رحب بالضيوف، قدم صحون العشاء.. بلحم خراف مطبوخة.. فوق قمم حبات الأرز المشهورة،.. كان حولها سلال الفاكهة، وأقداح الماء واللبن.. لا تهم الخسارة.. لقب (كريم)، أقصى الطموحات.. إنه اللقب السهل الذي يمكن تحقيقه في حياته، كإنجاز.. في حينه، كان طفله يبكي.. يسعى للحصول على ريال لشراء حبة حلوى.. نهره في

غضب، وحبس عنه الريال.. التقتير بساط يفترشه البعض، يستخدمه للطيران في تكريم الآخرين.. يبقى الطفل يبكي حرقة الحاجة.. يكبر، ويعيد للتاريخ حياة أبيه وبنفس الخطوات.

يتعرض لسوء الإدارة ولا يحتج.. يتعرض لسوء الاستخدام ولا يعترض.. يتعرض للاستنزاف الجائر ولا يشتكي.. يتعرض للتلوث وهو صابر.. في غيابه، نقول عنه: أرخص موجود وأغلى مفقود.. ويبقى الماء مفتاح كل حضارة.

اشترى سيارة.. ركبها مزهواً وهو لا يعرف مستقبلها معه.. مات في حادث بسببها.. بقي الورثة يتأملون كومة الحديد التي بقيت لهم.. يسخطونها.. يركبون سياراتهم ويمضون. ....



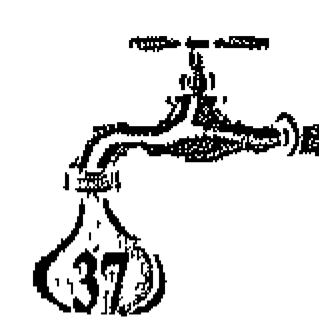
4

تنقضي السنون.. بخسائر مياه لن تعوض.. الإنسان هو الخاسر الوحيد.. مر أكثر من عقد ونصف العقد على جفاف جميع عيون الأحساء.. ما زال البعض يعتقد بوجودها.. ويفاخر بعيونها شعراً ونثراً.. ما زال البعض يتحدث عنها.. كأنهم في كوكب آخر.. حتى الأوراق الرسمية لم تتغير.. لكن الواقع تغير.. أصبح حقيقة مرة.

كانت الأحساء مشهورة بعيونها الفوارة.. ونعلم.. ويعلم (الجن) أيضاً.. أن الرمز (كانت) فعل ماض.. نسي العرب وظيفته.. أهملوه.. (أبقوا) على أمجاد يا عرب أمجاد.. كهتاف (بلاد العرب أوطاني).. اليوم، تعيش الأحساء بدون مياه فوّارة.. بدون عيون.. بدون رؤية تستشعر خطر الجفاف وتتجنبه.

بقي بيت الأوضاع بتناقضات.. أفضت إلى جفاف ونضوب مياه أرض الأحساء.. عبر وسائل الإعلام.. ما زال البعض المؤثر في الرأي (يفاخر) جهلاً بمياه عيون الأحساء.. يروجون لها سياحيّاً.. كنتيجة، أجد نفسي في زاوية أسأل: هل هؤلاء (صاحون)؟

أحدهم سألني: من قال لك إن العيون في الأحساء جفت؟!.. تعجبت لدرجة الصدمة.. قلت: تعتقد أنها دعاية؟.. قال: نعم، ولا يوجد عندنا أزمة مياه.. خرجت من مكتب سعادته أردد أغنية: (يا



غزيل ميل).. كان أحد موظفي وزارة الزراعة والمياه قبل الفصل.. كان يدعي أنه خبير.. ادعى حصوله على أكثر من (30) دورة في أنحاء العالم.. بعد المقابلة، أيقنت أنها دورات (صبوحة خطبها نصيب).. لشم النسيم العالمي.

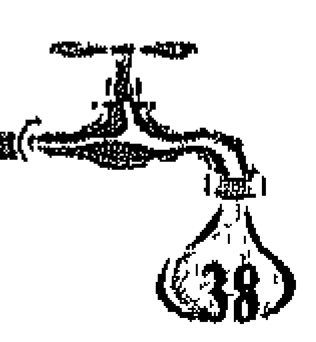
- بقي ماء الأحساء بعيداً عن ناظر الكثيرين.. إلا من خلال تقارير لا تصف الواقع بصدق.. وإن وصفته، تجده ملطخاً بكلمات مثل (عيون الأحساء).. المشهد ما زال يتكرر مع التغني بعين أم سبعة.. وعين الأخدود.. وقد أصبحتا في ذمة التاريخ منذ أكثر من (15) عاماً.. ما زال البعض يعتقد بوجودهما.. حقيقة المياه مغيبة في لغة الكثيرين.

- عيون الأحساء أصبحت في ذمة التاريخ.. المياه نضبت.. منسوبها في تناقص.. مياه الأحساء الجوفية تعاني الاستنزاف.. والإهدار.. وسوء الإدارة.. والاستعمال الجائر.. الاستنزاف يتعاظم.. حفر الآبار مستمر وفي زيادة.. الإهدار لا يتوقف مع برك السباحة في مزارع الترفيه.. مشروع (الري).. عندهم أذن من عجين وأذن من طين.

- هناك عقول عاجزة عن رؤية مستقبل الماء.. هناك إدارة غير مكترثة.. هناك معلومات مغلوطة عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمحمولة جوّاً وبرّاً وبحراً.

- ما زال هناك من يتحدث عن عيون لم يعد لها وجود إلا في المخيلة العربية.. التي تحاول أن تعيد إلى الدنيا حديث السندباد.. فكيف يمكن إعادة المياه إلى منابعها، وقد نضبت؟!

- ويظل الحديث مستمرّاً عن مشروع الري والصرف بالأحساء.. الذي أصبح عند البعض مشروعاً (مقدّساً) لا يحق لي الحديث عنه.. يظل المشروع تساؤلاً محيراً.. مع كل تساؤل يثار عن المياه في الأحساء.



مشروع يعتمد على حفر الآبار.. مشروع يعتمد على استنزاف المخزون الجوفي من المياه.. التي لا يمكن تعويضها.. كل ذلك ليستمر المشروع من أجل التفاخر.. وكتابة تقارير.. تتحدث عن إنجازات تزيد من نضوب المياه سنة بعد أخرى.

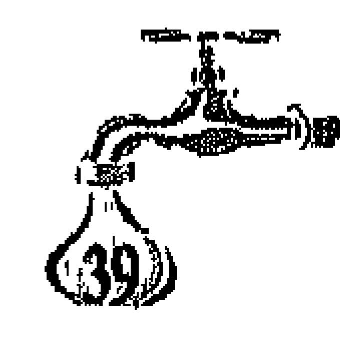
تأتي الأحساء من حيث الكثافة السكانية في المرتبة الثانية بعد الرياض.. السؤال الأهم: أليس أهل الأحساء، جيلاً بعد جيل، أولى بالمياه من نخيلها؟!.. في وقت لم تعد الزراعة والنخيل في الأحساء مصدر الرزق.. ولا (يعوّل) عليها اقتصاديّاً وحتى اجتماعيّاً.. الزراعة أصبحت حملاً.. وعبئاً.. على مياه الأحساء.

الوضع يتطلب إجراء عاجلاً وسريعاً.. حتى لو تطلب القضاء على جميع المزارع.. وتحويلها إلى مخططات سكنية. هذه (دعوة) صريحة لإيقاف مشروع الري.. وإغلاق جميع الآبار التي حُفرت لتعويض مياه العيون التي نضبت.

(أدعو) لتحريم بل وتجريم حفر الآبار.. أن يظل الماء في باطن الأرض كمخزون استراتيجي للأجيال القادمة.. أفضل وأنفع من ضياعه على مزارع الترفيه والوجاهة التاريخية.

مشاهد، ومؤشرات.. استمرارها (ينبئ) بوقوع كارثة مياه قادمة لا محالة.. وقد فاق معدل انخفاض مستوى المياه الجوفية أكثر من مترين سنويّاً خلال الـ (15) سنة الماضية.. وقد كانت تفور بارتفاع مترين فوق السطح.. أليس هذا مؤشراً على أن مياه الأحساء أصبحت غوراً؟!.

الإنسان أهم من نخيل (الخلاص) و(الرزيز).. أهم من حزمة (الفجل) و(الكرات).. أهم من حبات (البامية) و(الأرز) الحساوي..



الذي يزرع بطريقة تدعو إلى الشفقة.. وعلى حساب مصالح مائية مستقبلية مهمة.

نخيل الأحساء تراث زراعي يمكن الاستغناء عنه.. نخيل أصبح عبئاً ثقيلاً على المياه المخزونة بجميع أشكالها.. والحال هذه، لماذا نستنزف المياه الجوفية لري نخيل موته مسألة وقت؟!

وهناك مياه الصرف الصحي المعالج.. الذي يمكن استخدامه.. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.. لكن علينا تقبل أنٍ هناك الكثير من المزارع التي يجب أن تترك لتواجه مصيرها عطشاً.. وهذا مكسب.. للحفاظ على المياه الجوفية لمصلحة الأجيال القادمة. ...

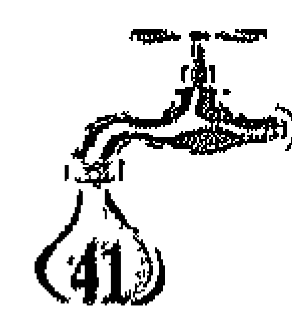
5

بعد وصولي الأول إلى أمريكا.. (اندهشت) لكثرة أمطارهم.. كنت (أتسمر) في (البلكونة) متفرجاً على انهماره.. أحياناً أخرج لأبتل، ثم أعود إلى البيت فرحاً بهذه النعمة.. لم أكن أعرف أن أحدهم كان يراقب.. سألني يوماً: لماذا تخرج في المطر؟.. وعن سر وجودي في البلكونة مع كل (زخة) مطر؟!

تعجبت لملاحظته وفضوله.. وسرني سؤاله.. من منطلق أن الجهل هو الأصل في الإنسان.. قلت: نحن في ديار نصلي من أجل أن ينزل المطر.. نبارك لبعضنا بعضاً نزول المطر.. بلادنا تقع في المناطق الجافة من العالم.

وكنت في قريتي زمان احترام النعم.. أسمع (التبريكات).. وهتاف الشكر لله.. والحمد لله على المطر.. كانوا يقولون: (هنيتم الرحمة).. فيرد الطرف الآخر: (هنينا خير.. لله الحمد).. كانوا يتوجهون (بحلالهم) إلى خارج القرية، في (شعب) قريب لصلاة الاستسقاء.

مع كل هذه الطقوس.. كانت هناك أيضاً حالات من الجفاف، تدمر وتقتل في شبه الجزيرة العربية.. لذلك كانت التجمعات البشرية حول منابع المياه الجوفية.. وأيضاً في المناطق الجبلية المطيرة.. وهذا



يعطي تفسيراً لكثافة سكان مناطق الدرع العربي.. حيث كانت عاصمة المملكة السكانية في العقد السابع من القرن الماضي نقطة بالقرب من مدينة الباحة.

كما هو معروف حتى (للجن) و(العفاريت).. عرفنا أن شبه الجزيرة العربية خالية من البحيرات والأنهار.. وهي المياه التي يسمونها (المياه السطحية)، التي توجد في أجزاء من الأرض العربية.. مثل مصر، والسودان، والعراق المحتلة.. بفعل مد مياه جنون البقر الغربي، في عقول عصابات حكوماته.. التي تسعى إلى حجز مكان للسباحة في نهري دجلة والفرات.. دون خلع الملابس والأحذية.. فشمس الأحداث في المنطقة قادرة على تجفيف كل شيء.. وهذه ميزة تزيد من غلاء مياه العرب وندرتها.

مع انعدام المياه السطحية في أجزاء كبيرة من الوطن العربي.. ومنها بلادنا العزيزة.. تتقلص خيارات وجود المياه.. حيث لم يعد متاحاً غير بطن الأرض وفراغها.. في السماء سحاب يحمل بخار الماء.. لا نعلم هل هو من نصيب أرضنا أم من نصيب الآخرين حولنا؟.. ومع ذلك، تمسك الأجداد بأرضنا ثابتين متفائلين وبكل قدرة وثقة.

ولما كانت البيئة تلعب دوراً مهمّاً في نزول المطر.. أدرك إنسان هذه البلاد، أهمية الاهتمام ببيئته.

وحتى تكتمل (دورة) المطر.. هناك دورة طبيعية للماء.. لها حلقات.. لا بد من اكتمالها حتى يسقط المطر بفضل الله.. في غياب أي حلقة (ينحبس) المطر عن النزول.. (الشجر) من أهم هذه الحلقات.. وأيضاً زخم الزراعة.. كلها عوامل مهمة في المساعدة على (استحلاب) السحاب.. الذي أدركته الأجيال التي مضت.

هكذا (السحاب).. مصدر مهم للماء في بلادنا.. المطر، يعتمد

عليه الكثير من مناطق المملكة.. ولكي تتعاظم كميات هذا المطر.. لا بد من الاهتمام بتشجير تلك المناطق.. (كشرط) لتعظيم الاستفادة من هذه السحب.. التي تحملها الرياح إلى مناطق أخرى بعيدة.. تحقق شروط نزول المطر باكتمال حلقات الدورة المائية.. التي لا تتوقف مدى الدهر كله.

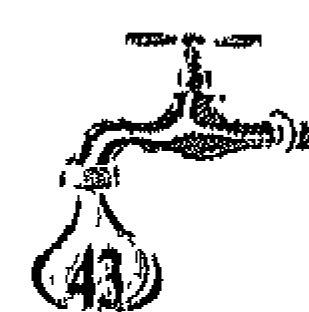
نسأل في ظل الإمكانيات: كم عدد الأشجار التي غرست في جبال الدرع العربي خلال العقود الثلاثة الماضية؟.. لا أحتاج إلى جواب، لأن الموضوع ليس للتحقيق أو الاتهام بالتقصير.. لكن الموضوع للتحفيز والتشجيع.. وأيضاً للفرجة على (خيبتنا) في عدم استغلال الإمكانيات المتاحة الهائلة.. هل أسسنا لشيء للمستقبل.. يمكن أن يكون له دور بيئي كبير في استجلاب السحاب؟

في صغري كنت أرى الاهتمام بالتشجير.. رأيت اللوحات الإرشادية على جوانب الطرق تقدم النصيحة.. تقول: ازرع ولا تقطع.. ثم توقفت تلك اللوحات.. لأن نشاط التشجير توقف.. والاهتمام أيضاً توقف.

كنت أشاهد مشاريع زراعة الأشجار على سفوح الجبال.. والاهتمام بالغابات التقليدية التي شيدها الإنسان.. توقف النشاط.. توقف التشجير.. هل انشغل الجميع بمتابعة تقارير زراعة القمح والشعير والأعلاف.. ومتابعة أخبار زراعة مشاريع الورد والبطاطس الذي نصدره إلى هولندا؟!

هل كان هناك حالة تضحية غير مقصودة بالبيئة.. أضيفت إلى انهيار النظم الزراعية التقليدية، لتعلن بداية زيادة مساحة التصحر؟!

أرى الغابات التي زرعها الأهالي عبر التاريخ.. وقد تقلصت مساحاتها بموت أشجارها، بعد أن (سُحبت) عهدة حمايتها من الأهالي.



عندما أرى ما آلت إليه.. أجد نفسي أردد أغنية (ليش ليش يا جارة).. عندما أشاهد انجراف وتهدم أحواضها الترابية، (الممزوجة) بعرق جيل قديم مضى، أشعر بخيبة أمل.. عندما أشاهد (انجراف) تربة المدرجات، وضياعها للأبد.. أترحم على أجيال كانت تبني للمستقبل.. تؤسس لأجيالها عن طريق حماية البيئة.. وتنميتها وتشجيرها وتوظيف مياه الأمطار لاستمرار حياتها.

اليوم وفي ظل الإمكانيات.. أصبحت مياه الأمطار مهدرة.. وفوق هذا، أصبحت عبئاً، وفيضانات مدمرة لا يستفاد منها.. غياب الرؤية.. هو عقدة النجار. ...

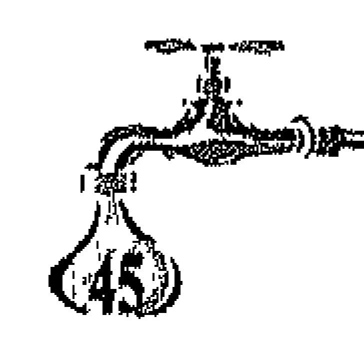
6

♦ المياه الشغل الشاغل للعالم.. هناك من يهدد العطش حياته.. وهناك من يهدد غزارة الماء حياته.. هناك ديار فيها المياه نادرة.. وهناك ديار مكتنزة بكل صنوف المياه.. هناك من يحتفل بقدوم المطر.. وهناك من لا يكترث.. ولكن هناك من لا يدرك أن الماء أرخص موجود وأغلى مفقود.

♦ في بلادنا المياه نادرة، هذا يعني أن المياه كانت وما زالت مصدراً لقلق مشروع.. كان السبب في توجيه الفكر المحلي نحو الاهتمام بهذا المورد المحدود.. للبحث عن مخرج وحل.. فكان نجاح ولادة علم إدارة المياه على يد الآباء والأجداد.

♦ أستطيع القول إنهم أسسوا لعلم إدارة المياه في المناطق الجافة.. نجحت إدارتهم بشكل مكنهم من البقاء على أديم هذه الأرض.. ومن خلال رصدي مهاراتهم في إدارة الماء، وقفت وبفخر على عظمة أجيال مضت.. استطاعت بناء وتشييد المزارع المعلقة على سفوح الجبال، شاهداً على فنون إدارتهم للماء.

♦ ولأن المطر مصدر الماء، امتدت مهاراتهم لصيده، وتجميعه، وتوظيفه بشكل كفء وفعال ورشيد.. هكذا تأسس علمهم في إدارتهم للماء، الذي امتد أيضاً، كجزء من إدارة الماء، إلى إدارة البيئة من



حولهم، لتحقيق أقصى فائدة من مياه الأمطار.

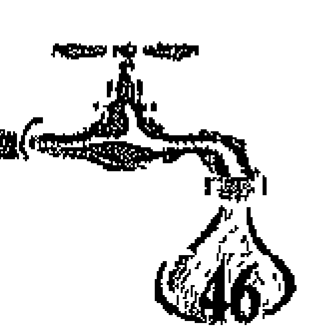
هذا عزز نجاحهم الفائق في تحقيق وتطبيق الزراعة الجافة.. التي مارسوها لدرجة الإبداع، كأحد المنجزات، لإنسان هذه الأرض العربية الشامخة.. نهج أصيل، لسلوك رشيد، لزراعة ناجحة عبر العصور.. حتى وإن كانت محدودة بزراعة الكفاف.

هكذا أعطت إدارة مياه الأمطار ثمار علم الزراعة الجافة، وعلم إدارة البيئة، وعلم تطبيقات الري الذي مارسوه في مناطقهم.. وهي في النهاية، تطبيقات لمهارات تراكمية، مكنتهم من توظيف كل قطرة ماء، ليس لمصلحة الإنسان فقط، ولكن للبيئة من حولهم، وأيضاً لبيئات أخرى بعيدة عنهم.. عن طريق نقلهم المتعمد لمياه الأمطار، عبر شبكات من القنوات الحجرية، التي شيدوها جيلاً بعد جيل.. ما زالت شواهد تلك المهارات قائمة رغم تصدعها، وضياع بعضها إلى الأبد.

كنتيجة لنجاحاتهم، تمكنوا من انتخاب الكثير من المحاصيل الزراعية.. التي تعطي محصولاً بـ(سقيا) ماء واحدة.. أيضاً، استطاعوا رفع كفاءة الري بدرجة تضاهي كل أنواع الري الحديث، ومنها الري بالتنقيط.. وذلك عن طريق نجاحهم في ترويض التربة، وجعلها تربة حية غنية، كأساس للزراعة العضوية كمفهوم حديث، لشيء كان يمارس بشكل طبيعي في ديارنا.

ليس هذا فقط، لكن أيضاً استطاعوا التأسيس للزراعة الوقائية.. التي كانت جزءاً من نشاط سائد في زراعتهم الجافة.

اليوم، يندهش العابر، والسائح، والزائر عندما يرى القرى على سفوح الجبال.. ويسأل: ما هي مقومات الحياة في هذه القرى؟.. كيف كانوا يعيشون؟.. للبحث عن جواب، يصبح الأمر مضنياً، والإجابة صعبة المنال، في ضياع شواهد البناء التاريخية لمهاراتهم المتقنة.



هل يكون السبب في تقاعسنا، وهجر تلك المهارات، وعدم إقدامنا على إيجاد تفسير علمي لممارساتهم الزراعية؟.

تهاوت المهارات، ومعها تهاوت جميع النظم المائية والزراعية والبيئية.. نتيجة لتحول الإنسان المحلي، إلى عوالم أخرى بعيدة، عن واقع الأرض والمناخ والمهارات التقليدية.. ضاعت قبل أن يتم رصدها، كرصيد حضاري محلي، كان يمكن أن يقود إلى الحفاظ عليها وتطويرها.. ما زال الضياع والتهدم مستمرين، رغم الإمكانيات العلمية والمادية المتاحة.

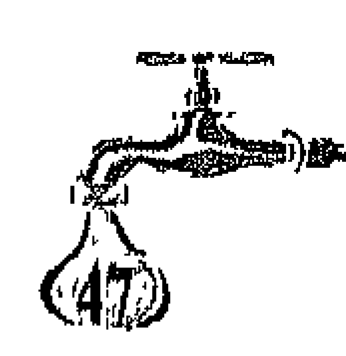
في الحاضر، تنهمر الأمطار.. لتشكل فيضانات مخيفة ومدمرة، يصعب التحكم في سيرها.. ونسأل: لماذا كل هذه النتائج المدمرة لهذه الفيضانات، التي هي استمرار لما كان قبلها عبر السنين؟.. ماذا تغير، والأمطار كانت أكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر؟.

هناك أجوبة كثيرة لدى البعض.. من جهتي، يتلخص الجواب في سوء إدارتنا لمياه الأمطار وسوء إدارتنا للبيئة.

وإذا كنا قد لجأنا إلى السدود في حماية الأرواح والممتلكات.. فإننا لم نعالج المشكلة.. لكننا نتعامل مع النتائج التي تعطي حزماً أخرى من المشكلات، لتصبح سلسلة لن تنتهي إلا بمزيد من الخسائر ومزيد من التخبط.

لا بد من توظيف المهارات التقليدية وإعادة عملها كأساس لإدارة مياه الأمطار.. وهي مهارات يمكن رصدها وتطبيقها أو على الأقل الحفاظ على ما تبقى منها لأجيال قادمة تنتفع بها.

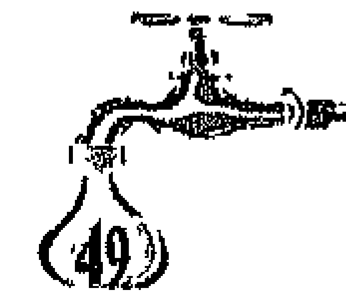
هكذا تحولت مياه الأمطار.. إلى أداة للخراب والدمار والهلاك.. أصبحت مياهاً (سائبة) لا يستفاد منها.



ضاعت المهارات.. فقدنا الكثير منها، إضافة إلى الخبرات المائية.. أصحابها مكتبات.. بموتهم نفقدها إلى الأبد.

ولأننا نتجاهل استيعاب مشكلات ندرة الماء، وأيضاً ما كان يجري وجرى، من تطبيق لمهارات وفنون إدارة وتجميع وتوظيف مياه الأمطار، لجأنا إلى الحل السهل.. الذي يتمثل في السدود.. حل يعلن عجزنا الواضح في إدارة مياه الأمطار والبيئة.

السدود تقليد عديم الفائدة في المناطق الجافة.. شواهد الذين مضوا منّا تثبت ذلك. ...



مقالات 2006



7

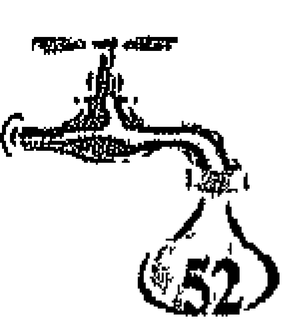
حديثي عن الماء مشروع حياة لن يتوقف.. هناك من يعتقد.. أن الماء مثل الوقت.. نهدره بدون أدنى مسؤولية.. الكل يدرك أن الماء مورد محدود في بلادنا.. ولكن.. هل هذا مجرد كلام بدون تفعيل؟!

هل يبقى الماء شاهداً على الإهدار؟.. هل تدفع الأجيال القادمة فاتورة سوء التعامل مع الماء؟

سبب مقالي اليوم.. ما شاهدته في مدينتي الخبر والدمام.. تم تأسيس (نافورتين) كبيرتين بأعمدة (مسلحة) باسقة.. بـ(أحواض) خرسانية واسعة، لحجز الماء وتجميعه.. يخترقهما أنابيب مستوردة، بـ(مضخات) ذات ماركة عالمية، لـ(دفع) الماء في الهواء.. ليتعرف الجميع على الماء (المهدر) علانية.. وقد لا يدركون ذلك أيضاً.

سيكون الماء العنصر (الأهم) في هذه المجسمات الجمالية.. مثل مجسم (الصدفة) في كورنيش الدمام.. الذي يراه المصمم مجسماً جماليّاً يساعد على السياحة.

يتدفق الماء بقوة غير (مكترثة) إلى الهواء، عبر مخارج في جسم النافورة، لزيادة (مساحة) إهدار الماء.. أيضاً سيعاني تحت (أشعة) الشمس المباشرة.. ليصبح مثل (الدماء) العربية في مواقع حمّامات الدم و(نوافيره) في بعض المواقع على الأرض العربية.



السؤال: مين حـ(يكترث)؟.. من جهتي، الماء (أغلى) حتى من الدماء في أجسادنا، التي (يطالها) البخل، ولا نتبرع بها كمشروع خيري.. لكن قد (تهدر) في الشارع العربي، تحت شعارات كثيرة، أهمها تخليص (الأمة) من الشر.. لكن ماذا عن الماء المهدر علانية؟

الذين تخيلوا (سحب) الماء تنطلق في سماء النافورة.. لا بد أنهم من مدرسة (على دلعونة).. لأن لها إيقاع خرير الماء.. لا بد أن واضعي التصميم، والذين اعتمدوا هذه النوافير، (زاروا) المدن العالمية.. يريدون أن ينقلونا إلى (العالمية) عبر نافورة الماء.. قد يكون لهم أهداف، لم ندركها بعد، لقصور في ثقافتنا (المائية).. نقول: (نورونا جزاكم الله خيراً).. حتى يتم التنوير نقول: يا قلب لا تحزن.. هذا إذا كان للبعض قلوب (تنبض) بالحياة.

تعرف أن الماء ثروة يجب (احترامها) بعدم هدرها.. لكن ادعوا لـ(قلب) (وزير المياه) بالصبر.. عليك يا معالي الوزير ركوب قاطرة النفس الطويل.. حتى تحقق أهداف برنامج الوزارة الإرشادي، الذي (وفر) الملايين.. لكنه لم (يحقق) الوعي، لم يحقق الاكتراث، لم يحقق المسؤولية في رؤوس البعض.. لذلك عمدوا إلى (نشر) خريطة النافورة في الشوارع.. ربما لتخفيف العرق الذي (يتصبب) جراء الزحمة الناتجة عن سوء التخطيط.

يا خسارة (جولات) معاليكم، ويا خسارة جهودكم.. (ليتك تعدي) يا معالي الوزير على (صنابير) المياه التي وضعتها (فروع وزارتكم) بجانب (خزانات) المياه في (الأحياء) المالحة.. لكي (يستقي) الناس من الماء العذب الذي يبحثون عنه، ولا يجدونه إلا في (أسوار) خزانات المياه.. سترى العجب.. كل صنبور عالم (مهمل).. تجد الماء (ينساب) كالنوافير.. ربما يكون (مصمم) النوافير استفاد من إحدى زياراته

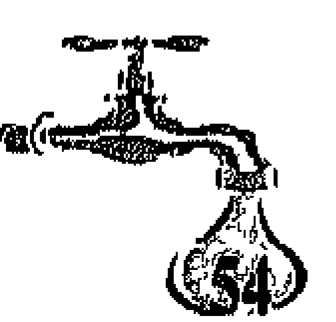
لتلك المواقع، فقرر تعميمها في الشوارع، لأسباب لم نتوصل إليها.

لكن لا مانع من أن نتساءل: هل سـ(يقلص) ماء هذه النوافير درجة حرارة المدينة إلى النصف؟.. هل سيقلص درجات حرارة السيارات في الشوارع؟.. هل ستزيد هذه النوافير (برامج) السياحة؟ هل سيتم (بث) هذه النوافير للعالم، لـ(يرشدهم) إلى أن بلادنا غنية بالماء؟ هل سيكون هناك مسلسل (بدوي) يعتمد في تصويره على هذه النوافير؟ هل (الطاسة) ضائعة؟

لا أستبعد أن تكون مياه هذه النوافير (عذبة) ليتم تلافي الملوحة.. كـ(منهج) اقتصادي، لا بد من التفكير في (مستقبل) صيانة النوافير، بتقليص نفقات الصيانة.. أو ربما تجلب مياه خاصة (مستوردة) للحفاظ على الشفافية، وتكون أيضاً أكثر تعقيماً حتى لا نصاب بـ(أنفلونزا) الجفاف.

بهذه النوافير ضربوا عرض الحائط، بكل دعوات الوزارة لـ(ترشيد) استخدام الماء.. هكذا رفعوا شعار: (على شط بحر النوافير رسيت مراكبنا).. لكن بكل وضوح، (رسيت) مراكب البلاط وتكاليفه، ومراكب الأعمدة المسلحة، وأيضاً مراكب الأنابيب، ومراكب أخرى لا نعلمها.

لا بد أنهم قالوا: كلها (شوية مي).. يعني (إيه) لزوم كل هذا الكلام؟.. لم يسمعوا (مقولتي) الشهيرة: الماء أرخص موجود وأغلى مفقود.. لن يقولوا: (ليش) ما (جيت) يا (دكتور) تتفرج على مخططات النوافير وجمالياتها؟.. لن يقولوا: (ليش) ما تزور مدن (كاني ماني) للتعرف على التقدم والازدهار؟.. لن يقولوا أيضاً: (إش) دخلك؟.. ولن يقولوا: أحد اشتكى لك؟.. لكن (طز).. النوافير حـ(تستمر) غصباً عن (خشمك).. هو القول المتوقع، كالعادة.



(الصحيح) أن هذه النوافير لن تهدر الماء أكثر مما يهدره (أحدنا) في البيت.. لكن محاربة النوافير في الشوارع وتحريمها يبقى (رمزاً) مهمّاً لـ(احترام) الماء.. يبقى رمزاً مهمّاً لـ(أهمية) توفيره، ولأهمية (ترشيده).

هل يتوقف (بناء) النوافير في شوارع البلد؟.. (عيب) أن يكون هناك (نافورة) واحدة، في بلد بحاجة إلى كل (قطرة) ماء.. يظل السؤال الكبير قائما: متى نحترم الماء؟! ...

8

♦ لا شك أن أجزاءً من العالم.. تعاني تزايد شح الماء.. هناك مناطق تصحرت تماماً.. هناك بحيرات جفت تماماً.. هناك أنهار وجداول مائية لم يعد لها وجود.. أو أنها جفت في بعض مناطقها.. هناك مناطق يعاني أهلها الجفاف وشح الماء.. إلى درجة أصبحت معها الحياة والبيئة مهددة بالموت.

♦ هناك عوامل كثيرة.. استمرارها يعمل على (تفاقم) مشكلة ندرة المياه (الحلوة) الصالحة لـ(الشرب).. معها أصبح (المهتمون) يعيشون هاجس الخوف من (العطش).. من المؤكد.. أن منسوب مياه البحار في ارتفاع مستمر.. بيّنت بعض الدراسات أن مياه البحار سترتفع إلى أكثر من المتر في بعض مناطق العالم بحلول 2050... نتيجة لارتفاع درجة الحرارة على الأرض.. الأمر الذي يعمل على (ذوبان) جليد المناطق المتجمدة.

♦ كنتيجة، سنجد بعض مناطق العالم غارقة في المياه (المالحة).. هذا سيزيد من (معاناة) الناس في الحصول على مياه حلوة صالحة لـ(الشرب).. حيث ستطغى مياه البحر المالحة على (المياه الجوفية العذبة) القريبة من هذه البحار.. هذا يعني مزيداً من شح المياه و(ندرتها) على مستوى العالم.. هذا يخلق مزيداً من (القلق) على الماء.

♦ هناك (الملوثات) التي تنتشر بشكل متزايد.. وهي ملوثات متعددة الأشكال والألوان.. بجانب الملوثات الغازية.. هناك الملوثات

السائلة.. وهناك الملوثات الصلبة.. جميعها تعمل على تزايد (شح) وندرة المياه الحلوة الصالحة لـ(الشرب).. الملوثات تعمل على(إفساد) المياه بجميع أشكالها وأنواعها.. بما فيها مياه الأمطار.

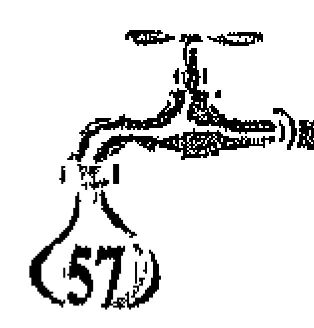
حيث تحولت في بعض المناطق من العالم.. إلى (أمطار حمضية) قاتلة حتى لـ(الكائنات) الحية.. فهناك بحيرات انقرضت الحياة فيها.. أصبحت مياهها حمضية قاتلة.. هناك غابات (ماتت) أشجارها واقفة، بفعل هذه الأمطارٍ الحمضية، الناتجة عن ملوثات الصناعة في العالم.. هذا يخلق مزيداً من القلق على الماء.

هناك أيضاً عامل ارتفاع مستوى المعيشة، في بعض مناطق العالم.. وهو عامل (يحفز) أيضاً على زيادة استهلاك الماء بشكل أقرب إلى (التبذير) منه إلى التوفير.. كمثال نجد أن معدل استهلاك الفرد في أمريكا يزيد على (550) لتراً في اليوم.. وفي بعض الدول الأوروبية يزيد على (250) لتراً في اليوم.. لكنه يصل إلى أقل من (30) لتراً في اليوم في بعض الدول الأفريقية.. وفي المملكة يصل إلى (300) لتر في اليوم، وقد يزيد.. وهذا يخلق مزيداً من القلق على الماء.

هناك أيضاً عامل (التصحر).. الذي يؤجج المشكلات المائية ويفاقمها في كثير من أجزاء العالم.. وهذا التصحر، نتيجة للأنشطة البشرية (الجائرة) على البيئة.. معها تنكشف التربة و(تتعرى) من الغطاء النباتي.. هذا يقود إلى (انحباس) الأمطار عن النزول.. مما يزيد معاناة الناس.

أيضاً تصبح مياه الأمطار (المتسربة) إلى باطن الأرض في تناقص مستمر.. معها تقل مستويات المياه الجوفية.. و(تنساب) مياه الأمطار إلى البحار بشكل أكبر.. وأيضاً يزيد (تبخر) المياه السطحية، نتيجة لارتفاع درجات الحرارة.. هذا يخلق مزيداً من القلق على الماء.

هكذا الأمر.. وقد أصبحت المياه العذبة مهددة بالتناقص، والزوال،



والتلوث.. وأيضاً في ظل الطلب المتزايد على المياه الصالحة للشرب.. يزيد القلق عاما بعد آخر.. وذلك مع زيادة عدد سكان الكرة الأرضية.

- حيث زاد العدد من ملياري نسمة إلى (6) مليارات نسمة خلال الـ (70) سنة الماضية.. وتوضح بعض الدراسات.. أن نصفهم سيتعرض إلى نقص (حاد) في المياه بحلول (2025).. وهذا أيضا يخلق مزيداً من القلق على الماء .

- ولكن إلى أي (مدى) وصل القلق في المملكة العربية السعودية؟!.. يمكن قياس القلق بعدة معايير.. أبسطها بالنسبة لـ(كاتبكم) بعض المؤشرات التي في وجودها يمكن القول إن القلق على الماء ما زال بعيدا عن (التأثير) الإيجابي للحفاظ على المياه.

- مع هذه المؤشرات كان يجب أن يكون القلق مسيطراً على كل فرد.. لكن أستبعد أن يكون هناك مثل هذا القلق الفاعل.

- وجود القلق يدل على وعي بـ(أهمية) الماء.. على معرفة مرغوبة بـ(ندرته).. وأيضا على اطلاع بـ(محاذير) هذه الندرة.. الأهم على وجود استشعار (بخطر) تأثير ندرة المياه على الحياة في المملكة.

- في ظل المؤشرات الحالية أستطيع القول إن القلق على الماء إن وجد فهو مظهر من مظاهر (التباهي) بوجود هذا القلق، لكن دون تفعيل.

- القلق على المياه ظاهرة صحية مرغوبة ومطلوبة.. تدل على اهتمام بهذا المورد الهام والنادر.. في النهاية: القلق على الماء، قلق مشروع.. يجب زرعه في نفس كل مواطن، بطرق كثيرة منها (التوعية) المستمرة.

- الإنسان عندما يقلق على صحته.. فإنه كنتيجة، سيهتم بها.. عندما يقلق على تعليم أبنائه.. فإنه كنتيجة، سيركز الاهتمام على نجاحهم وتفوقهم.. هذا ما يقع أيضاً على الماء.. لكن متى نصل إلى مرحلة احترام الماء؟!.....

9

نأمل نشر هذا الموضوع.. لمن يهمه الأمر من المسئولين.. حفظهم الله.. حيث إننا أصحاب البادية.. عندنا مواش من إبل وغنم.. وجرى توزيع المراعي.. إلى المزارع الكائنة في غرب مطار الملك فهد بالدمام.. حيث إنها مراع.. إلا أنها وزعت مزارع للمواطنين.. وهذا أضر بنا.. حيث إنها تعتبر مراعي جيدة.

جزء من شكوى بجريدة اليوم.. العدد (11981).. أرسلها مواطن، يواصل شكواه: (وإن هذه الأراضي وضع عليها شبك.. حيث إنه لم يعد بقدرتنا الاستفادة منها.. ولكم تحياتنا).

لاحظوا بساطة وبلاغة الشكوى وقلة كلماتها.. شكوى، (تحمل) معاناة.. شكوى، هل تحتاج إلى مؤلفات لـ(إثبات) أن المراعي أهم من المزارع في هذه المنطقة؟!.. شكوى، تثير (حزمة) تساؤلات.. السؤال الأهم: لماذا تم اختيار المنطقة غرب المطار و(تقطيعها) وتوزيعها كـ(أراضٍ) زراعية؟!.

تذكرت شائعة قبل أكثر من (15) سنة.. وقتها (سمعت) عن فكرة توزيع المنطقة إلى مزارع.. كان السبب خلف الفكرة، حماية المطار من (زحف الرمال).. لم أصدق (الشائعة).. لكنها تحولت أخيراً إلى (حقيقة).. هل كان هناك (حبكة) شاركت وزارة الزراعة

في نسج خيوطها؟!.. أم أن وزارة الزراعة (أكلت) المقلب؟!.. هل كان (اجتهاداً) تجاوز كل المحاذير المعلنة؟!.

من يصدق أن يتم (تحميل) المواطنين (عناء و أعباء) استصلاح هذه الأراضي البور لـ(حماية) المطار؟!.. إنه عمل من نتائجه الحتمية (استنزاف) أموال الناس بدون نتائج زراعية ناجحة.. أموال سيتم (حرقها) في آمال غير مجدية على المدى الطويل وحتى المدى القصير.. أموال وجهود لن تنجح في جعل هذه (الطعوس) الرملية المتحركة مزارع نموذجية..

هناك (أدلّة) تشير إلى كونها فكرة (مجنونة)، وغير مدروسة، وتقود إلى (معاناة) ونتائج لها عواقب غير حميدة.. هناك (دروس) واضحة من تجارب سابقة.

بعض الجهات لا تتعلم من الدروس، وتتجاهل المحاذير، كـ(وزارة الزراعة).. نتحدث عن ترشيد المياه.. نتحدث عن استنزاف المياه الجوفية.. نتحدث عن خطورة الوضع المائي للمملكة.. ثم تستمر وزارة الزراعة في تخبطها بـ(منح) الأراضي البور لـ(زراعتها).

نسأل: هل (تطالعون) مجلدات خطط التنمية، وما تحمله من (تحذيرات وتوصيات)؟!.. من سـ(يمنح) تراخيص حفر الآبار؟!.. هل هي وزارة الزراعة؟!.. أم وزارة المياه؟!.. أم وزارة الصحة؟!.. أم مصلحة البريد؟!.. هل درستم وضع المياه الجوفية في المنطقة؟!.. كم (بئراً) سيتم حفرها؟!.. هل فكرتم في (قربها) من البحر؟!

هل سيكون مستقبلها (مالحاً) كـ(ماء) البحر؟!.. وهو القريب الذي بفعل الاستنزاف الجائر سـ(يتسرب) ليحل محل المياه المستنزفة؟!.. (عيب) يا وزارة الزراعة.. إذا كان هذا ليس (ضحكاً) على المواطنين.. فماذا يمكن تسميته؟!

هذه الشكوى لا (تعني) وزارة الزراعة، فهي (مشغولة) بحسابات (استنزاف) المياه الجوفية.. مشغولة بمواصلة (اجتهاداتها) التي لا تعرف عواقبها.. وهي التي (أخضعت) مستقبل المياه في المملكة لـ(اجتهادات) غير موفقة.. وهي التي بـ(اجتهاداتها) جففت أعماق المملكة بـ(مشاريعها) غير المدروسة في زراعة القمح والشعير والأعلاف.

إضافة إلى إنفاقها أكثر من (100) مليار ريال على هذه المشاريع.. النتيجة جفاف وزراعة فاشلة، وخسائر لا مبرر لها.. لا نريد أن نسأل عن سبب (غياب التخطيط) في وزارة الزراعة؟!

في المملكة تجارب ناجحة، كان يمكن توظيفها لـ(حماية) المطار و(تثبيت) الكثبان الرملية، وأيضاً (بقاء) هذه المنطقة مساحة (رعي) لـ(مربي) الإبل والأغنام.

نعم هناك مشاريع كان لها سمعة عالمية جيدة.. لكن وزارة الزراعة (تناستها).. قضت على خبراتها وتجاربها.. هل كان (اجتهاداً) أيضاً؟!.. هل كان بسبب انشغالها باحتفالات نجاحها (الوهمي) الذي قاد إلى جفاف المياه الجوفية واستنزافها؟!

نسيت هذه الوزارة (قصة نجاح) رجالها الأوائل.. الذين كانوا خلف نجاح مشروع حجز الرمال في الأحساء.. تأسس لحماية واحة الأحساء من زحف الرمال بزراعة (10) ملايين شجرة، في شكل أحزمة حول الواحة.. وتمتد لمسافات طويلة.

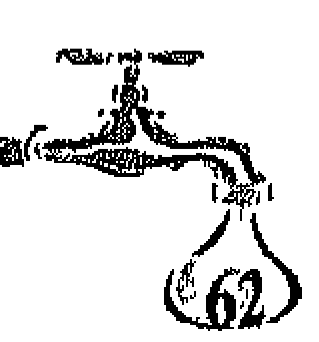
بعد نجاح المشروع، تحول بفعل مد (الاجتهاد) إلى منتزه وطني، يقطع الأشجار ويجتثها، ويزرع بدلاً منها حشائش (النجيلة)، وشجيرات (مزركشة) لـ(الزينة).. لا تخدم البيئة، لكنها أصبحت جزءاً من (استنزاف) مياه الأحساء الجوفية.

كان يمكن (إعادة) فكرة مشروع حجز الرمال في المنطقة غرب المطار.. عن طريق زراعة أحزمة من الأشجار حول المطار.. و(بدون ري).. هناك طريقة (الزراعة الجافة) التي أثبت الرجال في مشروع حجز الرمال قبل أكثر من أربعة عقود نجاحها في محافظة الأحساء.

كان يمكن الاستعانة بالخبرات السعودية، التي (تقاعدت) وهي تحمل (غصة) ضياع مشروع حجز الرمال.. وضياع تاريخه وتجاربه.. كان يمكن (الإبقاء) على المراعي وأيضاً حماية المطار.

لكنها حالة، هل تدل على قصور في الرؤية، وقصور في التخطيط، وقصور في فهم الواقع؟!.. وأيضاً هل تدل على تخبط؟!.. وأيضاً تجاهل (توصيات) خطط التنمية عبر السنين الماضية؟!

أخيراً، لصاحب الشكوى نقول: تحياتكم وصلت.. وشكراً.. ....



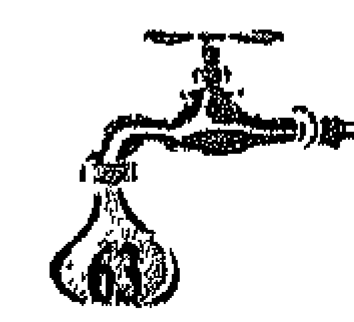
10

يظل مستقبل الماء.. كغيره.. في علم الغيب.. لكن كبشر .. لنا حق بناء رؤية المستقبل.. اعتماداً في بعضها.. على مؤشرات الواقع.. التي تعطي حق استخلاص التوقعات المستقبلية.. وهي ليست ضرباً من التنجيم.. لكنه علم.. حتى لا يقول البعض بتقولي على الله.. نقيس بمؤشرات الفعل أمامنا.. أما الغيب فعند علام الغيوب.

(اعقلها وتوكل).. هكذا يكون منطق العقل.. هناك توجيه رباني بعدم رمي النفس في المهالك.. هناك توجيهات بعدم الإفساد في الأرض..فساداً أخلاقيّاً أو فساداً بيئيّاً.. كل شيء خلقه الله في هذا الكون بشكل متوازن.. الإنسان بجشعه وطمعه وفساده وإفساده يخل بالتوازن ليكون الخطر حتى على الأجيال التي لم تولد بعد.

إلى الحديث عن مستقبل الماء في المملكة.. الذي يخضع لمعايير متعددة . أستطيع القول في ظل المعطيات والمؤشرات: إن مستقبل الماء في المملكة كارثة، يهدد الحياة بخطر عظيم.

هناك الطلب المتزايد على الماء.. هناك الاستنزاف الجائر.. هناك سوء الاستخدام.. هناك سوء إدارة الماء.. هناك أيضاً تلوث الماء.. بالإضافة إلى انتشار التصحر الذي يتسبب في انحباس ماء الأمطار.. وأيضاً انهيار النظم الزراعية التقليدية.



- هناك توسع زراعي أفقي غير مدروس.. ومع تجاهل أو جهل البعض، تمارس تلك المؤشرات (عيني عينك).. بل نجدها في زيادة مستمرة، رغم الكثير من دعوات وقف الممارسات المضرة.. البعض للأسف يرفع شعار: (أذن من طين.. وأذن من عجين).

- الحديث عن الاستنزاف الجائر، يدعو إلى التساؤل: كم عدد الآبار التي تم حفرها في جميع مناطق الصخور الرسوبية؟!.. (مناطق المياه الجوفية غير المتجددة).. ليس هذا فقط، لكن كم عدد الآبار في كل حوض من الأحواض الحاملة للمياه في هذه المناطق؟!.. كم المسافة بين كل بئر وأخرى؟! كم عدد الآبار العشوائية؟! ماذا عن مواصفات حفر الآبار؟!

- حتى تقارير الوزارات المعنية، لا تعلن عن عدد الآبار في المملكة.. لجهل بعددها، أو لكثرتها يرفعون شعار (السكوت من ذهب)... وكان عدد هذه الآبار، المصرح بحفرها رسمياً، يزيد على (100) ألف بئر عام 1985.. هذا بخلاف الآبار العشوائية.. وأيضاً بخلاف الآبار في مناطق الدرع العربي.

- طل علينا هلال شح الماء منذ وقت طويل.. ومن خلال توصيات خطط التنمية التي حذرت ونبهت ..لكن؟!.. إذا كان الماء هو الحياة نفسها.. كيف يمكن لنا التراخي في الحفاظ عليه؟!

- المملكة أمام تحديات أراها مرعبة وصعبة.. السؤال: كيف يمكن تقليص نتائجها الضارة؟!.. كيف يمكن التعامل مع تحدياتها؟!.. كيف يمكن تجنب مواجهة الموت عطشاً؟!

- سنوات سابقة، انقضت بخيرها وشرها وأيضاً نتائجها على الماء.. لكن، ماذا عن المرحلة التي نعيشها؟!.. ماذا عن المرحلة القادمة؟!

كحقيقة، لا بد من جعل الماء معادلاً للروح في الأهمية.. هذا يعني العمل بشكل حازم وصارم ورشيد.. على إجبار الجميع على احترام الماء.. والعمل على إيقاف نزيفه اليومي المؤلم.

مستقبل الماء في المملكة.. في جزء منه: يتوقف على أن يؤخذ عنصر الماء بجدية لا مثيل لها في التاريخ.. لمواجهة نار العطش والجفاف.. يجب أن يؤخذ الماء بعين الجدية في مسارات أي تنمية اقتصادية واجتماعية.. وحتى قبل التفكير في مسارات هذه التنمية.

مستقبل الماء في جزء منه: أن تكون هناك قوانين وأنظمة رشيدة وفاعلة.. أن تكون هناك أجهزة رقابية صارمة، تحمي المياه من العبث والإهدار.. أن تكون هناك أجهزة تعمل لإيقاف نزيف الماء من باطن الأرض.. أن تكون هناك أجهزة تعمل لإدارة الماء بشكل رشيد وصارم.. أن تكون هناك أجهزة تعمل لوقف الإهدار وتعمل أيضاً لترشيد استخدام كل قطرة في مسار صحيح ومفيد.

مستقبل الماء وفي جزء منه: يتوقف على وقف حفر الآبار العشوائي.. في جميع مناطق المملكة، خاصة في مناطق الدرع العربي.. حيث تعاني من مد طوفان حفر الآبار الأنبوبية.. يجب وبشكل عاجل العمل على ردمها بالخرسانة، بل وعلى تحريمها.. وتجريمها.. إنها تعمل على تسرب المياه الجوفية المتجددة إلى أعماق أبعد، وبالتالي ضياعها في باطن الأرض.

هذه مصيبة انعكست حالياً على مستويات المياه الجوفية.. بسببها أصبحت مياهنا الجوفية غوراً بعيد المنال.. هذه الآبار تخترق الطبقات التي تحجز المياه الجوفية أعلاها، كنتيجة، تتسرب المياه من خلال الآبار إلى أعماق أبعد.

مستقبل الماء وفي جزء منه: يتوقف على تنمية الموارد المائية المتاحة.. خاصة استغلال مياه الأمطار.. بطرق رشيدة.. لتغذية المياه الجوفية.. مع استمرار البحث عن مصادر جديدة.. بجانب تنمية المصادر الحالية.

لكن هل المستقبل في ظل المعطيات الحالية، يشجع على اختيار (التحلية) لمياه البحر كخيار استراتيجي، لتوفير مياه الشرب؟!.. وإذا كان الأمر كذلك.. فهل يقبل العقلاء أن تستمر معطيات ضياع المياه الجوفية الصالحة للشرب؟! ...

11

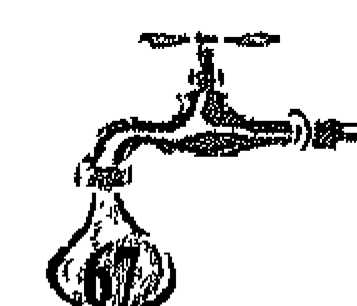
- في الطريق إلى الرياض.. للمشاركة في الندوة الأولى.. لإدارة وتشغيل السدود في المملكة.. بعد تلقي دعوة للمشاركة بورقة عمل من سعادة وكيل وزارة المياه.. باركت الدعوة.. قدمت ورقة عمل بعنوان: بدائل السدود في المناطق الجافة.. كما ترون.. ليس لها أي علاقة بعنوان الندوة.. لكنها جزء من جسم الندوة بتاريخ 18-1427/4/19.

- إلى مطار الدمام.. بسيارتي التي تحتاج إلى (ندوة) لكثرة مشكلاتها.. لكنها (تختلف) عن السدود.. ليس هناك (جدل) على استخدامها.. في الطريق، كل الأشياء (رموز) يمكن قراءتها للخروج بـ(معلومة).

- رأيت (الماء)، مهدراً في طريق المطار.. قلت: يحتاج هذا (الإهدار) إلى بناء (سد) وسط الطريق.. كان مشهداً على عدم (احترام) الماء.. كان يسقي شيئاً لا نراه (إلا) من الطائرة.. ليس هناك شجر في وسط الجزيرة (المرتفعة).. لكن هناك (نخلاً) لا يشدك إليه.. إلا (الحزن) عليه.

- شجر النخل لا يكون (ممتعاً) إلا عندما يكون كثيفاً ومتقارباً.. يعطيك شعوراً بـ(عظمة) النخل.. يعطيك شعوراً بالشموخ والكبرياء.

- وصلت إلى مطار الملك فهد، حيث التنسيق المريح.. كل شيء



مرسوم بعناية.. (تقرأ) فيه عظمة الإنسان وقدراته وإنجازاته.

في المطار، لا تبحث عن موقف لـ(سيارتك).. كل شيء محجوز.. أرخيت الستار على سيارتي (العجوز)، لـ(تستريح) من مشاوير تحركاتي.. سجلت (رقم) مكانها حتى أعود إليها دون تعب.. دخلت المطار.. يا للروعة.. أتحرك في (فراغ) كبير، مع (قلة) من المسافرين.

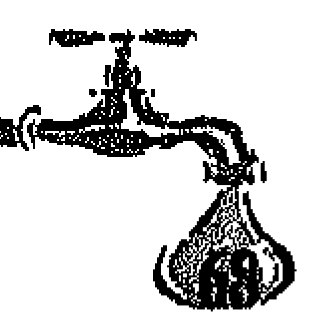
زادت القناعة، بأن الناس لا تسافر عبر المطار.. خاطبت أحد باعة المطار: (المطار فاضي).. قال: نعم.. كـ(عادتي)، لا بد أن يكسب البعض من مشواري.. كاتبكم يرفع شعار (اللهم ارزقني وارزق مني).. على (قد حالي)، اشتريت مجلة، ومقطورة صغيرة لـ(حقيبة) الحاسب الذي أحمله.. احتسيت (كوباً) من القهوة ثمنه (4) ريالات.. يعادل ثمن كوب الشاي في (كشك) على الكورنيش.. لا فرق، كلها مطارات.. لكن تختلف الوظائف.

داخل الطائرة.. جلست بجانب (خواجة)، يعتقد أنه يتحدث العربي.. لأنه قال: مرحباً.. ساد (صمتنا) مسافة الرحلة.. دنت مني (المضيفة)، مع ابتسامة دفعت ثمنها سلفاً.. طلبت بكل أدب أن أفتح ستارة النافذة، لنرى كيف (تطير) الطائرة.. تعجبت لهذا الطلب.. لماذا لم تفتحها قبل أن يركب المسافر؟

استجبت بسرعة.. اعتبرت طلبها (تكريماً).. نظرت إلى الخواجة بجانبي، وقد (تاه) وسط حروف مجلة (يتفحصها).

أقبلت المضيفة مرة أخرى.. قدمت (منديلاً).. سألتها بلغة الخواجة: هل هو (ساخن).. قالت: نعم، كل شيء ساخن هنا مثل الطقس.. ضحكنا وأيضاً الخواجة.. ثم انقطعت.

طارت الطائرة.. أتى أحد (المضيفين) بـ(دلّة) القهوة.. تتبعه



(المضيفة) بيدها (الفناجيل).. كان يصب القهوة ويقدمها.. ثم كانت حبات التمر.. يخترقها عود.. بداخلها (نواة) كبيرة.. بلعت (النّواة).. كل شيء مكسب لـ(المسافر) على طائرة السعودية.

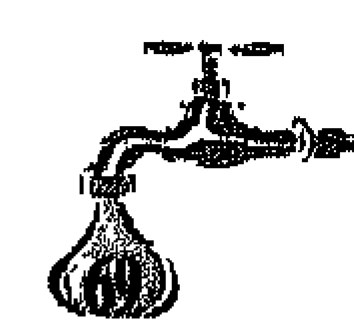
غرست العود بلطف في طفاية السجائر النظيفة.. كنت أنوي أخذ (الفنجال)، كـ(تذكار) لـ(الرحلة).. لكن (المضيفة) رجعت تبحث عنه.. سلمتها الفنجال، بدون سند استلام.

نحن في السماء.. شربنا العصير (المودماني).. ظهرت علينا عربة محملة بـ(أشياء) ليست هدايا لـ(المسافرين).. كانت بضاعة.. تذكرت تجارة (فرّقنا) قبل ثلاثة عقود.. الفرق، كان (فرّقنا) يحمل البضاعة على رأسه في (صحن).. في الطائرة، كانت البضاعة في عربة أمامها (مضيفة) وخلف العربة (مضيف).. يوزعان الابتسامات.. كأنهما (يستجديان) لـ(الشراء).

دارا حتى أصبح (المضيف) في مقدمة العربة و(المضيفة) في مؤخرة العربة.. أيقنت بعدها بصحة نظرية (دوران) الأرض.. نحن مع الصباح نكون في مقدمة الأرض.. ومع الغروب نكون في مؤخرة الأرض.

طلبوا الجلوس وعدم التحرك داخل الطائرة.. صاحوا: شدّوا الحزام.. وانتظار الهبوط الكبير.. بهذا النداء (حفزوا) الركاب على (التشهد) وذكر الله.. نداء يتكرر مع الصعود والهبوط.

توقفت الطائرة.. هب الجميع واقفين.. الطائرة لا (تختلف) عن السد.. تحجز الركاب خلف جدرانها.. فُتحت الأبواب.. اندفع الناس خارجها (مهرولين) إلى جهات مختلفة.. الناس صناديق أسرار تمشي على الأرض.

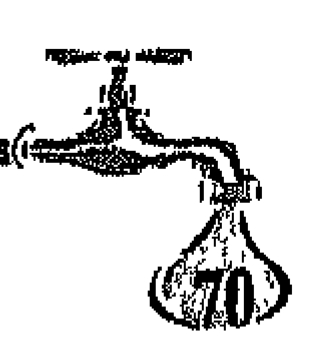


مطار الرياض.. خرجت من البوابة.. وجدت (أحدهم) يحمل لوحة عليها اسمي مكتوباً بـ(لغة) الخواجة.. كان مؤدباً وهادئاً.. هز رأسه.. أمّا كاتبكم فلا يعلم ماذا (هز)؟!.. لا بد أن كل واحد (يهز) شيئاً لا يراه إلا الطرف (الآخر).

أحضر السيارة.. فتح الباب الخلفي.. كأنه يقول: (انقلع عني في الخلف لا أريد أن أرى رقعة وجهك).. كنت مؤدباً.. سمعت الكلام.

خرجت السيارة تمشي الهوينى.. امتد البصر.. شعرت بدفء المكان.. كان الطريق نغمة جميلة.. كل شيء يقول أنت في الرياض.. النخيل والأشجار.. حتى (الخرسانة) المسلحة تبدو جميلة حية في جسم جميل (نافر) وسط الطريق.

هذه الرياض، ما أجمل الاستقبال.. ما أجمل الشعور.. كل شيء مرسوم بريشة فنان له (رؤية).. جعلني أيضاً جزءاً جميلاً من المكان الجميل.. ليبدأ المشوار مع السدود والماء. ....



12

أخيراً وصلت إلى فندق إنتركونتيننتال بالرياض.. في ضيافة الندوة الأولى لإدارة وتشغيل السدود في المملكة.. برعاية خادم الحرمين الشريفين.. حفظه الله.. كانت في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات.. كان هذا الحضور.. في هذه القاعة الشهيرة.. هو الثاني لكاتبكم.. الحضور الأول.. طالباً في الجامعة.. الحضور الثاني.. عالماً في الجامعة ومشاركاً في الندوة.

حمدت الله على هذه (النعمة).. حضرت، (أعتقد) عام (1975)، محاضرة (مشهورة) في هذه القاعة.. كنت (طالباً) في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود.. المحاضرة كانت عن (المياه).. في هذه الندوة حضوري أيضاً عن (المياه).. المحاضرة كانت لصاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل.. يشرح فيها (رؤيته) عن (جر جبال الثلج) من (القطب المتجمد) إلى المملكة.. كـ(بديل) عن التحلية، و(مصدر) لا (ينضب) لـ(مياه) الشرب بالمملكة..

وقتها كنت في موقف (المتفرج) على طموحات الرجال.. (أفكار) تلك المحاضرة ما زالت عالقة في ذهني.. ولست بـ(صدد) إبداء رأي شخصي عن الفكرة.. لكن (تعجبت) كيف أن (الاهتمام) بـ(الماء).. ويعد حوالي (30) عاماً.. هو الذي (قاد) أيضاً لـ(المرة) الثانية إلى

هذه القاعة.. (شح) الماء قلق بغيض.. (نضوب) الماء كارثة ماحقة.

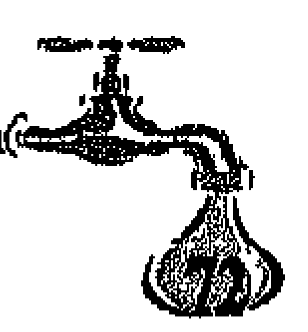
(الدكتور محمد حامد الغامدي.. سلمه الله.. أشكر لكم اهتمامكم بموضوع المياه الذي يجب أن يكون اهتمام الجميع.. أعرف أن لكم رأياً في موضوع السدود.. وفي هذه المناسبة.. أود إحاطتكم بأن وزارة المياه والكهرباء سوف تنظم الندوة الأولى لإدارة وتشغيل السدود في المملكة خلال الفترة من 18-19 ربيع الآخر 1427 الموافق من 16-17 مايو 2006.. يسعدنا مشاركة سعادتكم في فعاليات هذه الندوة الهامة بورقة عمل تدعم وجهة نظركم في موضوع السدود.. ومدى التوسع في إقامتها من عدمه.. وتقبلوا تحياتي).. كانت تلك دعوة سعادة وكيل الوزارة.

بعد قراءة الدعوة، تنفست (الصعداء).. (الرأي) في موضوع السدود، الذي أشارت إليه الدعوة.. يعتمد على (نتيجة) بحث علمي لكاتبكم.. كنتيجة، كتبت (مقالة) تعارض بناء السدود قبل أكثر من (10) سنوات.. كنتيجة أيضاً، (قامت) الدنيا ولم (تقعد) من البعض.

بعد المقالة بـ(أسبوع)، أعلن (وزير) الزراعة والمياه في حينه عن (نية) الوزارة بناء أكثر من (10) آلاف سد.. لكن الوزارة وظفت (مصطلحاً جديداً) في ردها على دعوتي بـ(إيقاف) بناء السدود.

كانت تقول: هذه السدود لـ(تغذية) المياه الجوفية.. ثم تحولت بعد المقال لـ(تقول): من أجل حماية (الأرواح والممتلكات).. لكن الحقيقة الكبيرة هي (تجاهل) رأي كاتبكم.. هنا يظهر السؤال: هل كل صوت أكاديمي نكرة عند الوزارات؟.. هل يؤخذ على أنه صوت ضد المنجزات؟!

أعترف بكون وجهة نظري كانت جديدة و(ضد) كل الاعتقادات السائدة في حينه.. لكن لماذا (نتجاهل) الأفكار الجديدة لـ(العلماء)؟!..



ورغم ذلك، هناك من ساند وشجع من العلماء.

أخيراً، وبعد كل هذه السنين، (اعترفت) وزارة المياه.. (مشكورة).. بأن لـ(كاتبكم) وجهة نظر في السدود.. خلال تلك الفترة ظل صوتي وما زال مرفوعاً بقوة لـ(مصلحة) الماء.

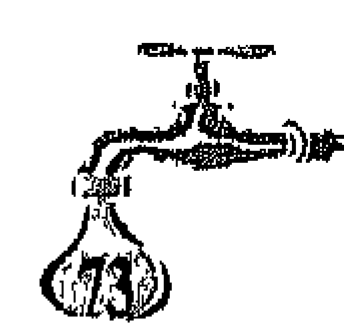
أرسلت الموافقة بورقة عمل بعنوان: (بدائل السدود في المناطق الجافة).. كان هناك (10) جلسات تناقش موضوعات مختلفة.. لكن (أصبت) بـ(خيبة).. لـ(أسباب) منها.. (غياب) الكوادر الأكاديمية السعودية ذات العلاقة.. لا أدري هل تم تغييبهم أم أنهم اعتذروا؟!

أين مركز المياه والكوادر الأكاديمية في جامعة الملك عبد العزيز؟!.. أين الكوادر الأكاديمية من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن؟!.. أين الكوادر من جامعة الملك سعود؟!

السبب الثاني.. وجدت الندوة (ترويجاً) و(تسويقاً) لـ(بناء) السدود وتشجيعها.. كأنها ندوة لـ(تبرير) التوسع في بناء السدود بالمملكة.. وليس لمناقشة (مدى) التوسع في إقامتها من عدمه.

تم الإعلان في الندوة عن إنشاء (90) سدّاً مائيّاً جديداً بتكلفة تزيد على (المليار) ريال.. عندها تساءلت: لماذا تم توجيه الدعوة لكاتبكم رغم كونه يحمل رأياً لا يشجع على (بناء) السدود؟.. كانت الاستنتاجات كثيرة ومتشعبة.

المشاركون من دول هي: مصر، المغرب، الصين، عمان، تركيا، ماليزيا، إيران، لبنان، اليابان، سوريا، أمريكا، سويسرا، الأردن، إندونيسيا، باكستان، السودان، الإمارات، الجزائر، ألمانيا.. بجانب المشاركين من السعودية: (8) من مهندسي الوزارة.. (3) فقط من الجامعات السعودية.



من (حق) وزارة المياه والكهرباء الاطلاع على خبرات العالم في إدارة وتشغيل السدود.. لأنها كما يبدو، اتخذت قراراً بـ(تبني) إستراتيجية التوسع في بناء السدود.. (متجاهلة) كل الأصوات الأكاديمية السعودية (المعارضة) لأسباب علمية.. لكن هل حققت الندوة أهدافها.. وكانت بعنوان: (إدارة وتشغيل السدود في المملكة؟).

لم يكن هناك تركيز يذكر عن إدارة وتشغيل السدود.. لكن كانت هناك (استعراضات) لـ(إنجازات) تلك الدول في بناء السدود.. واستعراض لـ(قوة) الشركات التي تسعى لـ(تسويق) خبراتها في مجال بناء السدود.

يبقى لـ(الصوت) الأكاديمي (غياب) يثير الكثير من الأسئلة التي تبحث عن أجوبة في المقالات القادمة. ...

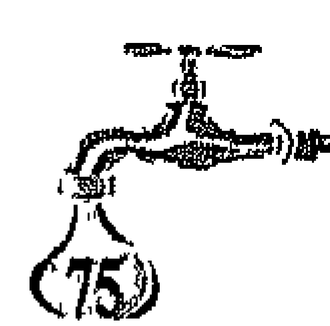
13

في مسيرة التنمية.. كان للرأي الأكاديمي.. قصة مع الوزارات.. أحد مشاهد القصة.. يوضح العلاقة الناقصة.. بين أساتذة الجامعات.. وبعض الوزارات والمصالح الحكومية.. كان مشهداً.. له أبعاده السلبية.. فهذه وزارة الزراعة والمياه سابقاً.. غيبت الجامعات السعودية.. عن الزراعة..وأيضاً عن الماء.. تجاهلت في صمت.. أصوات علمائها.. لمدة ربع قرن.

تصبح النتائج (مخيبة)، إن لم تكن (كارثة).. إذا تزامن (التغييب) مع (الاجتهادات).. وهذه قصة اجتهاد (زراعة) القمح والشعير والأعلاف و(نتائجها).. كتبت مقالة مشهورة قبل (10) سنوات أيضاً بعنوان: (الماء يبحث عن إدارة: 88 مليار ريال لمياه القمح).

بعدها، ظهر (الوزير).. في مقابلة (تلفزيونية) يرد على كاتبكم دون الإشارة إليه.. بـ(الحرف) الواحد قال: (اجتهدنا).. السؤال: كيف يتم إخضاع (مصالح) بلد لـ(الاجتهاد)؟.. هل يصبح المستقبل رهينة (الحظ) في مسار الاجتهاد؟ العلماء يملكون (البحث العلمي)، الذي يقدم التوصيات الصحيحة.

بعد أن (جفف) الاجتهاد (منابع) المياه في المملكة.. أصبح



لـ(الماء) وزارة.. كـ(دليل) وعيٍ متأخر بـ(أهمية) الماء.. لكن (أبت) الظروف إلا أن يكون الماء ملازماً لشيء آخر.. ذهبت الزراعة، الشريك (الطاغي)..ثم أصبحت الكهرباء، الشريك الجديد.

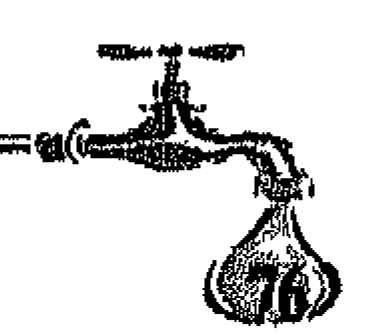
كنتيجة، بقي المهتمون بـ(الماء)، أمثال كاتبكم، في مجال: (حيص بيص)، يتساءلون: هل كان السبب وراء الفصل، مد طغيان الزراعة على الماء؟!.. هل كان هناك (قناعة) بـ(أن) الماء هو الأغلى في الحياة؟!.. إلى أن ظهر السؤال: لماذا لا يصبح لـ(المياه) وزارة مستقلة؟!

الماء.. قصة يطول الحديث عنها.. لكن بـ(مناسبة) الندوة الأولى لـ(إدارة) وتشغيل السدود.. (يوصي) كاتبكم وزارة المياه والكهرباء، بـ(تلافي) اجتهادات وأيضاً (أخطاء) وزارة الزراعة والمياه سابقاً.. (أخص) خطأ تجاهل (الرأي) الأكاديمي.. توصية، لا يترتب عليها التزامات (مالية).

نعرف، لم يعد هناك فائض مالي.. فـ(أكثر) من (مليار) ريال معتمدة في ميزانية هذا العام لبناء (90) سدّاً.. وهناك المزيد من الصرف على (بيوت) الدراسات والخبرات المنتفعة من بناء وتصميم وإدارة السدود.

هذا لا يعني أن الوزارة (خالية) من الخبرات، والمستشارين.. أو أنها تعمل وهي (معصوبة) العينين.. وزارة المياه تواجه (أكبر) تحديات تاريخية يمكن أن تكون.

تحديات (توفير) ماء (الشرب).. يجب أن لا تؤثر هذه التحديات على الوزارة، وتفقدها (توازنها).. إذا كان هناك من يطلب الماء لـ(يشرب).. فـ(إن) هناك من يطلب الماء لـ(يزرع).. هناك أيضاً من يطلب الماء لـ(يسبح) في مزارع (الترفيه).. المواجهة المباشرة، تعطي (نتائج) لا يتوقعها الآخرون.. كنتيجة، هل تعمل وزارة المياه وفق الفعل



ورد الفعل؟

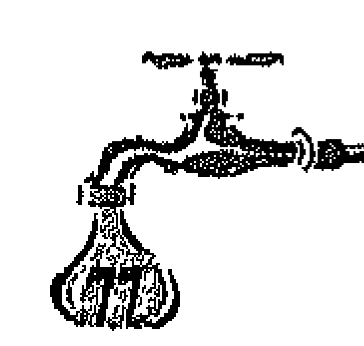
بناء السدود مر بـ(ثلاث) مراحل من (التبريرات) .. مرحلة التبرير (الأولى) كانت بغرض: (تغذية المياه الجوفية).. مرحلة التبرير (الثانية) كانت بغرض: (حماية الأرواح والممتلكات).. ظهر هذا التبرير مباشرة، بعد مقال كاتبكم الشهير الذي (فنّد) صحة التبرير الأول.. مرحلة التبرير (الثالثة) كانت بغرض: (توفير مياه الشرب).. تم الترويج لها خلال هذه الندوة.

مع التبرير الأخير: إلى أي مدى يمكن التوسع في بناء السدود بغرض توفير ماء الشرب؟.. إذا كان هدف وزارة المياه والكهرباء في هذه المرحلة، تأمين الشرب عن طريق بناء السدود، لبعضٍ المدن مثل: (بيشة، أبها، الباحة، وبلجرشي).. فقد يكون هذا (مقبولاً) كـ(حل) سريع.

لكن (السؤال) الكبير: هل تستطيع وزارة المياه بناء سد لـ(كل) مدينة وقرية وهجرة لـ(توفير) مياه الشرب في هذه المناطق؟.. (هنا) التحدي الكبير (يا) وزارة المياه والكهرباء.

يرى كاتبكم أن هذا الحل (غير) مثالي على المدى الطويل.. بـ(جانب) الكثير من (الأضرار) التي تصاحب بناء السدود.. وقد (شخصها) العلماء في المملكة.. ويتم تجاهلها من الوزارة.

(التجاهل) يقود إلى خسارة كبيرة في مجال البحث العلمي الوطني، ومجال المياه أيضاً.. (التجاهل) يوجد الانطواء وعدم المشاركة والتفاعل.. كنتيجة، يسري نفوذ الرأي الواحد كـ(اجتهاد) خطير.. لا يقل خطورة عن إهدار المياه.. (التجاهل) أيضاً إهدار للطاقات العلمية في جميع التخصصات ذات العلاقة.



هناك (نقطة) أخرى تجعل السدود حلاً غير مثالي.. يتمثل في (عمر) السد الافتراضي.. السد كـ(جسم) خرساني مسلح له عمر، مثل أي (عمارة) في البلد.. فهذا سد وادي (جيزان) عمره الافتراضي (50) عاماً، بقي منها (20) عاماً.

بناء السدود (تأجيل) لـ(مشكلات) الماء، (تتحملها) الأجيال القادمة.. هناك الحلول (البديلة) النابعة من البيئة.. لديها القدرة على (تعويض) نقص المياه على المدى الطويل.

كاتبكم، قدم (بديل السدود) قبل أكثر من (10) سنوات.. بديل يمكن أن (يوفر) أكثر من (5) مليارات متر مكعب سنوياً.. كـ(مخزون) استراتيجي في (جوف) الأرض في مناطق الدرع العربي.. به يمكن لـ(الأجيال) مواصلة مشوار البناء الذي لا ينتهي.

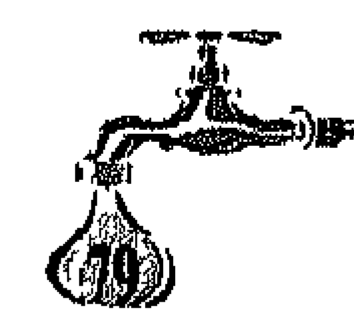
(البدائل) مشروع لـ(تخزين) مياه الأمطار في مناطق الدرع العربي، التي هي مناطق التغذية والخزن الاستراتيجي لـ(المياه) في المملكة.. هذه حقيقة..معها يستمر الحديث. ...

14

السيول.. مياه لنا مهدرة.. يتم بثها مشاهد مثيرة، في وضح النهار.. بالكلمة المكتوبة، يتم نقلها أخباراً.. نتائجها الدمار والخراب.. هي السيول.. خلفها، نسجل أسماء الضحايا والخسائر.. نعلن.. صعوبة تنقل الطلاب والمسافرين.. الطرق جرفتها السيول.. الجسور العملاقة خرّت مهدمة.. القطرات المهدرة تجمعت.. كونت جسم السيول.. هنا نسيج حكاية السدود والسيول.

السيول، قوة سائلة متحركة مندفعة مزمجرة.. قوتها عمياء.. تجرف الأشياء.. معها تنتصب أشرعة بطولات الإنقاذ.. تقودها الرجولة، وفزعة الشهامة.. يتكرر المشهد كل عام.. كنتيجة، تشكلت ملامح الاجتهاد، لوضع الحلول.. أقلها، إعادة بناء الطرق، بـ(مواصفات) واعتمادات مالية جديدة.. بـ(جسور) وعبّارات وكبار، بـ(مواصفات) واعتمادات مالية جديدة.

تعالت أيضاً أصوات الاجتهاد، حتى في المجالس.. تنادي بـ(السدود) في معابر السيول.. أرواح يجب حمايتها.. أملاك يجب درء الخطر عنها.. ثم زادوا: بناء السدود.. لـ(تجميع) مياه السيول، وضخها لـ(السكان) في المدن.. أفضل من ضياعها هدراً، في الصحاري وفي عمق البحر.



مع هذه المطالب، يبدو بناء السدود، أمراً غير مستنكر.. أمام العين المجردة، السيل ماء مهدر.. كيف يمكن تكذيب هذه المطالب مع كل هذه المشاهد؟.. كنتيجة، كان التحرك لـ(بناء) السدود.

الكل يضغط لـ(الحد) من مخاطر السيول.. يضغط لـ(الانتفاع) من هذه المياه المهدرة.. فـ(كان) سد جازان عام (1390)، بـ(هدف) سقيا الزروع.. ثم سد وادي نجران عام (1400)، بـ(هدف) التحكم في جريان السيول.. ثم كان سد وادي بيشة عام (1417)، بـ(هدف) تغذية المياه الجوفية.

ثم لـ(زيادة) الطلب على مياه الشرب، وفي ظل ندرتها في جوف الأرض.. تحول الاهتمام نحو بناء السدود.. بـ(غرض) توفير مياه الشرب لـ(البشر).

تقول وزارة المياه: نشأت الحاجة إلى إقامة السدود.. للتحكم في جريان مياه الأمطار والسيول المفاجئة.. لدرء خطر الفيضانات على الأرواح والممتلكات.. ولحجز المياه، للاستعمال المباشر سواء كان لأغراض الشرب أو الري أو لتغذية الطبقات الحاملة للمياه.. كنتيجة، شيدت الوزارة (230) سدّاً.

حظيت مناطق الدرع العربي بـ(أكثر) من نصف هذه السدود: لـ(منطقة) عسير (64) سدّاً.. لـ(منطقة) الباحة (26) سدّاً.. لـ(منطقتي) مكة والمدينة (38) سدّاً.. لـ(منطقة) نجران (6) سدود.. ولـ(منطقة) جيزان (3) سدود.

وعن تكاليف السدود، تقول الوزارة: إنها فاقت (3) مليارات ريال.. لـ(حجز) (850) مليون متر مكعب من مياه السيول.. لاحظ كاتبكم أن أكثر من نصف كمية المياه، يتم حجزها في (3) سدود:

سد وادي بيشة، يحجز (325) مليون متر مكعب، وهو الأكبر قاطبة.. سد وادي نجران، (86) مليون متر مكعب.. ثم وادي جيزان، (50) مليون متر مكعب.

أيضاً جميع السدود في مناطق الدرع العربي، تستأثر بـ(أكثر) من (77) بالمائة من الطاقة الإجمالية لـ(حجز) مياه السدود.. بـ(حوالي) (651) مليون متر مكعب..

ويستمر حماس بناء السدود.. هناك (25) سدّاً تحت التنفيذ في ربوع الوطن.. بـ(طاقة) تخزين إجمالية تزيد على (مليار) متر مكعب.. بـ(تكلفة) تزيد على (1.6) مليار ريال.. منها (20) سدّاً في مناطق الدرع العربي:

(8) سدود لـ(منطقة) مكة، بـ(غرض) الحماية والتحكم، طاقة التخزين (745) مليون متر مكعب.. لـ(منطقة) جازان، (سدان) بـ(غرض) الشرب، طاقة التخزين (250) مليون متر مكعب.. لـ(منطقة) الباحة، (3) سدود بـ(غرض) الشرب، طاقة التخزين (81) مليون متر مكعب.. لـ(منطقة) عسير، (5) سدود، بـ(غرض) الشرب والاستعاضة، طاقة التخزين (28) مليون متر مكعب.. لـ(منطقة) المدينة، سد واحد، بـ(غرض) الاستعاضة، طاقة التخزين (4.6) مليون متر مكعب.. لـ(منطقة) تبوك، سد واحد، بـ(غرض) الاستعاضة، طاقة التخزين (177) ألف متر مكعب.

الحقائق كـ(الشمس)، لا تغيب مع كل ذلك الجهد من وزارة المياه.. هناك حقائق تتحدث عن نفسها، حتى في وجود بناء وإدارة وتشغيل الـ(230) سدّاً الموجودة حاليّاً.. هناك حقائق تؤكد أن منسوب المياه الجوفية في تناقص مستمر، خاصة في مناطق الدرع العربي.

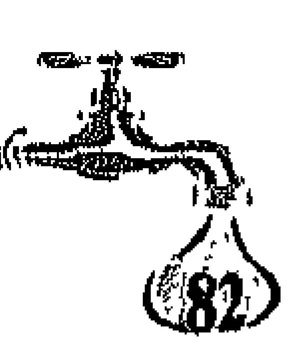
رغم تلك الحقيقة المرة، تأخذ الوزارة على عاتقها الاستمرار

في بناء السدود.. السؤال: أين ذهب الماء، في ظل كل هذه السدود؟!.. أين التغذية الجوفية التي تزعمون؟!.. أين التغذية في بيشة مع أكبر السدود؟!

في ظل الانشغال بـ(توفير) الحلول لـ(مشكلات) السيول.. وأيضاً الحلول لـ(تأمين) مياه الشرب.. تكتل الجميع في زاوية.. كنتيجة، كونوا جسماً صلداً من القناعة.. معها أصبح من العسير كسر ضلعي هذه الزاوية.. لـ(الخروج) إلى الآفاق الأرحب.. لـ(الوقوف) على السبب الحقيقي لـ(كل) هذه السيول.

السؤال المهم: لماذا كل هذه السيول؟ والسؤال الأهم: هل السيول نتيجة لـ(زيادة) الأمطار في تلك المناطق؟.. بـ(التأكيد) الأمطار في تناقص والسيول في زيادة.. يظل السبب الحقيقي بعيداً عن الاهتمام.. السيول نتيجة.. مشكلات السدود أيضاً نتيجة.

المشكلات ستستمر، في ظل استمرار السبب الحقيقي.. ضياع مياه الأمطار لا يقبله عقل.. لكن الحل ليس في بناء السدود؟ ...



15

◆ ابدائل السدود.. إنها الرصيد الحضاري للزراعة الجافة بالمملكة.. إنها البديل ونتاج البيئة ومهارة الإنسان في هذه الأرض المباركة.. بها حافظ على بقائه واستمرار حياته عبر العصور.. إنها فن الإدارة المائية.. إنها مهارات تراكمت عبر الأزمنة والعصور.. إنها مهارات أجيال هذا البلد جيلاً بعد جيل.. إنها مهارات الذين مضوا، فهل تصبح مهارات للذين لم يولدوا بعد؟

◆ بدائل السدود، (رأي) قدمه كاتبكم قبل أكثر من (10) سنوات.. رأي يقدم معطيات علمية واقعية.. لكن لـ(وزارة) المياه رأياً آخر، يغيب الكثير من الحقائق.. جهلاً أو تجاهلاً أو عدم معرفة بها أصلاً.

◆ ابتعدنا عن الموروث المهاري بـ(كل) كنوزه من المعلومات والأفكار القيمة.. إلى أن وصل بنا الحال إلى (الحاجة).. ومنها حاجة بناء السدود في المملكة.. هل بناء السدود مقبول في بلاد جافة شحيحة الماء والمطر؟!

◆ وزارة المياه استندت في تبريراتها لـ(بناء) السدود إلى (الحاجة).. نعرف أن الحاجة أم الاختراع.. لكن، عبر تاريخ (أهلنا) الطويل مع البيئة الجافة، أليس لهم اختراع لـ(مواجهة الحاجة) التي تواجهها الوزارة اليوم؟! هل (الحاجة) جديدة؟! أليست هذه (الحاجة) ملازمة لـ(إنسان) هذه المناطق منذ اللحظة الأولى لـ(وجوده)؟!

◆ إذا كانت (الحاجة) لم تتغير.. السؤال: ماذا تغير؟!.. (الحاجة)

مستمرة.. لكن تغير الاهتمام.. الذي غيب الوعي البيئي؟!.. لم تعد مصالح الإنسان مرتبطة بالبيئة بشكل مباشر.. تعرض الإنسان لـ(قفزة) تاريخية.. نقلته بعيداً عن الوعي البيئي.. الذي كان سائداً في وجه (الحاجة).

تم اختصار الزمن في كبسولة، اسمها (الطفرة).. وجد الإنسان نفسه أمام متغيرات.. فقد معها انتظام إيقاع الحياة.. الذي كان يرتكز على الوعي البيئي كـ(إرث) في منظومة حياة.. أصبح الإنسان في بيئته لا يستطع مواجهة (الحاجة)، إلا بما هو مستورد ودخيل على هذه البيئة.. تخلى الإنسان عن علاقته الحميمة بـ(بيئته).. كنتيجة، اختل توازن البيئة لأن الهجر يهدم ولا يبني.

إذا كانت (الحاجة) كما تقول وزارة المياه سبباً في إقامة السدود.. دعونا نتعرف على (محاور) هذه (الحاجة) لدى الوزارة: (حاجة) التحكم في جريان مياه الأمطار والسيول.. (حاجة) درء خطر الفيضانات على الأرواح والممتلكات.. (حاجة) حجز المياه خلف السدود لـ(الاستعمال) المباشر، من شرب وري.. أخيراً، (حاجة) تغذية الطبقات الحاملة لـ(المياه).. لـ(نتعامل) مع كل محور:

التحكم في جريان مياه الأمطار والسيول (حاجة) مهمة لدى الوزارة.. لماذا تولدت هذه (الحاجة)؟ نسأل: خلال القرون الماضية، ألم يكن هناك جريان لـ(مياه) الأمطار والسيول؟!.. كيف كان الأهالي يواجهون هذه السيول؟.. ما هي مهاراتهم التي وظفوها لـ(مواجهة) جريان مياه الأمطار والسيول؟.. ما هي الأفكار التي كانوا يطبقونها في إدارة مياه الأمطار والسيول؟.. أسئلة مطروحة أمام وزارة المياه.. أم أنها صوبت سهام التخلف على تلك المهارات.. لـ(استيراد) الحلول من بيئات أخرى مختلفة بـ(حجة) التطور.؟!

محور (الحاجة) الثاني: درء خطر الفيضانات على الأرواح والممتلكات.. في ظل النقاش والحوار الهادف، نسأل: هل هذه الفيضانات جديدة على

البلاد والعباد؟!. أليس هناك تراث مهاري مائي في بلادنا يستحق الرصد لـ(الفائدة)؟!.. لماذا لم تشكل تلك الفيضانات عبر التاريخ خطورة على الممتلكات والأرواح؟ لماذا لم تظهر خطورتها إلا في هذا الزمن؟!

المحور الثالث لـ(حاجة) الوزارة لـ(بناء) السدود: حجز المياه لـ(أغراض) الشرب والري.. نتساءل أيضاً: عبر التاريخ، أعطوني مكاناً واحداً في المنطقة تم حجز المياه في أحد أوديتها بغرض الشرب أو الري؟!.. لم يكن هناك أي حاجز أو سد تاريخي بعد كارثة انفجار سد مأرب ونزوح القبائل إلى مواقعها الجديدة.. هل تساءلت وزارة المياه عن الطرق التي اتبعها أهالي تلك المناطق كـ(بديل) لـ(السدود)؟.. نظم مائية يجب رصدها قبل موت أصحابها.

المحور الأخير من الـ(حاجة): تغذية الطبقات الحاملة لـ(المياه).. نسأل أيضاً: هل كان أهالي تلك المناطق لا يمارسون مهارات تغذية الطبقات الحاملة لـ(المياه)؟!.. رصد كاتبكم الكثير من المهارات المائية التي بواسطتها تحقق لهم نجاح تغذية الطبقات الجوفية.. لكن وزارة المياه تبحث عن الأفضل من خلال استيراد ما تراه الأفضل لـ(هذه) البيئات الجافة.. هذا الأفضل لا يختلف عن إقامة الفرح والعزاء قائم.

وجود الإنسان في هذه المناطق الجافة، وجود حضاري لا عشوائي.. (لدينا) أسس علم الزراعة الكثيفة، إلى أن نادت وزارة الزراعة بـ(تباعد) المسافات بين الأشجار.. كنتيجة، دمرت هذا العلم في وضح النهار.

(لدينا) علم الزراعة الوقائية.. (لدينا) علم الزراعة العضوية.. (لدينا) علم الزراعة الجافة.. (لدينا) الكثير من المعارف التي كانت تتعامل مع البيئة.. وفق أسس متزنة ورصينة لا تجور ولا تنهك البيئة، لكنها تحقق إنتاجية مستدامة لـ(مصلحة) الإنسان.

الأهم.. ما زال (لدينا) علم حصاد المطر، وعلم إدارة المياه.. إدارة لا تعتمد على بناء السدود. ...

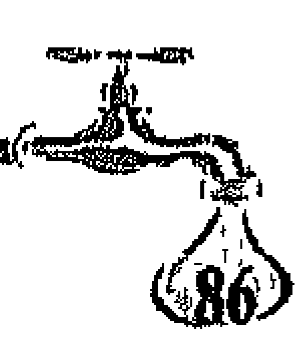
16

للتصحر علامات كثيرة.. لكن يكفي ظهور علامة واحدة.. في هذه المنطقة أو تلك.. للقول إن التصحر قادم.. هذه العلامات مبنية على أساس علمي .. ليست تخميناً أو ضرباً من ضروب التنجيم.. في المملكة يوجد أكثر من علامة للتصحر القادم .. هناك خلل بيئي بسبب الإنسان.. يجب إصلاحه.

تنبأ العلماء بـ(التصحر) في القرن الأفريقي قبل وقوعه، بنصف قرن.. لم يلتفت أحد إلى (توصياتهم).. العلماء اليوم يحذرون من ذوبان الجليد الذي يغذي مياه البحار بـ (20) مليار طن من الماء سنويّاً.. كنتيجة، ستجتاح مياه البحار المالحة، الكثير من المناطق في النصف الثاني من هذا القرن.

في عام (1991)، قدّم أحد العلماء في اسكتلندا، لـ(كاتبكم)، دعوة خاصة، لحضور اجتماع علمي خاص عن المشكلة.. كان الاجتماع لوضع خيارات لحماية الجزيرة البريطانية من ارتفاع منسوب مياه البحر.

لانشغالي بالأهم في حينه، اعتذرت.. لكن قدم كاتبكم لهذا العالم فكرة حماية أجزاء من الجزيرة بأسوار كالمدن العربية القديمة.. بعد الاجتماع، اتضح لكاتبكم، أنه يستحيل حماية كامل الجزيرة



البريطانية.. وتبنى الاجتماع الفكرة التي قدمها كاتبكم.

رؤية طرح استباق الأحداث أمام العلماء، واجب وطني، كجزء من التخطيط.. للتنبؤ بنتائج الأحداث قبل وقوعها.. بهدف تقليص الأضرار، وطرح الخيارات العلمية.. هذا ما يجب تحقيقه.

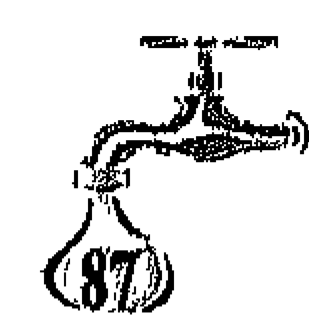
نلاحظ في ربوع بلادنا، علامات التصحر تنادي: (تعالوا شوفوني).. هل هناك اكتراث؟!.. سلوكنا مع البيئة، يعمل على زيادة مجال هذه العلامات.. هل هناك وعي بـ(خطورتها)؟!.. هل هناك معرفة بنتائجها التي تهدد الحياة ؟!.. (80) بالمائة من التصحر تعود إلى أسباب بشرية.

الماء حياة وحضارة.. طريقة تفكيرنا، وتعاملنا مع عنصر الماء له أهمية.. هل لدينا قناعة بضرورة أن يكون الماء، المحور الأساسي، في كل مناحي حياتنا؟!.. هل نفكر في الماء ألف مرة، قبل اتخاذ أي قرار كان؟!.. هل الماء (أولاً وأخيراً) قبل أي تنمية كانت؟!

جميع تصرفاتنا تعطي دليلاً، (أن آخر ما نفكر فيه هو الماء).. الكثير من القرارات، تعكس الجهل بالنتائج الوخيمة، لهذه القرارات على الماء.

الماء يتعرض لأكبر إساءة تاريخية على مستوى تاريخ شبه الجزيرة العربية.. باسم الإنجازات، وفي أقل من ربع قرن، حققنا جفاف جميع ينابيع المياه والعيون الفوارة.. حققنا انخفاض مناسيب المياه إلى أعماق مخيفة ومرعبة.

ويستمر الوضع (من سيئ إلى أسوأ).. هل ندرك أن الوضع أصبح حرجاً ومقلقاً؟.. الماء ما زال يتعرض: لسوء إدارة، وسوء استخدام، واستنزاف جائر.



هناك قرار تسبب في كوارث السيول، وإهدار مياه الأمطار.. ما حصل في منطقة الباحة، مثال على الأخطاء التاريخية.. التي تركت آثاراً سلبية على الماء.

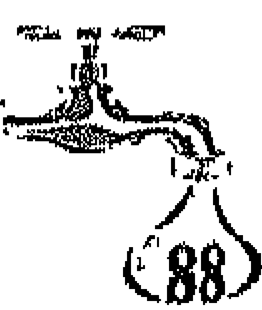
قرار وزارة الزراعة والمياه سابقاً، في السبعينيات الميلادية من القرن الماضي، الذي قضى باعتبار منطقة الباحة بكاملها منطقة غابات.. من نتائج هذا القرار: إهمال البيئة وهجرها بعدم تفاعل الإنسان.. أيضاً، تثبيت الرقعة الزراعية التاريخية كما هي بدون أي زيادة تذكر.

ثم في مرحلة لاحقة، كان من نتائجه الوخيمة: انهيار النظم الزراعية، والمائية التقليدية.. من نتائج القرار أيضاً: تضاعف ملاك هذه الحيازات الزراعية التاريخية إلى أعداد مهولة.. كنتيجة، في كثير من الحالات، أصبح نصيب الفرد لا يتجاوز المتر المربع.

كنتيجة أيضاً، (هج) الناس وتركوا المنطقة.. حتى أصبحت من أكبر مناطق المملكة تهجيراً للسكان.. بالمقابل، وزعت الوزارة أكثر من (3) ملايين هكتار في مختلف مناطق المملكة.

إذا عرفنا أن نصيب كل مناطق الدرع العربية لم يتجاوز (70) ألف هكتار.. فإن هذا يوضح لنا عمق الخطأ الذي وقعت فيه الوزارة.. جميع مناطق الدرع العربية (الباحة - نجران - عسير- جيزان - مكة - المدينة) حصلت فقط على أقل من (2ر5) بالمائة من مجموع ما تم توزيعه من أراض بور في المملكة.

ماذا يعني هذا؟.. علميّاً، مقابل أي زيادة سكانية.. لا بد أن تقابلها زيادة في الموارد المتاحة.. وإذا عرفنا أيضاً أن عاصمة المملكة السكانية مع بداية السبعينيات من القرن الماضي كانت نقطة قرب

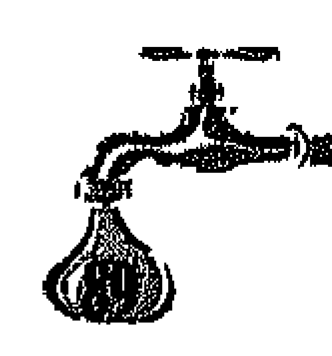


مدينة الباحة.. فإن هذا يوضح أيضاً بعداً آخر لعمق الخطأ الذي وقعت فيه الوزارة.

هذا القرار الجائر على البيئة، تجاهل حقيقة أن الدرع العربية منطقة تعتمد في حياتها على المياه المتجددة بفعل الأمطار.. تجاهل القرار حقيقة أن منطقة الدرع العربية عبارة عن (خزان ماء) يجب تغذيته باستمرار حتى لا يجف.. هذا الخزان مهم حتى لمناطق الجهات الشرقية من الدرع العربية.

كان يجب أن تكون عملية توزيع الأراضي البور مركزة في مناطق الدرع العربي.. لكن، الوزارة اهتمت بزراعة الصحراء لتحصد الثمر الذي استنزف المياه الجوفية .

تجاهلت حصاد مياه المطر.. كنتيجة، أصبحت السدود شاهداً على التصحر الذي انتشرت علاماته بشكل مخيف للعقلاء. ...



17

الكثير من القرارات.. تنكشف نتائجها لاحقاً.. بالكثير من الأخطاء التاريخية.. التي يصعب معالجة نتائجها.. أو التعامل معها بسهولة.. منها قرار وزارة الزراعة والمياه.. في السبعينيات الميلادية من القرن الماضي.. الذي قضى باعتبار منطقة الباحة.. بكاملها.. منطقة غابات.. ماذا يعني القرار؟.. ما نتائجه على الماء؟.. ما علاقته بالسيول والسدود؟

تاريخياً.. كانت منطقة الباحة، كـ(أرض)، مملوكة لـ(3) فئات.. لتعزيز بناء البيئة جيلاً بعد جيل.. لـ(درجة) أن ملكية كل صخرة وشجرة معروفة لـ(الجميع).. الفئة الأولى هم الأفراد.. لهم نصيب من أرض المنطقة.. كنتيجة، نجد أن كل فرد ينتمي لـ(المنطقة) يملك أرضاً تاريخية تمثل جذوره.

الفئة الثانية: القرية ولها نصيب من الأرض.. تعود ملكية الأرض هنا إلى (جماعة) القرية.. وتمثل الأرض هنا جذور جماعة القرية.

الفئة الثالثة التي تمتلك الأرض، هي القبيلة التي ينتمي لها الفرد والقرية.. وتمثل الأرض هنا جذور القبيلة.. يلاحظ أن ملكية الفئتين الثانية والثالثة جماعية.. وتسمى الحمى.

نظام ملكية الأرض هذا، لم يأت من فراغ أو أنه جاء عشوائيّاً.. لكن له الكثير من الأهداف التي تخدم الإنسان والبيئة.. الماء كان المحور الرئيس الذي قامت عليه الحياة في المنطقة بـ(كل) أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

كان الماء الأساس الذي ترتكز عليه جميع أنشطة أهالي المنطقة.. هذه الأنظمة كان يتم تصميمها من أجل حصاد المطر في المقام الأول.. ثم تجميعه ونقله وتخزينه بـ(شكل) فعال ورشيد.. بـ(هدف) استغلاله واستخدامه أيضاً بـ(شكل) رشيد في كل مناحي الحياة.. الأمر الذي أسس لـ(علم) الزراعة الجافة في المنطقة.

قرار وزارة الزراعة والمياه، نزع ملكية الأراضي التي لا تعود ملكيتها إلى (الفرد).. خلق الكثير من التداعيات المضرة بـ(البيئة).. خاصة في ظل اعتبارها مناطق غابات.. أيضاً تم نزع ملكية الغابات التاريخية من الأهالي لـ(تصبح) تحت إشراف وحماية وإدارة الوزارة.. ثم في مرحلة لاحقة.. تم نزع الأراضي الجبلية التي كان يمتلكها الأفراد لـ(تزيد) الطين بلة.. السؤال: ما نتائج هذه القرارات على الماء؟

رغم كون القرار منطقيّاً ونظاميّاً.. إلا أن القرار كان أشبه بـ(إخلاء) منزل من سكانه.. وتركه مهجوراً بدون استخدام.. كنتيجة، لا بد أن يتعرض البيت لـ(التصدع) والانهيار، ثم يصبح خراباً، يصعب حتى صيانته وترميمه.. هذا ما جرى لـ(منطقة) الباحة.

كان هناك تفاعل بين الإنسان وبين البيئة بـ(كل) مكوناتها.. حتى أصبحت كياناً حيّاً كـ(الإنسان) نفسه.. وأيضاً تحمل أسماء تعرف بها كـ(البشر).. لها شخصية، معروفة حدودها وتضاريسها، وأيضاً وظائفها البيئية.

كانت تشكل مناطق مساندة لـ(حياة) الأفراد والجماعة.. كانت خدمتها من واجبات استمرار الحياة، من خلال أنظمة تحترم حقوقها كـ(بيئة) بـ(شكل) متواز مع احترام حقوق الفرد.. لكن القرار جعلها معزولة عن الإنسان.

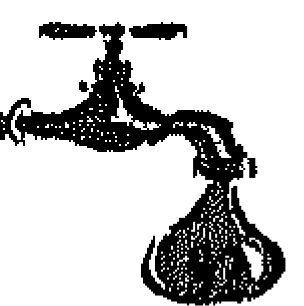
الغابات في المنطقة خير مثال.. أنجز الإنسان، عبر التاريخ، تحديد مواقعها وزراعتها بـ(الأشجار).. وإمدادها بـ(الماء).. ضمن أنظمة حصاد المطر.. بـ(جانب) أنظمة حمايتها وصيانتها وإدارتها لـ(ضمان) استمرارها وتنميتها.. فهي ليست مصدراً لـ(الطاقة) فحسب، لكن لها منافع أخرى مهمة.

كل الغابات، عبارة عن مدرجات مبنية بـ(الحجر) الصلد، مغروس بـ(مدرها) الشجر.. لكن، مع هذا القرار.. انهارت جميع المدرجات الزراعية بـ(جدرانها) الصخرية.. إضافة إلى انجراف تربتها التي لا يمكن تعويضها إلى الأبد، بـ(فعل) جرف جريان مياه الأمطار.

كل المنطقة لم تعد تحتفظ بـ(ماء) المطر.. مع هذا الوضع، زادت كميات المياه التي تفقد نتيجة لـ(انهيار) المدرجات والعقوم في الجبال والغابات والأودية.

حتى الوزارة المعنية، لم تقم بتأسيس أي غابة، أو زرع أي شجرة في أي غابة تاريخية.. لكنها بيئة تم إهمالها لـ(تكون) فريسة، لـ(التصحر) وعوامل التعرية.. بيئة تآكلت وتهدمت فيها جميع النظم التاريخية التي كانت تقوم بـ(حصاد) المطر وتجميعه وتخزينه.

أين جهود وزارتي الزراعة والمياه لـ(إدارتها) وتنميتها كـ(منطقة) إمداد وتغذية مائية، وصيد لـ(مياه) الأمطار؟ ما جهود الوزارات المعنية



للعناية بـ(الغابات) في منطقة الدرع العربي؟.. أين مشاريع التشجير الوطنية؟

ما الجهود التي بذلت لـ(وقف) انهيار النظم المائية والزراعية التقليدية؟!

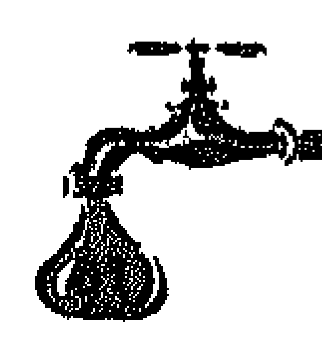
أين الجهود التي تحافظ على بقاء الأشجار المعمرة في هذه الغابات والتي يصل عمرها إلى أكثر من (600) عام؟.. بعضها أزيل من أجل محطة وقود على الطريق.. هكذا بكل استخفاف ودون أدنى مسؤولية.

كل الشواهد تشير إلى إهمال بيئي غير مبرر، في ظل إمكانيات الوزارات الضخمة.. من نتائجه: انهيار مدرجات حصاد المياه في هذه الجبال.

كنتيجة، تناقصت كميات المياه التي كان النظام التقليدي يعمل على تخزينها في باطن الأرض.

كنتيجة، أصبحت مياه الأمطار المتجمعة تجرف التربة وتشكل فيضانات وسيولاً مدمرة.. تزيد عاماً بعد آخر مع زيادة انهيار تلك الأنظمة المائية.

هل كانت السدود الحل الأسهل لـ(مواجهة) نتائج إهمال البيئة وانهيار النظم المائية والزراعية التقليدية؟! ...



18

مسكين هذا المواطن.. الذي أصبح ملطشة.. لكل مسئول غير مسئول.. تصريحات رسمية من موظفين حكوميين.. يردحون بكلمات تحط من قيمة المواطن.. من شأن المواطن.. حتى من إخلاصه.. حتى من بذله وحبه لوطنه.. كأن هؤلاء المسئولين لا ينتمون لهذا المواطن.. كأنهم قادمون من المريخ.. حيث لا حياة.. وبالتالي لا أخطاء ولا تجاوزات.

بعض المسئولين.. يتهمون المواطن علناً بـ(كل) شيء.. لـ(يسحبوا) أنفسهم، من مسؤولية كل شيء.. كيف يسمحون لـ(أنفسهم) بـ(التطاول) على المواطن، وسبه علانية؟!.. هل المواطن طفل أمام هذا المسئول.. لا يعي دوره، ولا يعرف واجباته؟!

(ضعاف النفوس).. هكذا يقول أحد المسئولين.. على إحدى صفحات الجرائد المحلية: (إن مشكلات ضعف المياه في بعض مدن وقرى الأحساء تعود لعدة أسباب منها انخفاض مستوى المياه الجوفية، والحفر الجائر والعشوائي (غير المرخص).. والذي يقوم به بعض (ضعاف النفوس).. لمصالح خاصة، إضافة إلى حدوث بعض الكسور الطارئة والتي تحدث بالشبكة نتيجة قدم العمر الزمني لها وبعض التسربات الأخرى).

نشيد من الكلمات، التي صفّها ورصّها هذا المسئول.. لـ(يبرر) مشكلات ضعف المياه في مدن وقرى الأحساء.. لم أجد في الأحساء ضعاف نفوس.. وجدت في الأحساء قامات لها مجد.. تحب الأرض.

هناك حديث قادم عن تاريخ الآبار العشوائية في الأحساء.. يوضح كيف أصبح المواطن في الأحساء شماعة لتقاعس الجهات المعنية عن القيام بدورها في الحفاظ على مياه الأحساء.. حتى وصل بهم الأمر إلى استخدام وصف (ضعاف النفوس) لـ(المواطنين)؟!

لماذا لم ينعت المسؤول نفسه أو وزارته بـ(نفس) الوصف، أو على الأقل الاعتراف بـ(التقصير)؟!

ورد في تصريح المسؤول، أن السبب الأول لـ(ضعف) المياه في مدن وقرى الأحساء، هو: (انخفاض مستوى المياه الجوفية).. هذا السبب غير صحيح.. إمدادات قرى ومدن الأحساء بـ(المياه)، ليس لها دخل بـ(انخفاض) مستوى المياه.

المواطن في قرى ومدن الأحساء يعاني ضعف الإمدادات بـ(المياه)، ليس إلا.. وهذه مسؤولية وزارة المياه.. عليها تدبر أمرها.. لا أعتقد أن انخفاض مستوى المياه الجوفية، هو السبب وراء نقص إمدادات المياه في قرى ومدن الأحساء.

هناك مياه جوفية كافية لـ(إمداد) القرى والمدن بكل احتياجاتها من المياه.. لكن هناك تقصيراً، سواء في الإمكانيات أو في الرؤية.. كنتيجة، ما هو مبرر استخدام وصف (ضعاف النفوس) مع المواطن في ظل وجود هذا السبب الذي يخص الوزارة؟!

السبب الثاني، الذي تطرق إليه المسؤول: (الحفر الجائر والعشوائي غير المرخص).. من قبل من وصفهم بـ(ضعاف النفوس)

لمصالح خاصة.

أيضاً الحفر الجائر والعشوائي غير المرخص.. ليس السبب الحقيقي وراء ضعف إمدادات المياه لـ(قرى) ومدن الأحساء.. المشكلة قائمة، منذ أن كنت طفلاً، في روضة بني عبس في بقيق.. المشكلة هي عدم قدرة وزارة المياه على الوفاء بـ(احتياجات) قرى ومدن الأحساء من المياه.. رغم توفرها في طبقات مختلفة في جوف أرض الأحساء.

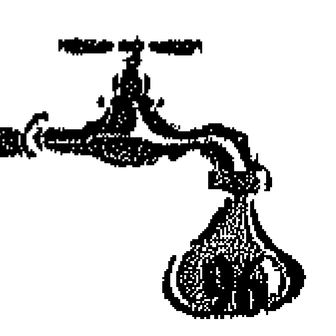
الأمر بـ(بساطة)، متعلق بـ(استخراج) هذه المياه.. أما الحفر العشوائي، الذي أصبح شمّاعة كل المسؤولين.. فهو أيضاً مسؤولية الوزارة وليس الأفراد.. واستناداً إلى قاعدة (حمورابي)، إذا أردت أن تطاع فـ(اطلب) المستطاع.. يمكن الإبحار في استنتاجات أتركها لكم.

كنتيجة، ما هو مبرر استخدام وصف (ضعاف النفوس) مع المواطن، في ظل وجود هذا المبرر الذي يخص الوزارة؟!

المبرر الثالث.. (الكسور الطارئة والتي تحدث بالشبكة نتيجة قدم العمر الزمني لها).. طيب يا مسؤول.. هل يعني أن هذه الكسور متكررة بشكل يومي؟!.. هل هذا الأمر يعيق وصول إمدادات المياه إلى قرى ومدن الأحساء؟!.

إذا كان الأمر كذلك، فـ(هذه) كارثة.. كنتيجة، ما هو مبرر استخدام وصف (ضعاف النفوس) مع المواطن، في ظل وجود هذا المبرر الذي يخص الوزارة؟!

المبرر الرابع، الذي ورد: (بعض التسربات الأخرى).. هل يعني أن المياه التي تتسرب من الشبكة، أكثر من المياه التي تصل إلى المواطن؟.. أليس هذا الأمر عبارة عن أخطاء تنفيذية، مسؤولة عنها الوزارة، وأنت أحد مسئوليها؟!



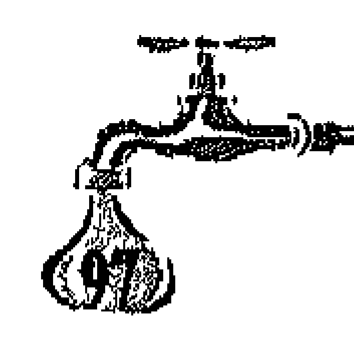
كنتيجة، ما هو مبرر استخدام وصف (ضعاف النفوس) مع المواطن، في ظل وجود هذا المبرر الذي يخص الوزارة؟!

الشبكة (تخر من كل حتة)، كنتيجة، بين التصريح أن هناك عقداً بـ(17) مليون ريال، لـ(الكشف) عن تسربات الشبكة.. لاحظوا، للكشف عن تسربات الشبكة، وليس لـ(تمديد) شبكة جديدة.

لكن بـ(البنط) العريض، تم تحميل المواطن كل التقصير والمسؤولية.. حيث ورد بخط كبير، كأنه يقول: شوفوني.. (الحفر الجائر والعشوائي وراء ضعف المياه بالأحساء).

كالعادة تم تجاهل بقية الأسباب احتراماً للمسؤول.. الذي في نهاية تصريحه.. أخذ يستجدي المواطن ليحافظ على الثروة المائية.

أضم صوتي إلى صوت الاستجداء هذا.. لكن (ضعاف النفوس)، هم الذين يحللون لأنفسهم ما يحرمونه على الآخرين. ...



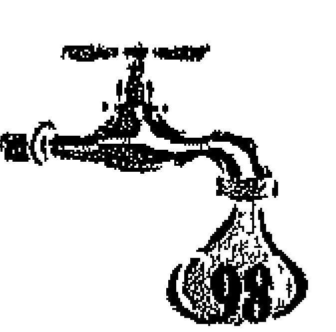
19

الكثير من المقالات.. كتبتها عن الماء.. ما زلت أكتب.. وسأظل.. لأن الماء عندي قضية.. ينتابني شعور.. بوجود تجاهل متعمّد.. لوقف استنزاف المياه الجوفية.. لوقف إهدارها.. تجاهل.. قاد وسيقود.. إلى كوارث جفاف وعطش.. في 23 رجب 1414 - 5 يناير 1994.. كتبت مقالاً عن المياه الجوفية.. في مجلة اليمامة.. في حينه أحدث ضجة.. مرت الأيام والسنون.. تغير الزمان.. لم يتغير المقال.. فهل ساءت الأوضاع؟!

نحن قوم نتجاهل نتائج المستقبل الوخيمة.. غارت مياهنا الجوفية.. نضبت في كثير من المواقع.. ما زلنا نتجاهل الخطر.. البعض لا يكترث.. يتم استنزاف المياه الجوفية بدون أدنى مسؤولية.. إليكم الجزء الأول من المقال.. وقد كان لكاتبكم أكثر من (100) مقال عن المياه.. بالإضافة لكتاب.. رفضوا منحه التصريح بالنشر.. ربما لأن كاتبكم لم يتحدث عن الإنجازات الزراعية.

هل استنزاف المياه وإهدارها إنجاز؟! المياه قصة حياة أو موت.. لكن البعض.. حتى في الوزارات المعنية يتجاهلون.. أو أن خطواتهم لا تختلف عن خطوات السلحفاة.

عنوان المقال: (الماء يبحث عن إدارة.. 88 بليون ريال لمياه القمح).



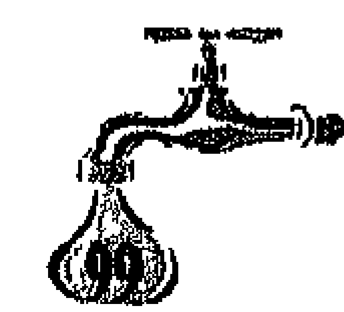
نص المقال:

"القمح هو رغيف الخبز الذي تطلبه الأفواه الجائعة بأي ثمن كان.. ولكن الماء يفوقه أهمية لأنه أساس الحياة.. بل هو الحياة نفسها.. وصدق الله العظيم الذي قال: «وجعلنا من الماء كل شيء حي».. وتتعاظم أهمية الماء في منطقتنا العربية.. حيث البيئة الصحراوية تضيف فيضا من معاناة حياة الجفاف والعطش.. وتقود هذه المعاناة إلى حروب عاشتها قبائل هذه المناطق.. للسيطرة على منابع المياه وموطن الكلأ.

وتعود اليوم نغمة الحروب المائية.. لتبرر تلك الحروب القديمة.. التي طالما نعتت بالهمجية والتخلف والعنصرية والبغضاء.. وبكل صنوف النعوت التي تحط من شأن وقيمة قاطني هذه البيئات المجدبة.. تعود النغمة من جديد ولا ندري من سيكون الضحية خاصة وأن الأفلام السينمائية الغربية.. استبقت الأحداث.. وصورت الأفلام.. التي تصور لنا النزاع والحرب.. على منبع ماء في صحراء.

وفي ظل تناقص الخيارات.. لم يعد لنا إلا خيار المواجهة.. ولكنها مواجهة تعتمد على العقل العلمي.. وعلى استقراء المستقبل المائي.. في ظل الظروف الراهنة للمنطقة.. وتحديد الأهداف الواضحة والمحددة.. ورسم إستراتيجية تلزم الجميع باتباعها.. لضمان الأمن المائي.. وخلق التوازن بينه وبين الأمن الغذائي.. وفي غياب هذه الإستراتيجية لن يكون للأجيال القادمة إلا مزيد من الجفاف والعطش.

إننا لم نرث الأرض والموارد.. ولكننا مستأمنون عليها.. فهل نؤدي الأمانة؟.. وهل مسارنا اليوم يحقق تأدية هذه الأمانة؟.. وللإجابة.. أنوه إلى بعض الحقائق.. التي قد تؤدي إلى جنوحنا عن طريق تأدية أمانة الحفاظ على مواردنا ومنها:

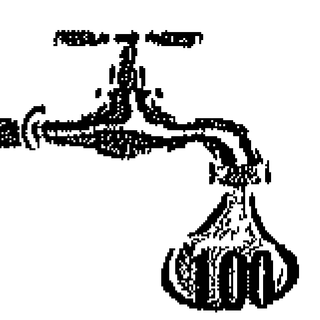


1- محدودية التدبير والتوازن: في الوقت الذي نقوم فيه بتحلية مياه البحر لسد احتياجاتنا من مياه الشرب.. نجد بالمقابل.. استنزافاً هائلاً للموارد المائية الطبيعية.. والتي لا تعوض.. وذلك لتأمين احتياج القطاع الزراعي.. وأصبحت المملكة تحتل المرتبة الأولى في العالم في مجال التحلية.. حيث بلغ إنتاجها من المياه المحلاة.. ثلث الإنتاج العالمي.. وهكذا تمكن القطاع الزراعي من الاستئثار والاستمتاع بشرب المياه الجوفية.. ولكن كم هو الثمن؟

إن سعر المياه المستخرجة من باطن الأرض.. والخاصة باستهلاك القمح فقط يتراوح ما بين (66) إلى (88) بليون ريال سنويّاً.. وذلك بسعر تكلفة مياه التحلية.. وهذه أرقام فلكية مقلقة.. تجبرنا على أن نقول.. نحن أولى بهذه المياه العذبة من القمح.. وقد يسأل البعض عن التكاليف الحالية لاستخراج مياه ري القمح.. ولهم أقول لقد قدرت بحوالي (22) بليون ريال.. وهذا أيضاً مبلغ فلكي.. إذا قورن بالجدوى الاقتصادية.. لزراعتنا للقمح.. والسؤال أين التوازن بين الأمن المائي والأمن الغذائي.. في ظل تلك المعلومات؟

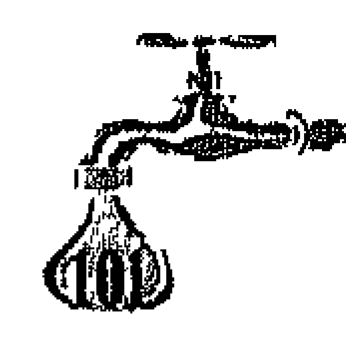
2- غياب الإدارة المائية: وصل بنا الأمر إلى مرحلة مقلقة.. فنحن نستهلك ونستنزف كل مواردنا الطبيعية.. دفعة واحدة.. وفي وقت واحد.. وهذا قد ينهيها في وقت واحد أيضاً.. ومن هذه الموارد المياه الجوفية.. والتي يقدر عمرها بما بين (15) إلى (45) ألف سنة.. والمثير أن (السيد القمح) الذي يستهلك من هذه المياه خلال سنة واحدة ما يعادل إنتاج محطات التحلية في المملكة لمدة (17) سنة.. يجد من ينادي باستمرار زراعته.. أو زراعة أخيه الشعير.

وتدعونا الحكمة..كما أرى.. إلى استيراد القمح.. مثله مثل الأرز الذي يشكل الأكلة الرئيسة في المطبخ السعودي.. وتوفير كل هذه المياه..



لتأمين الأمن المائي.. والبيئي لأجيالنا القادمة.. خاصة وأن عدد سكان المملكة قد يفوق (40) مليون نسمة بحلول سنة (2025).. والبترول خير شاهد على هذه الدعوة.. فمعظم دول العالم تستورده.. ولا تملكه.

إنه من الحكمة.. ترك هذه المياه لأجيال المستقبل.. ولساعة الحاجة.. فنحن في غنى عنها في هذه الحقبة الزمنية.. وإن لم يتحقق هذا.. فإن الحكمة والعقل.. يدعواننا إلى توفير كميات المياه.. التي تستخرج من باطن الأرض.. بترشيد استخدامها والاستفادة من كل قطرة ماء مستخرجة.. لسد احتياج حدود اكتفائنا الوطني".. (ويستمر المقال).... ✍

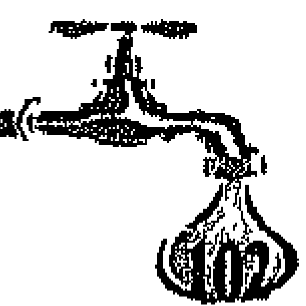


20

♦ يستمر مقال.. الماء يبحث عن إدارة.. 88 مليار ريال لمياه القمح.. بتاريخ 23 رجب 1414 - 5 يناير 1994.. في مجلة اليمامة.. رغم مرور كل هذه السنين.. هل تغيرت مؤشرات الاستنزاف؟!.. من سيدفع الثمن؟!.. هل هناك تشريعات تحمي المياه الجوفية.. وتصونها.. وتزيد في مخزونها؟!.. هل هناك تراخ؟!.. هل هناك محاسبة؟.. هل هناك عابثون.. ومتهاونون بالمياه الجوفية؟!.. وزارات تتجاهل حماية المياه الجوفية.. وتتبنى تحلية مياه البحر بمليارات الدولارات.. أليس هذا مثار تساؤل؟!

نص بقية المقال :

3- مسألة الأمن الغذائي: مقولة الأمن الغذائي.. بالاكتفاء الذاتي من الغذاء أمر غير صحيح.. ويعزز قولي هذا أنه لا توجد دولة واحدة في العالم.. تستطيع أن تعيش بمعزل عن العالم.. ولكن يحكم العالم المصالح المشتركة.. والتحالفات والصداقات القائمة على المصالح.. والمملكة لديها ولله الحمد رصيد كبير جداً من الصداقات.. وتربطها مع دول العالم مصالح.. تعزز من استقرار أمنها الغذائي.. إن الوضع الزراعي في المملكة يعتمد على رأس المال السعودي.. والعمالة الأجنبية.. والتقنية المستوردة.. وهذا يلغي



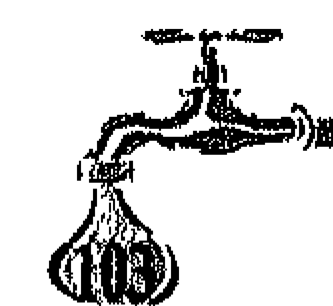
مقولة الأمن الغذائي.. ويعزز أهمية الأمن المائي.

4- غياب الاهتمام العلمي: بعد قيام إسرائيل بأربع سنوات.. أي عام (1952).. تنبه مؤسسوها.. إلى أهمية المياه.. فدعوا إلى مؤتمر عن المياه.. وبإشراف اليونسكو.. وشارك فيه معظم جامعات العالم.. وما زالت إسرائيل.. تسترشد بتوصياته حتى اليوم.

توقف المطر قبل سنوات عن النزول في بعض مناطق الولايات المتحدة الأمريكية.. لمدة لم تتجاوز الشهر.. فقامت الدنيا ولم تقعد.. إلا بعقد المؤتمرات العلمية والندوات وإجراء البحوث.. لمواجهة قلة مياه الأمطار.. فكان سيل التوصيات العلمية.. والقرارات الإدارية.. وأيضاً فرضت التشريعات.. التي تحافظ على المياه.. وتلزم الجميع بتطبيقها.. ترى متى يمكن عقد مثل هذه المؤتمرات العلمية.. وإرجاع الأمر إلى ذوي الاختصاص في الجامعات.. وغيرها من الجهات ذات العلاقة؟

5- طغيان المصالح الذاتية على المصالح الوطنية: رغم شكي في وجود هذا العامل.. إلا أن أخذه في الاعتبار مطلب محمود.. حتى لمجرد التذكير به.. التفكير في المصالح الوطنية.. وخاصة ما يتعلق بأجيالنا القادمة.. لا بد أن يأخذ الأولوية وصدارة الاهتمام.. والماء أحد هذه المصالح.. الذي يضمن بقاء استمرار أجيالنا في العيش.. والحياة.. على هذه الأرض المباركة.. وقد يكون أهم المصالح قاطبة.

❢ وأذكر بإسرائيل التي بها أقوى وأشد قانون مائي في العالم.. حيث المياه تشكل لهم جانباً أمنيّاً.. يمكنهم من البقاء و الاستمرار.. فقد أوصى (بن جورين) قبل مماته.. أن يدفن هو و زوجته.. في صحراء النقب.. وأوصى بعدم المساس بالمياه الجوفية.. وتركها صمام أمان لأجيال إسرائيل القادمة.. علماً بأن هذه المياه تقدر بحوالي

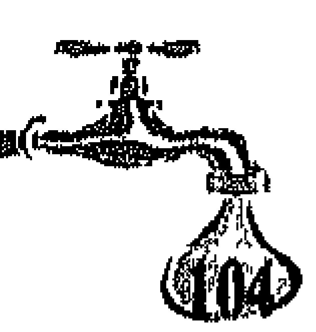


(50) تريليون متر مكعب.. من المياه العذبة.. مخزونة من العصر الجليدي.. وتنفيذاً لهذه الوصية.. تم إنشاء قناة مفتوحة لنقل مياه نهر الأردن وبحيرة طبرية.. إلى صحراء النقب.. التي تشكل نصف مساحة إسرائيل.. كان هذا الأمر لمصلحتهم الوطنية العليا.. وهي تمثل مصالح أجيالهم القادمة.

وقد يكون هذا المثال عبرة.. للذين يضعون المصالح الذاتية.. في مرتبة أعلى.. وإن وجدوا بيننا.. فعليهم إعادة حساباتهم.. فأمر استنزاف المياه.. موجع.. ومضر لمستقبل أبنائهم.

6- غياب الإدارة المائية: نحن نعرف أن الهدف من الإدارة.. هو الترشيد.. وقد برع العرب في فن ترشيد استخدام المياه.. الأمر الذي مكنهم من البقاء.. والاستمرار في هذه الصحاري والأراضي المجدبة والجافة.. وبراعة العرب في إدارة المياه.. إحدى علامات إنجازاتهم التاريخية والحضارية.. ولكنها للأسف أهملت وحتى اليوم.. لم تجد من يحيي ويعيد هذا المجد الإداري الرائد.. ويكفي الإشارة إلى قول أحد الكتاب الغربيين سنة (1991).. ويدعى (Helga Graham).. والذي يعتقد أن الإدارة المائية.. كانت إحدى القوى.. التي ساعدت في انتشار الإسلام من الجزيرة العربية.. إلى أن سيطر على الإمبراطورية الفارسية والرومانية... إلى أن وصل إلى أسبانيا ودق الباب الفرنسي.. وقد كانت تلك الإدارة المائية المتقدمة.. مثلها مثل الآلة البخارية.. التي شيدت الإمبراطورية البريطانية.. ويكفي هذا التذكير.. باسترجاع ماض إداري عريق للمياه.

وبعد.. إن الماء أرخص موجود وأغلى مفقود.. ولهذا أكرر القول إننا لم نرث الأرض.. ولكننا مستأمنون عليها.. فهل تكفي النقاط السابقة لإحياء التنوير بتعزيز استمرار تأدية أمانة الحفاظ على



مواردنا المائية؟ أم أن الماء يبحث عن إدارة)..انتهى المقال.

أكثر من (13) سنة عمر المقال.. وما زال هناك الكثير من الأسئلة الحائرة.. حتى بعد أن أصبحت للمياه وزارة.. هل تغير الأمر؟!.

في حال أن أصبحت المياه للشرب فقط.. فهذا يعني أن حياتنا في خطر.

المياه الجوفية ما زالت تبحث عن إدارة.. المياه الجوفية هي الأهم.. هي أمننا.. هي مستقبلنا.

نتساءل: هل يحق لوزارة المياه تسليم ما تبقى من مياهنا الجوفية لشركات.. تقوم بزيادة أموال البعض على حساب حياة الأمة؟!.. ويستمر الحديث. ...

21

الاندفاع.. علامة عربية مسجلة في صفحات التاريخ.. الاندفاع.. حتى مع كرة القدم.. حتى مع السلام.. حتى مع الحرب.. يندفع العرب كالثيران القوية.. وهذا نعت جميل في أمريكا المندفعة نحو حتفها هي الأخرى.. لكن دعونا نتساءل عن سر الاندفاع.. خلف تأجير الأرصفة.. وتقطيع أشجار الحدائق.. بعد موجات الاندفاع خلف زراعة القمح والشعير والأعلاف؟!. هل هناك علاقة؟!. هل هناك شبه؟.. بل هل هناك تساؤلات بالفعل؟!

السبب هو المال.. كما ترون هذه إجابة مندفعة.. لكن هناك إجابات أخرى هادئة لوضع التبريرات.. هدفها غير المعلن هو المال.. وله (هوامير).. حتى يكون هناك وضوح.. يكفي الإشارة إلى أن الدولة -أيدها الله- صرفت على الزراعة أكثر من (100) مليار ريال خلال أقل من ربع قرن.

السؤال.. من هم الذين استفادوا من هذه الأموال؟.. الإجابات الهادئة تقول: المزارعون في المملكة.. أما إجابة كاتبكم المندفعة فتقول: المزارعون ما زالوا فقراء (كحيانين) يمارسون حياة الفقر.. كم وصلهم من هذه الأموال؟!.. هل فاز بها رجال الاستثمار؟!.. هل بقي المزارع خارج اللعبة يتجرع التخلف والفقر.. خاصة في مناطق الدرع العربي؟!



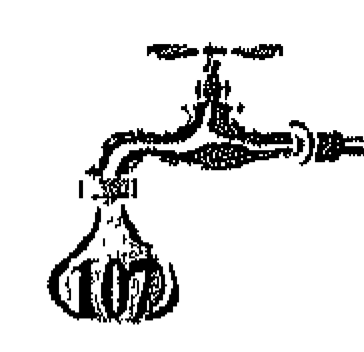
سياسة الاندفاع وراء الأموال.. ظاهرة مقلقة مدمرة.. خاصة عندما تتحول إلى هجمة من القلّة.. لاستباحة الحقوق.. أيّاً كانت.. منها حقوق المدينة والبيئة.

سياسة الاندفاع تتحول في مرحلة أخرى إلى سياسة الهرولة.. (الحق يا ما تلحق).. الهرولة وسيلة أوصلت العرب إلى عالم نجومية فوضى الرأي والمواقف.. مثل مدنهم وشوارعها.. حيث سياسات الاندفاع والهرولة.. فهذه حوادث السيارات المهرولة بفعل العقول المندفعة.. وهذه هرولة المخالفات في المدينة..وهذا التطاول على البيئة.. كجزء من الاندفاع نحو المال.. هذه أيضاً سياسة الاندفاع لتجاهل هذه التجاوزات من قبل الجهات المسؤولة.

سياسة الاندفاع لا تحتاج إلى دراسة جامعية أو الحصول على شهادات عليا.. المصالح تحرك الاندفاع.. قد تكون مادية.. أو نفسية.. أو اجتماعية.. أو حتى مجرد جهل.. لذلك تجد العرب مشبوهين.. وهذه مذابح أهل فلسطين على قدم وساق عربي مهرول مندفع في سياسة الأمر الواقع للعصابات اليهودية.

الغريب أن العدو الإسرائيلي أصبح هو الذي يقاطع وليس العرب.. هذا مؤتمر قطر.. امتنعت وزيرة الخارجية الإسرائيلية عن الحضور.. هذا اندفاع عربي وتعقل إسرائيلي.. الأمر لا يصدق.. إسرائيل احترمت الشعوب العربية بعدم الحضور.

نتعجب عندما نرى أكثر من جهة حكومية تشارك في سباق الاندفاع.. وكان وقفاً على وزارة الزراعة والمياه.. انضمت أمانة الشرقية إلى نادي الاندفاع.. اندفعت لاستثمار أرصفة وسط مدينة الدمام.. بهذا الاندفاع.. هل تصبح أمانة الشرقية الأولى على مستوى المملكة؟.. سمحت لنفسها بتحويل الرصيف إلى محلات تجارية.. فهل



تحلل أمانة الشرقية لنفسها ما تحرمه على المواطنين!؟

نسأل.. أي مادة نظامية أجازت لها هذا التصرف!؟.. لا بد أن يكون هناك مبررات هادئة.. مطبوخة على نار هادئة مثل مبررات زراعة القمح.. التي لم ترد في خطط التنمية.. هل هذه المبررات كافية لمنح أمانة الشرقية الشهادات العالمية والدروع.. مثل وزارة الزراعة والمياه التي حصلت على الكثير منها بسبب زراعة القمح!؟

أصبحت المملكة.. وهي الدولة الصحراوية.. سادس دولة في إنتاجه.. كل هذا بسبب سرد المبررات الهادئة التي تتحدث عن القمح كإنجاز وليس مشكلة.. هكذا أمانة الشرقية.. في تصرفاتها مع الحدائق والأرصفة والأشجار.

كل شيء في سياسة الاندفاع يبدأ بفكرة صغيرة.. يتم الترويج لها.. ثم في خطوات أخرى يتم مباركتها كإنجاز حضاري.. الأمر لا يختلف عن مشاريع التناقضات العربية.. وأيضاً الدول المتخلفة.. دولة جف نهرها بالكامل بسبب اعتماد فكرة زراعة الأرز في صحرائها.. لكن النهر الشاهد الوحيد على سخافة الإنجاز تبخر في وضح النهار.. ضاعت وتبخرت الإنجازات.. لكن بعد أن استفاد أصحاب المصالح في غزوتهم تلك.

في المرحلة الأولى لتأجير الرصيف كان لا بد من توسعته.. فكان مشروع تطوير حي السوق الذي جعل اتجاه سير السيارات في الشارع أمام الرصيف في اتجاه واحد.. وهذه خطوة جعلت الرصيف بعرض كبير جدّاً.. كنتيجة، يضيع الناس على بلاطه الأحمر.. وهناك رصيف آخر.. أيضاً بيارق الاستثمار ترفرف في سمائه بالقرب من مسجد الملك فهد يرحمه الله.

وجود الرصيف أمام المقبرة التاريخية وسط الدمام.. يعني

أمواتاً ليس لهم مصالح.. لا ندري هل هناك نظام يقر بهذا في الوزارة المعنية؟.. أم أن الأمر لا يختلف عن فكرة زراعة القمح التي كانت مجرد وسيلة للثراء.

وزارة الزراعة والمياه تجاهلت استنزاف المياه.. اندفعت في تشجيع زراعة القمح.. أمانة الشرقية أيضاً تجاهلت شعار أسبوع الشجرة رقم (29).. لعام 1426 الذي يقول: (نحو مدن وقرى خضراء).. احتفلت به أيضاً كجزء من تصميم تقطيع الأشجار.. ربما لتوظيف الأصباغ الخضراء كواجهات تحقق الشعار مستقبلاً.. فات أمانة الشرقية أن (30) بالمئة من مساحة أي مدينة يجب أن تكون مزروعة بالأشجار.

هل سمعتم عن نظام يسمح بإقامة أي بناء على أي رصيف في أي مدينة؟!.. هل سمعتم عن نظام يسمح بالتعدي على الأرصفة حتى من الأمانة نفسها؟!.. هل سمعتم أن هذا أسلوب يحترم المدينة ويحترم تاريخها ويحترم سكانها؟!.. هل سمعتم أيضاً عن نظام يسمح بقطع أشجار الحدائق واجتثاثها ويحولها إلى مشاريع استثمارية وملاعب ومراكز ترفيه؟!.. هل سمعتم عن نظام يسمح بقطع الأشجار بعد زراعتها على الأرصفة؟!.. هل سمعت أمانة الشرقية بنداء الحبر على الورق الذي يقول: ازرع ولا تقطع؟!

يمكن معالجة الأمراض في بدايتها.. لكن يمكن تجنبها بالوقاية.. إذا استفحلت الأمراض.. لا بد من عمليات جراحية لمعالجتها.. يموت المريض وكان يمكن إنقاذه من البداية. ....

22

كل التقارير العالمية تشير إلى أزمة مياه في المنطقة العربية.. يتكرر ذلك مع كل تقرير سنوي.. مبدية القلق من النتائج.. هذه التقارير أكثر قلقاً.. أكثر اهتماماً من العرب على مياههم.. هل يأخذ العرب بهذه التقارير؟!.. هل يهتمون؟!.. هل يتجاهلون نتائج أبحاث علمائهم؟!.. هل يتقاعس العرب عن أزمات المياه في بلادهم؟!.. البعض ينفي وجود مشكلة مياه.. عندما يصرحون بعكس واقع الحال.. السؤال: إلى أين نحن متجهون؟!.. يا عرب مياهكم في نضوب مستمر.. ماذا أنتم فاعلون؟!.. لكن دعونا نتحدث عن واقع المياه في المملكة.

تحتل زوابع العجب والتعجب كامل مساحة قواي.. عندما يشير البعض إلى أن نتائج أبحاث العلماء في المملكة.. عبارة عن آراء صحفية.. هناك من يتجاهل هذه الأبحاث.. هناك من ينعتها بالكثير من الأوصاف التي تقلل من شأنها.. البعض يعلنها في وضح النهار ويعتبرها كلاماً (فاضيا).

إذا كان هذا هو السائد حتى في الوزارات المعنية.. فكأنهم بهذا يدعون إلى إقفال الدراسات العليا في الجامعات.. أيضاً إقفال باب البعثات للدراسات العليا.. وأيضاً إلغاء مراكز الأبحاث في الجامعات.. كأنهم يتمنون إرسال علماء الجامعة إلى التدريس في رياض الأطفال.

بعض التصريحات تصدر عن عقليات إما أنها جاهلة.. أو غير

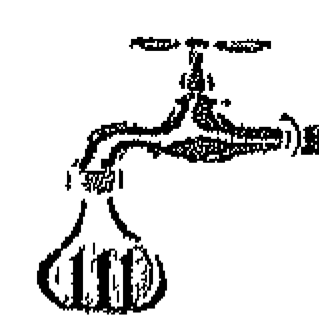
مكترثة وغير مهتمة.. أو عقليات أضناها التعب.. خاصة عندما تدعي أن الأمر مبالغ فيه.. أو تدعي بعكس ما تقول التقارير ونتائج الأبحاث في الجامعات.. تصريحات غير موفقة وغير مريحة.. خاصة عندما تصدر من أصحاب الشأن.. إنهم يعطون انطباعاً بأنه لا مشكلة.. كأنهم يتعاملون مع أوهام وليس حقائق.

نحن في المملكة نواجه أزمة ماء.. نعم نواجه أزمة مياه جوفية حقيقية.. لا مجال أبداً للتصريحات التي تنادي بعكس ذلك.. لا نريد أن نسأل عن أسباب تجاهل الأصوات العلمية في الجامعات السعودية المهتمة بالمياه؟!.. التجاهل يعني التمادي في استنزاف المياه الجوفية.. يا ليت الأمر توقف عند هذا الحد.. لكن التجاهل طال حتى خطط الدولة الخمسية في جميع مراحلها.

نادت بلغة عربية واضحة ومفهومة إلى الكثير من التوصيات التي تجاهلتها الوزارات المعنية في وضح النهار.. مثلها مثل تجاهل العلماء في جامعات المملكة.. ما زال التجاهل مستمرّاً.. لا عجب في حال نضبت المياه الجوفية.. وهناك من لا يرى شيئاً حوله.. لا يرى إلا ما يريد أن يراه.. وهناك من يزين ذلك.

المملكة من أفقر عشر دول في العالم في مجال المياه.. هذه مناطق الدرع العربي، أصبح ماؤها غوراً.. لنأخذ منطقة الباحة كمثال.. جفت جميع أوديتها المشهورة.. جفت أيضاً الآبار التي تعتمد عليها قرى المنطقة.. أودية أصبحت متصحرة بعد موت أشجار بساتينها.

وهذا وادي (القعرة) الذي ذكره الشيخ (حمد الجاسر) رحمه الله في كتابه: في سراة غامد وزهران.. أصبح جافّاً، شاهداً على عمق المشكلة.. لمعرفتي بهذا الوادي.. أقف اليوم أمام كارثة حقيقية حلت به وبغيره من الأودية المشهورة.. كارثة نضوب المياه وجفاف آبار الأودية في منطقة الباحة وأيضاً مناطق الدرع العربي.. لها الكثير من الأسباب التي يمكن تلافيها..



سأعود للحديث عن هذا الموضوع في مقالات قادمة إن شاء الله.

الأمر لا يختلف عن الأحساء التي عشت أيضاً في ربوعها.. عرفت عيونها طفلاً وشابّا.. شاهدت مياه هذه العيون الفوارة.. استمتعت يوماً مضى.. مع غيري.. بمياه هذه العيون.. اليوم أصبحت هذه العيون جزءا من التاريخ.. بعد أن جفت مع نهاية عقد الثمانينيات من القرن الماضي.. أصبحت أطلال هذه العيون شاهدا على ضياع المياه.. وقد كانت تعطي بغزارة.

كان ارتفاع عمود الماء المتدفق من فوهة هذه العيون يصل إلى ارتفاع مترين فوق سطح الأرض.. الآن أصبح الماء على بعد يزيد على (30) متراً تحت سطح الأرض.

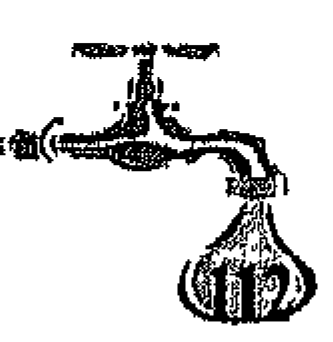
مع كل هذه الحقائق تجد من يقول: إن مياه الأحساء لن تنضب.. يتعاظم التعجب عندما يصدر من مسؤول مسموع الكلمة.. نحن نعرف أن مياه الأحساء أو غيرها لن تنضب فجأة.. لكن النضوب حتمي في ظل مؤشرات الاستنزاف.

كانت عيون الماء منتشرة في جميع مناطق المملكة.. منها عيون وادي فاطمة.. اليوم جميع العيون جفت في جميع أنحاء المملكة ومنذ سنوات.. أصبح ماؤها غورا.. هناك قرى ومدن تعاني من شح المياه.. هل نستطيع تأمين المياه لكل قرية وهجرة ومدينة؟!

كيف يمكن لنا مواجهة شح المياه الجوفية ونضوبها؟!.. قدم كاتبكم إجابات.. لكن تم تجاهلها.. اعتبروها كلام جرائد كما يقولون.. إذا لم يتم تبني الحلول العلمية.. أنصح بتهجير سكان الهجر والقرى وسكان المناطق الداخلية إلى المدن الساحلية.. لتسهيل توفير خدمات مياه البحر المحلاة.

دعوة جديدة ليس لها سابق.. قد تبدو للبعض غريبة.. لكن في ظل الظروف والمؤشرات تصبح دعوة مقبولة وحلاً أفضل لمواجهة المستقبل.

هذه مناطق الدرع العربي ومياهها الجوفية المتجددة في تناقص



مثير.. في هذه المناطق تكون الكارثة أكبر والمصيبة أعظم.. لأنها مناطق تعتمد على مياه الأمطار التي تضيع بدون أدنى مسؤولية.

هناك دراسات تشير إلى أن مقدار السحب يفوق التعويض.. ماذا عسانا أن نعمل لمواجهة هذه المشكلة؟!.. قدم كاتبكم حلولاً لتغذية المياه الجوفية في أكثر من لقاء علمي.. كان وما زال نصيبها التجاهل.

مع شكري للعلماء الذين تبنوا الحل الذي طرحه كاتبكم.. خاصة علماء جامعة الملك عبد العزيز في مركز الدراسات المائية.

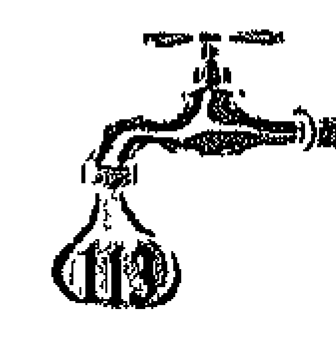
الهم والشغل الشاغل في الوزارات المعنية الحديث عن المزيد من الموارد المائية.. لكن لا أحد يتحدث عن تنمية الموارد المائية الجوفية.

نتجاهل النظر إلى الخلف لمعرفة نتائج الأفعال والممارسات.. نسعى إلى الأمام لا نعرف إلى أين؟!.. وأيضاً لماذا كل هذا السعي؟!.. نتجاهل التاريخ الذي يسجل.. هل كانت الخطوات صحيحة وثابتة؟!

ما هي نتائج الاندفاع نحو التوسع الزراعي غير المدروس؟!.. هل بدأنا مرحلة تصحيح ومعالجة مرحلة الزراعة العشوائية والتوسع الزراعي السريع؟!.

هناك تجاهل.. لا أقول مقصود.. لكن ما زال هناك اندفاع للبحث عن مزيد من المياه.. ثم نمارس أقصى ثقافة التبذير.. أقصى ثقافة الاستنزاف.

نحن قوم نستنزف الماء بشراهة.. ونديره بدون عناية.. ونستعمله بدون اكتراث... ويستمر الحديث. ...



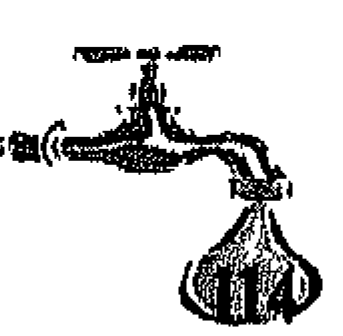
23

● تحدثت في المقالة السابقة عن التاريخ.. لست بصدد البحث عن فلسفته.. لكن الحديث يمتد إلى محور العبر والدروس التاريخية.. توصل الإنسان إلى حقيقة أن التاريخ لا يعيد نفسه إلا على الأغبياء.. لكنها مقولة غير صحيحة.. عندما نحاول تطبيقها على العرب.. العرب ليسوا أغبياء.. هم أصحاب رسالة.. تواقون لصنع التاريخ.. بجميع أشكاله وألوانه.. يقدمونه للعالم كنموذج للاستفادة.. حتى في مجلس الأمن..حتى في مجالس منصات إطلاق الصواريخ.. وحتى في مجالس الإعداد لحروب المياه القادمة.

● يظل العرب على رأس الأمم .. يجددون إصدارات التاريخ لـ(يبقى) طازجاً.. تتعدد إصدارات التاريخ بـ(فضل) عقول العرب.. المختلفة والمتفقة.. المتناقضة والمتجانسة.. الكارهة والمحبة.. الطاردة والجاذبة.. المتجاهلة والمكترثة.

عقول.. طالت واعتلت وتشعبت حتى وصلت إلى أعماق الأرض لـ(تستنزف) المياه الجوفية.. ولـ(تجفف) العيون العربية الهادرة.. إضافة إلى تجفيف الأنهار العربية على ندرتها.. هل يعود ذلك إلى تجفيف منابع الإبداع العربي طوال القرون الماضية؟!.

● العالم يخترق حواجز طبقات الفضاء العليا إلى الأعلى.. العرب



يخترقون حواجز طبقات الأرض العميقة إلى الأسفل.. وكل له هدف.

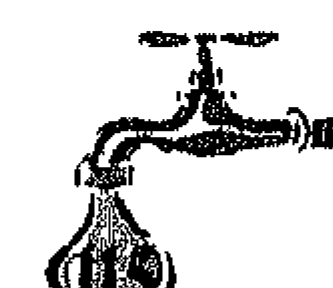
هناك نسخ عربية من التاريخ ليس لها تفسير حتى الآن.. العقل العالمي وذاكرته لم يستوعبا بعد أسباب صنع هذه الإصدارات العربية.. نحتاج إلى سلسلة من العقول التي يمكن ربطها بعضها مع بعض من أجل زيادة مساحة إنتاج الفهم والإدراك.. ربط هذه العقول شبيه بـ(آلات) الطرد المركزي التي يسعى العقل الإيراني لـ(ربطها) لـ(إنتاج) جرامات معدودة من الوقود لـ(تدفئة) الأرض العربية.. ربما من برد وصقيع تخلف أهله.

أمريكا بعيدة عن طهران.. هكذا نعرف.. البيت الأبيض لا يحتاج إلى وقود لـ(التدفئة).. أهداف الجميع تدفئة المياه العربية الجوفية لـ(تسهيل) استخدامها في محل (نتافة) الدجاج الوطني.

أصبح وجه الأرض العربية حارّاً وساخناً بـ(فعل) البركات الأمريكية التي توزعها على العرب من فلسطين إلى العراق.. هذا ما جعل الأرض العربية تغلي مراجلها.. بـ(فعل) هذه البركات والممارسات الأمريكية.. التي لم تتوقف.. خاصة بعد أن أصيب العرب بـ(مرض) الوهم الذي جعلهم يصدقون بأن لديهم بحاراً من المياه العذبة.

العرب أذكياء.. لا أحد ينكر ذلك إلا فلاسفة اليهود.. وحكماء البيت الأبيض الذي يتجاهل الرأي العربي.. يستنزف العرب المياه الجوفية بـ(غرض) تبريد النفس العربية من لهيبها عبر تاريخ القهر الاستعماري.. أيضاً لـ(تلطيف) المناخ العربي من جور وقهر سلاح الفيتو الأمريكي.. لهذا تسعى إيران إلى الدخول في اللعبة.. ساعية إلى تسخين المياه الجوفية العربية عن طريق مفاعلاتها ربما لـ(سلخ) الشيطان الأكبر في باطن الأرض العربية.. ونتساءل عن الكيفية؟

أمريكا هي الأخرى تغض العين عن طهران لـ(أنها) تعلم أن



الأرض العربية تواجه أزمة مياه.. هذا يعني الزج بـ(طهران) في الصحاري العربية كـ(جزء) من خطة القضاء على إيران.. طبعاً المنتصر الوحيد هنا هم العرب.. لـ(أنهم) يعرفون ويدركون أن الضب ذو قدرات فائقة في تحمل رعونة الصحراء.

اخترع العرب العباءة يلبسونها ويزول العطش.. عند العرب هناك عباءة لكل شيء.. منها عباءة تحلية مياه البحار المالحة.. بـ(نظريات) ومعدات عالمية.. غير قابلة لـ(التخريب) أو التدمير بـ(فعل) الأمل الإيراني القريب أو الأمل العالمي البعيد.. حتى لو تم إجبار مجلس الأمن على الموافقة.

هناك من يزور الحقائق.. فعلها الفاعلون مع العراق العربي لـ(تمرير) الأهداف.. ثم كان سفك الدماء العربية في وضح النهار.. قبلها كانت فلسطين.. وما زالت.. ورغم ذلك يظل العرب منتصرين.. رغم أن إسرائيل هي القنبلة النووية الحقيقية في قلب الأرض العربية.

تعامل العرب مع الماء لا يختلف عن الأسلوب العربي في الحوار مع الطرف الآخر.. العرب يدخلون من الباب ثم يضيعون في ممرات الأشياء.. ثم يخرجون من باب آخر بدون نتائج إيجابية.. لكن سرعان ما يعودون لـ(تصحيح) المسار.. لكنهم يجدون أنفسهم في مسارات جديدة وهكذا.

ولأني من العرب العاربة.. سـ(أعود) بكم إلى منبع جذوري محاولاً التنصل من الأسلوب العربي السائد والدخول مباشرة في موضوع المياه الذي نتساءل على أية حال هو.. بعضكم سيحمد الله على نعمة العقل.. هناك عقل ظامئ وعطشان.. هو العقل العربي.. كأرضه.

المياه قضيتي.. أطرحها أمامكم محاولاً كسب تعاطفكم.. دفاعاً عن نفسي وعن (دكاترة) الجامعة الذين يتعرضون لـ(الكثير) من

التهم أهمها أنهم منظرون.. يعيشون في أبراج عاجية.. لا يعرفون الواقع.. ليس لهم اتصال بـ(الناس).. البعض يقول ما عندهم سالفة.. إلخ.

كما ترون هذه سلسلة من أجهزة الاتهامات تفضي إلى صنع رأي عام ضدهم من البعض لـ(أطماع) لا أقول عنها مائية.. هذا جزء من إهدار الطاقات لا يختلف عن إهدار المياه واستنزافها.

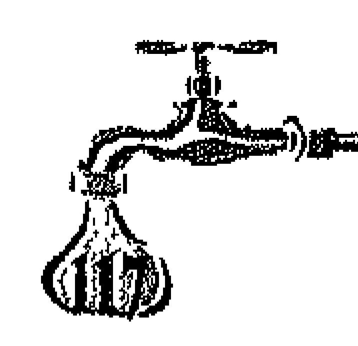
في المقالات القادمة نماذج لـ(تجاهل) المتجاهلين في بعض الوزارات المعنية.. بعيداً عن تجاهل العلماء وأصواتهم في الجامعات السعودية.. لـ(أنها) قضية تحتاج إلى نقاش طويل.. الحديث القادم سيركز على تجاهل محاذير خطط التنمية حول المياه الجوفية.

من المعلوم أن أول خطة لـ(التنمية) في المملكة صدرت عام (1970).. تستمر كل خطة لـ(مدة) خمس سنوات، يعقبها خطة أخرى لـ(مدة) خمس سنوات أخرى وهكذا.. ولّى زمن الخطط السابقة.. كما انتهى الكثير من (دكاترة) الجامعة موتاً بعد تقاعدهم دون الاستفادة من عقولهم العلمية وخبراتهم في مجال البحث العلمي.

البعض ما زال في مرحلة التقاعد يتفرج على نفسه.. البعض الآخر على وشك التقاعد.. لذلك لا نسأل عن أنفسنا كـ(بقايا).. لكن نسأل عن (الدكاترة) الجدد وأيضاً خطط التنمية الجديدة.. نسأل: هل سيتغير الحال لـ(مصلحة) المياه؟!

حتى تكون الفائدة كبيرة.. لا بد أن يكون هناك (مجموعات) عمل من جميع علماء الجامعة.. في كل وزارة حسب التخصصات.. لـ(تصبح) الخبرة تراكمية وأيضاً لـ(يكون) الإنتاج ذا جودة وتأثير.

كما ترون: عقول يتم ربط بعضها مع بعض.. لـ(يتم) قدح شرارة



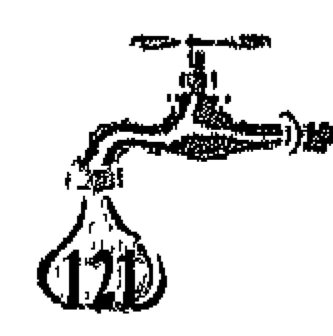
إنتاجها.. لـ(خدمة) قضايا البلد.. خاصة قضايا المياه.. العقل الواحد والرأي الواحد والفكرة الواحدة تحمل في طياتها تغييباً لـ(الكثير) من أسس النجاح المطلوبة.

العقول عندما يتم ربط بعضها بـ(بعض) تعطي نتاجاً يتفوق حتى على القنبلة النووية.. العقول العلمية التي توظف البحث العلمي تعطي حلولاً لـ(مواجهة) أي مشكلة مهما تعقدت حتى في مجال المياه.

هناك من يهتم وهذه جائزة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز لـ(المياه) شاهد على احترام العقل العلمي.. ومعلم لـ(الخير) والعطاء والاهتمام.. ويستمر الحديث. ...

مقالات 2007

من الضروري اتخاذ إجراءات فورية



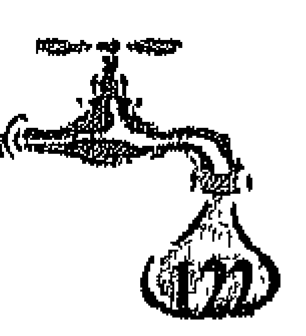
24

♦ هل هناك إزعاج من مواصلة الحديث عن الماء؟!.. هل هناك مشكلات أخرى يرى البعض أنها أولى وأهم؟!.. هل هناك من يدعي أن الماء ليسَ قضيته الأولى؟!.. هل يطالبون بالحديث عن هموم أخرى.. يرون أن لها الأولوية في حياتهم؟!.. هذا رأي خطير.. هناك أيضاً مسؤولون.. لا يرون خطورة وضع المياه ومشكلاتها.

♦ هناك من يتجاهل حماية الماء.. هناك منٍ يتجاهل الحفاظ عليه.. هناك من يتجاهل الاهتمام بـ(الماء).. أيضاً هناك من يتجاهل حتى تنميته كـ(مورد).

♦ المقالات التالية سـ(توضح) بعض مسارات التجاهل وعدم الحماية.. الأمر الذي يجعل كاتبكم يسأل: كيف حال الماء؟.. وقد أصبح الوضع أكثر تشاؤماً.. لكن ما زال هناك نافذة أمل.. يبدد نورها مسارات جزء من خيوط ذلك التشاؤم.. هذا ما يجعل كاتبكم مستمرّاً في الكتابة عن الماء.

♦ الماء هو الحياة.. وأيضاً هو الموت.. الماء هو المورد الأهم في حياتنا.. عرف من عرف.. تجاهل من تجاهل.. تعامى من تعامى.. هناك من يقول أيضاً (طز) بـ(طرق) كثيرة.. على الرغم من وجود قناعة من الجميع بـ(أنه) بعد الله تتوقف الحياة على هذا السائل الذي



لا لون له ولا طعم ولا رائحة.

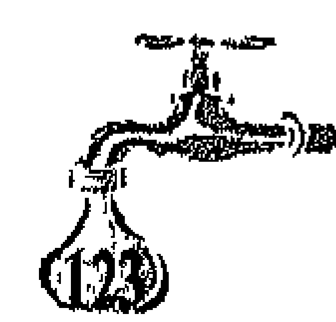
الكل يدرك أن الإنسان يستطيع الصوم عن الزاد لـ(فترات) طويلة.. لكنه لا يستطيع الصوم عن الماء.. الكل يعي أن العطش قاتل سريع.. وقلة الماء فقر مقيت وعوز بغيض. هكذا تتصحر الأرض في ظل شح المياه.. ومع ذلك هل من مكترث؟!

سبق لـ(كاتبكم القول: إن القلق على المياه قلق مشروع.. كنتيجة، يجب تنمية هذا القلق وإشاعته بين الناس كـ(ظاهرة) صحية.. يجب أن يكون هو القلق الأول لـ(جميع) الناس في المملكة.. يجب أن يحظى الماء بـ(الاهتمام) الأول على جميع الأصعدة.. ويجب أن يكون الماء هو المحور الوطني الأهم في جميع الأوقات.

ولنا من التاريخ عبرة.. أثبت التاريخ عبر العصور.. أن الدول الفقيرة بـ(الماء).. ليس لها حضارات.. وليس لها مستقبل.. وجودها مهدد ودورها هامشي في ظل نقص المياه.

إذا كان السؤال السابق لـ(كاتبكم).. يوحي وينبئ بـ(وجود) وضع غير صحي لـ(مورد) الماء في المملكة.. فـ(إن) هذا يعني أن الماء لا يمر بوعكة صحية يمكن علاجها.. الأمر أشد خطراً.. أشد فتكاً بـ(المستقبل).. حيث لا يوجد وصفات علاجية تعمل على استرداد الماء الذي استنزف وذهب هدراً في وضح النهار.

الأمر صعب ويحتاج إلى ظروف مناخية خارجة عن السيطرة.. استطاع الإنسان التحكم في كل شيء إلا الظروف المناخية كانت استثناء.. مع تناقص مستويات المياه تظهر المشكلات أمام البشر.. أهمها قسوة التصحر.. وله أيضاً عواقب خطيرة منها الفقر.. وموت النبات.. وهجرة الناس.

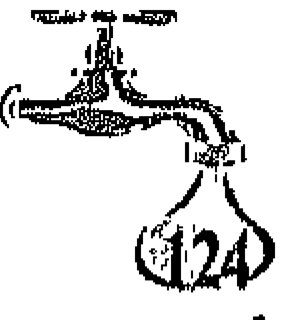


تناقص الماء أشد بأساً على المستقبل.. يعود ذلك إلى عدم توافر الظروف المواتية لـ(تعويض) المياه الجوفية بعد استنزافها.. خاصة المياه الجوفية غير المتجددة.. التي تجمعت في العصور المطيرة قبل آلاف السنين.. بين فراغات الصخور الرسوبية التي تشكل ثلثي مساحة المملكة.. ومنها المنطقة الوسطى والشرقية.. أما المياه الجوفية المتجددة فلها قصة أخرى في مقالات قادمة.

حال الماء يزداد سوءاً بـ(شكل) مخيف.. الأكثر (رعباً) هو استمرار النضوب سنة بعد أخرى.. وكأن الأمر لا يعنينا في شيء.. هناك حزمة من الأسباب.. أفضت إلى هذا الوضع من النضوب المخل بـ(شكل) ملحوظ ومقلق.. من هذه الأسباب وأهمها: ما يتعرض له الماء من سوء إدارة.. ما يتعرض له الماء من سوء استخدام.. ما يتعرض له الماء من إهدار.. وما يتعرض له الماء من استنزاف جائر.

الماء يتعرض لـ(إهمال) (غبي) وأيضاً (أحمق).. دعوني أدع أنه عن جهل وعدم وعي.. الماء أصبح ضحية الجشع والطمع الذي أعمى العيون والقلوب.. الماء كان ضحية الركض خلف المادة.. وليس ضحية التنمية الزراعية كـ(هدف) نبيل لا بد منه.. الماء كان ضحية العشوائية والاجتهادات والتخبط.. الماء لم يكن ضحية التخطيط.. لأن التخطيط لم يكن موجوداً أصلاً.

التنمية الزراعية كانت وسيلة امتطاها البعض لـ(تحقيق) المزيد من الثروة على حساب مورد الماء في المملكة.. وما زال البعض يمارس هذا الدور تحت إشراف وزارات تشجع على هذا النمط من الجشع والطمع.. وحتى الآن لم يتم لجم هذا الاتجاه من قبل الوزارات المعنية.. الاستغلال المادي أخل بـ(كثير) من معايير التوازنات البيئية.. أضر بـ(الماء) وبـ(شكل) يستحيل معالجته.. سواء كان على المدى القصير



أو حتى على المدى الطويل.

- لـ(نتحدث) عن تاريخ مرض نضوب المياه وكيف بدأ في المملكة.. لـ(نقف) على أسباب نرجو أن تتوقف.. وأن يعود الضمير الحي إلى عمله من أجل خلق التوازن وعدم الإفراط والتفريط.. وحتى يكون هناك مستند ينطلق الحديث منه.. بل ويعتمد عليه.. حتى لا يعتبر البعض الحديث مجرد اجتهاد أو حديث خواطر لـ(كاتبكم).

- دعونا نبدأ بـ(خطط) التنمية التي بدأت بـ(الخطة) الأولى عام (1970).. وهي خطط مستمرة حتى اليوم.. حيث وصلنا إلى الخطة الثامنة التي بدأت عام 2005.. وكل خطة تستمر خمس سنوات.. لـ(يكن) معلوماً لـ(من) لا يعلم.

- جميع خطط التنمية منذ بدايتها.. تحذر من نتائج الاستهلاك الجائر لـ(الاحتياطات) المحدودة من المياه.. قدمت التوصيات.. نادت بـ(تحقيق) المصلحة العامة على المدى الطويل بـ(عدم) تبديد موارد المياه.. بل ذهبت إلى تأكيد أن التخطيط لـ(المياه) جزء من التخطيط الشامل.. أعلنت أن ندرة المياه العذبة بـ(المملكة) من أهم المعوقات التي تواجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

- نبهت خطط التنمية أيضاً إلى ضرورة إقامة تنسيق وثيق بين خطط التنمية الزراعية وخطط تنمية المياه.. ولكن.. هل كان هناك أذن تسمع؟!.. هل كان هناك عقل يعي؟!.. هل كان هناك قلب يحس؟!.. بل هل كان هناك مسؤول يدرك العواقب؟!.. يتساءل كاتبكم أحياناً: هل يقرأ الوزراء هذه الخطط؟!.. هل يطلعون على توصياتها؟!.

- هناك أسئلة تفك صواميل الرأس.. عندما ترى الأشياء عكس ما تنادي به خطط التنمية.. الماء كان وما زال أحد أهم هذه الأشياء.. ويستمر المقال. ...✍

25

نعم.. هذا الماء ليس له أي بديل.. ولنا تاريخ نجاح إدارة المياه في المناطق الجافة.. مياهنا جوفية وعميقة.. هي المصدر الوحيد الطبيعي.. خاصة للقطاع الزراعي.. الذي استنزف المخزون.. وجفف المنابع.. وصنع تاريخاً أسود.. يروي تعاملنا غير الرشيد مع المياه الجوفية.. سنتحدث عن هذا التاريخ.. تلافياً لما يقوله حكماء العالم.. من أن التاريخ لا يعيد نفسه إلا على الأغبياء.

التاريخ كله عبر.. أدعوكم الآن لـ(متابعة) تاريخ ما جرى على أرض الواقع.. بداية مع المياه الجوفية في خطة التنمية الثانية.. التي صدرت عام (1975) قبل أكثر من ثلاثة عقود.. والتي كان من أهدافها وسياساتها المعلنة بـ(خط) عربي واضح.. في صفحتها رقم (161) ما يلي: (عدم السماح بزيادة استعمال المياه في الأغراض الزراعية إلا إذا ثبت أن مثل هذه الزيادة تحقق المصلحة العامة على المدى الطويل).

الكلام كان واضحاً حتى لـ(العفاريت) في المريخ.. ولكن.. هل تم الأخذ بـ(هذا) التوجيه؟!.. هل حققت زيادة استعمال المياه في القطاع الزراعي المصلحة العامة على المدى الطويل؟!.. أحترم كل رأي يعبّر عن جواب الأسئلة السابقة.. لكن جواب كاتبكم هو النفي المطلق.. حيث لم

تتحقق هذه المصلحة حتى اليوم.. لـ(الأسف).. العكس هو الذي تحقق.

هكذا توقفت معظم مشاريع زراعة القمح.. بعد أن أصبحت المملكة سادس دولة في إنتاجه.. ثم توقفت بعده أيضاً مشاريع الشعير.. هذا يعني أن هناك تخبطاً وعشوائية واجتهادات غير مبررة.. كان هناك اندفاع وليس تخطيطاً.. كان هناك تجاهل في وضح النهار لـ(كل) مطالب خطة التنمية الثانية التي دعت إلى (عدم) السماح بـ(زيادة) استعمال المياه في الأغراض الزراعية ما لم تحقق المصلحة العامة.

السؤال: هل تحققت المصلحة العامة في ظل الاستنزاف الجائر الناتج عن التوسعات الزراعية غير المدروسة.. والمستمرة حتى اليوم؟!

الماء كان (مطية).. ثم أصبح (ضحية) اجتهاد كان يجب ألّا يكون.. أستطيع القول (إنه) اجتهاد فاسد غير مبرر وغير صحيح.. هكذا أصبح الماء وسيلة لـ(تحقيق) مصالح الاجتهادات والآراء الشخصية والتوجهات القاصرة من قبل الوزارات المعنية.

حتى التراجع كان متأخراً بعد أن استفحل أمر نضوب المياه.. لكن هل يصلح العطار ما أفسده الدهر؟.. مع الماء.. الأمر لا يحتاج لـ(المجازفة).. مع الماء الأمر لا يحتاج لـ(الاجتهاد).. مع الماء الأمر لا يحتاج لـ(التجربة).. ولا يحتاج لـ(التخبط).. مع الماء.. الأمر يجب أن يكون أكثر حذراً.. وتعقلاً.. وحكمة.. مع الماء يجب أن يكون لـ(كل) خطوة ألف حساب وحساب.. مع الماء.. لن يستطيع أي عطار إعادة المياه إلى (سابق) عهدها.. حتى وإن كان على رأسه (كبوس) و(يرطن) بـ(لغة) غير عربية.

هذا يعني أن خطة التنمية كانت منطقية في استخدامها كلمتي (عدم السماح).. هذا يعني أنها دعوة واضحة وصريحة إلى (التوقف) عن التوسعات الزراعية في ظل تلك المحاذير المعلنة.. لكن البعض فهم

كلام الخطة معكوساً.. لـ(ذلك) عمدت خطة التنمية إلى المزيد من التوضيح.. وهي محاولة منها لـ(وضع) (مطبات) في طريق الزحف المتصاعد بـ(سرعة) نحو استنزاف المياه الجوفية.. لـ(أسباب) منها الجشع المادي.. وسيتم الحديث عنها في حينه.

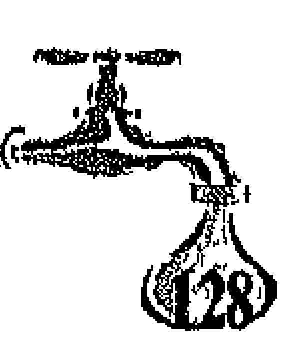
هكذا رفعت خطة التنمية الثانية لوحة كبيرة أمام الجميع.. خاصة لـ(الوزارات) المعنية.. لكن (عدّى) الجميع من أمام هذه اللوحة دون قراءة.. في شكل يشبه إشارات المرور التي لا يلتفت لها أي سائق.

نعم رفعت خطة التنمية الثانية عام (1975) لوحة كبيرة تنادي بـ(فم) مليان.. وبـ(خط) عربي واضح.. وأيضاً بـ(خط) (إنجليزي) واضح.. رفعت لوحة تنادي إلى الاحتكام إلى وضع خطة وطنية.

نعم.. دعت في صفحتها رقم (162) إلى : (إعداد خطة وطنية شاملة للمياه في إطار الخطوط العريضة للسياسة الوطنية وطلب الموافقة على هذه الخطة على أن تتضمن نصوصاً لتنفيذ النظام ومعايير).. هذا هو نشيد خطة التنمية الذي صدحت به قبل أكثر من ثلاثة عقود.

لم يكن.. ولن يكون هناك وضوح أوضح من هذا الكلام.. كانت وما زالت لوحة مشرّفة لـ(وزارة) التخطيط.. لكنها من جانب آخر.. لوحة تدين الوزارات المعنية في وضح النهار.

هكذا طالبت خطة التنمية الثانية بـ(وضع) خطة وطنية شاملة لـ(المياه).. وهي تدرك أن هناك سياسات وطنية لا يمكن تجاهلها.. وحتى لا يكون هناك تناقض في الأهداف وتضارب في المصالح.. دعت أيضاً إلى أنه يجب الموافقة على هذه الخطة.. ثم ركزت على ذكر أن تكون هناك نصوص لـ(متابعة) التنفيذ تكون ملزمة لـ(الجميع) في إطار السياسة الوطنية.. وتكون أساساً لـ(المعايير) التي يحتكم لها



الجميع في ظل النظام.

ليس هذا فقط..ولكن الخطة بـ(كل) ذكاء دعت مبكراً إلى تبني برامج لـ(الارتقاء) بوعي المواطن لـ(مصلحة) الماء.. ولكن الكل كان غائباً عن هذه الدعوة.. التي حثت كما ورد نصّاً على: (زيادة الوعي العام بأهمية المياه مورداً وبالتالي تشجيع السلوك السليم في استعمال المياه والمحافظة عليها).. لا تعليق.

السؤال هل تحقق شيء من تطلعات هذه الخطة؟.. حتى اليوم لم يتم إنجاز الخطة الوطنية الشاملة لـ(المياه).. رغم مرور كل هذه السنين.. حتى في وجود وزارة لـ(المياه).. وحتى لو تم وضع الخطة في الوقت الراهن.. الأمر متأخر جدّاً.

ويبقى السؤال: هل يصلح العطار ما أفسده الدهر؟!.. الإنسان هو الذي يحتاج إلى معالجة وإصلاح.. الإنسان بـ(طمعه) وجشعه وأنانيته يصبح وحشاً كاسراً حتى على المياه وعلى البيئة.. من يجرؤ على وقف هذا التخلف؟!.. من يجرؤ على وقف هذا التطاول؟!

ويظل الماء ينضب أمام العين دون أن تكون هناك أي حسرة أو دمعة.. بـ(تصرفاتنا) المضرة مع الماء.. هل جعلنا أجيال المستقبل تخسر ذلك المستقبل قبل أن تعيشه؟!.. ويستمر المقال. ...

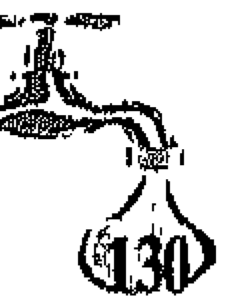
26

نعم.. هذا الماء.. كان ضحية اجتهادات غير مكترثة.. ونسأل: هل ما زال كذلك؟.. ليس أمامنا غير المياه الجوفية.. التي توجد في شكل متجدد مع نزول الأمطار بغزارة.. وشكل آخر غير متجدد.. مخزون في أعماق الأرض منذ العصور المطيرة.. لكنه لا يوجد في كل مناطق المملكة.. لم يدخر أصحاب المصالح جهداً.. في استنزاف.. جميع أنواع المياه الجوفية.. بطرق كثيرة.. مضرة.. مخلة.. لكن الوزارات المعنية.. تباركها.

تعرفنا في المقال السابق.. على تطلعات الخطة الخمسية الثانية عام (1975).. التي لم يتحقق منها شيء.. كل ما حصل.. كان عكس ما نادت به الخطة.. ويتعجب كاتبكم.. عندما يسمع أن أحد المسؤولين عن المياه.. كان يقول: استخرجنا الماء من أعماق الأرض وكنّا (نتبول) عليه.

كان فخوراً بـ(التوسع) الزراعي.. كان يبرر لـ(نفسه).. بـ(فخر).. التوسع الزراعي دون النظر إلى نتائج استنزاف المياه.. نفس المسؤول قال في مقابلة تلفزيونية بعد نضوب المياه: (اجتهدنا).

السؤال: كيف يتم إخضاع وزارة.. ومصالح وطن.. ومستقبل أجيال لـ(الاجتهاد).. في ظل تحذيرات خطط التنمية الواضحة



والصريحة؟!

- هناك غياب لـ(خطة) زراعية.. كما كان هناك غياب أيضاً لـ(خطة) مياه.. هذا يعني أن الزراعة كانت توسعاً عشوائيّاً.. لم تتم دراسة بدايتها.. لم يتم تقدير استدامتها.. كانت زراعة استنزاف أموال.. جففت منابع المياه.. ومستودعاتها الجوفية.

- ما زال كاتبكم يتذكر الذين كانوا (يتندرون) على زراعة القمح في الصحراء.. مورد الماء خذل النجاح.. خذلِ الاجتهاد.. كبح الاندفاع.. كسر التطلع.. الحقيقة تقول: أصبح كابوساً.. كان يجب ألا يكون في ظل المعطيات البيئية والمناخية لـ(المملكة).

- ورغم ذلك، ما زال هناك من يقول.. حتى أمام مجلس الشورى: إن زراعة القمح خيار استراتيجي.

- الحقيقة المرة تقول: ما زلنا نصدّر المياه الجوفية إلى العالم.. كنّا نصدّر حبوب القمح.. وهي (ماء زلال).. نستنزفه ثم نبيعه بـ(أرخص) الأثمان. وكان لـ(الشعير) أيضاً نصيب.. ثم زرعنا الأعلاف.. ونقلناها على ظهور الشاحنات خارج الحدود.. هذه الأعلاف هي الماء الزلال.. الذي نتحدث عن ندرته.. ونشتكي من جور استنزافه.

يا خسارة خطط التنمية.. التي بح صوتها مع أوراقها وحبرها.. كانت تحث الخطا نحو إيقاف استنزاف المياه.. لكن دون جدوى.

- ما زلنا حتى اليوم.. نمارس تصدير الماء علناً وعلى المكشوف.. هذه ثمار (الحبحب).. نصدّرها إلى (الخارج).. على ظهور الشاحنات.. في وضح النهار.. الماء الزلال داخل هذه الثمار.. نبيعه بـ(أرخص) الأثمان.. نستنزفه بـ(المجان).. دون الاكتراث لـ(عواقب) المستقبل على الأجيال القادمة.

• ثمرة (الحبحب) أو (البطيخ) أو (الجح).. عبارة عن كتلة من الماء الحلو.. هل هناك من يدعي عكس ذلك؟!.. لم ننظر إلى كميات المياه في كل ثمرة.. كأن الأمر لا يعنينا.. ما يهم هو أرقام التصدير.. ما يهم هو أرقام الأموال التي تم جنيها.. ما يهم هو التفاخر بـ(مشاركة) القطاع الزراعي في الإنتاج المحلي.. كـ(أن) البلد لا يخسر شيئاً لـ(توفير) المياه لـ(الشرب).

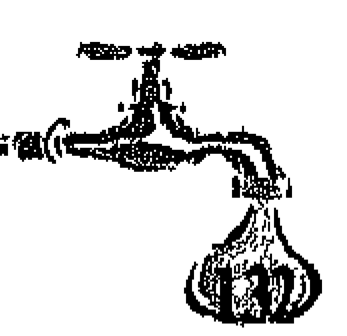
• عجبي من تناقض الأهداف وتضارب المصالح.. عجبي من التجاهل في وضح النهار.

• الحليب.. نصدره بـ(الأطنان) خارج الحدود.. هذا الحليب عبارة عن ماء.. وضعت عليه الأبقار الهولندية قليلاً من اللون الأبيض.. لـ(يصبح) حليباً نفاخر بـ(إنتاجه).. نفاخر بـ(تصديره).. نفاخر بـ(جودته) وأصالته.. نفاخر بـ(نقائه) النابع من البقر مئة بـ(المئة).

• هكذا نزيد الطين بلة.. هكذا نزيد من جور نضوب المياه.. هذه البقرة المنتجة لـ(الحليب) تأكل ما يعادل وزنها من العلف يوميّاً.. هكذا يقول خبراء أبقار العالم الراقي.. وفي ديارنا.. لم يتم احتساب كميات المياه التي تضخ على أجسام هذه الأبقار نهاراً في شكل رذاذ لـ(تقليل) معاناة هذه الأبقار من الحرارة.. آمان يا ربي آمان.

• ما زلنا أيضاً نصدر (التمر).. التمر أيضاً عبارة عن ماء يذهب إلى الخارج في علب (مزركشة).. أحياناً يتم طحن هذا التمر.. وتقديمه علفاً لـ(الحيوانات).. لـ(تشرب) عليه هذه الحيوانات الماء مرة أخرى.. لا يهم من سيدفع فاتورة نضوب المياه؟!

• هناك أيضاً من يصدر الورد إلى (هولندا).. ثم جاء دور البطاطس الذي وصل إلى أوروبا.. وأيضاً الشمام الصغير الذي وصل



إلى اليابان.. هكذا يتم التفاخر بـ(هذا) الإنتاج.

نحن بلد صحراوي.. لماذا ننتج كل هذا الهبل والعبط الزراعي الزائد على حاجتنا؟!.. هل نسقي النبات بـ(أشعة) الشمس بدلاً من الماء؟!.. حتى اليوم ما زال البعض يعتقد أن زراعة الصحراء واستنزاف المياه الجوفية إنجاز وليس عبثاً.

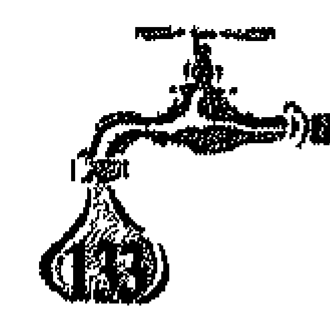
كل هذا حصل ويحصل في غياب الكثير من الحقائق أو تجاهلها ظهيرة.. هل استنزاف المياه الجوفية طيش مراهقة حضارية نعيشها؟!.. لماذا يتم تجاهل التحذيرات المبكرة لـ(خطة) التنمية الثالثة عندما أعلنت في عام (1980) وفي صفحتها رقم (116) أن: (ثمة مناطق بجوار مدينة الرياض أدى الإفراط في استخراج المياه المحلية منها إلى حدوث نقص شديد).

هذا كان بـ(مثابة) تعليق الجرس.. لكن لم يستمع إليه أحد.. سـ(نرى) في المقالات التالية أن هذه الحقيقة تم تجاهلها بـ(الكامل).

سعت أيضاً خطة التنمية الثالثة إلى مخاطبة العقل.. ومخاطبة المعنيين في الوزارة المعنية وهم أصحاب القرار.. أصحاب الشأن في التأثير على قرارات التوسع الزراعي الذي اجتاح المعايير المثالية لـ(نجاح) استمراره.. هكذا تحقق المثل الذي يقول: إذا زاد الشيء على حده انقلب إلى ضده.

رأت الخطة وفق منهجها الصحيح أنه من الصعب الاستمرار في الخطأ.. كان من أمل الخطة الثالثة: [النية خلال فترة الخطة الثالثة وما بعدها إلى وقف ضخ المياه الجوفية والمحلية بشكل عاجل في المناطق المجاورة للرياض].

نعم بـ(شكل) عاجل.. لكن ماذا تعني الخطة عندما تقول:



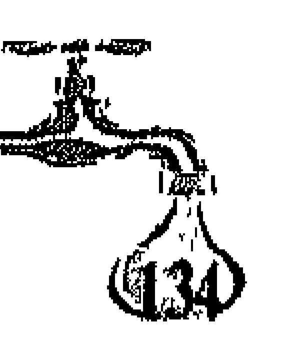
بـ(شكل عاجل)؟!.. لم يتم فهم العبارة.. لم يتم إيقاف ضخ المياه الجوفية والمحلية.

- الخلاصة، لم تتحقق نية الخطة.. لم يتحقق وقف استنزاف المياه.. لم يتحقق الهدف من التحذيرات.. لم يؤخذ بـ(التوصيات).. كان الكل مندفعاً بـ(شكل) مثير .. كنتيجة، تم فقدان السيطرة على رؤية الأشياء الصحيحة.

- كان خيالاً جامحاً.. حول الصحراء إلى مروج خضراء.. الحقيقة تقول: فعل الخيال ذلك.

- لكن السؤال: هل استمرت تلك المروج؟!.. وكم كان الثمن؟!.. السؤال: هل ستستمر المروج الباقية؟!.. وكم سـ(يكون) الثمن؟!

- الماء في بلدنا كـ(الدم).. نزيفه يقود إلى الموت. ...



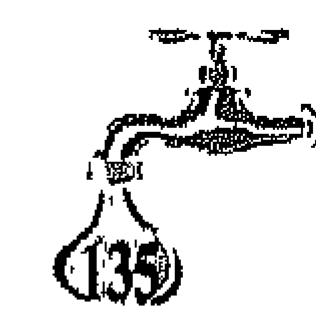
27

نعم.. هذا الماء.. ما زلنا نرسله إلى الخارج.. خروج بدون عودة.. ذلك يحدث.. في غياب الأخذ بتوصيات.. وتوجيهات.. ومطالب خطط التنمية.. وسط التناقضات والمتناقضات.. هل تم تحديد مدى عواقب الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية؟!.. نضوب حاد في مستويات المياه الجوفية.. في جميع مناطق المملكة.. هذا هو الأمر الأكثر رعباً.. عندما نسأل عن مستقبل المياه.

في أمر غير مسبوق.. وبعد ثلاث خطط.. انفجرت خطة التنمية الرابعة غضباً.. في أكبر التحذيرات التاريخية التي أصدرتها وزارة التخطيط بـ(كل) ثقة وجرأة واقتدار.. هل كانت الصرخة نتيجة تجاهل الخطط السابقة؟!.. هل كانت الصرخة نتيجة لـ(عدم) تقدير مدى عواقب الاستنزاف الجائر لـ(المياه) الجوفية؟

خطة التنمية الرابعة في دفاعها عن الماء.. كانت صادقة.. واضحة.. مدهشة.. (عدّاها) العيب.. نسأل: لـ(من) تُكتب هذه الخطط في حال عدم إلزام الوزارات المعنية بـ(نصوصها)؟!.. هل هذا هو المرض الذي نعاني منه؟!.. في ظل التجاهل، هل أصبح الماء ضحية المد المادي والتسابق على الثراء؟!

كاتبكم يعرف أن الأمر أصبح في ذمة التاريخ.. لكنه تاريخ



مهم لـ(أخذ) الدروس والعبر.. وهي قوى مؤثرة لـ(تصحيح) وتعديل المسار.. لنا تختصر هذه الدروس والعبر مسافات الزمن.

ليس من الحكمة.. ليس من العلم.. إخضاع وزارة لـ(الاجتهاد).. هذه الوزارة تقود مصالح وطنٍ وأمة.. هذه الوزارة أيضاً تمثل مصالح وحقوق الأجيال القادمة.. هل نُخضع الوطن ومصالحه ومصالح أهله لـ(المجهول)؟!

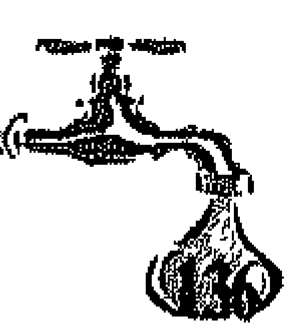
أين العلماء؟!.. أين العلم؟!.. أين الرؤية الصائبة؟!.. أين الاستراتيجية؟!.. أين التخطيط؟!.. أين البرامج؟!.. هذا هو البناء الذي كان يجب أن يكون في وزارات معنية بـ(المياه).

كنتيجة، تحريم الاجتهاد مطلب ضروري في وجود نظريات العلم الذي يضمن النتائج الصائبة.. كنتيجة، يجب أن لا يكون هناك مسؤول يعمل وفق نظرية كان مجتهداً.. هناك خطط من وزارة التخطيط.. ترسم الطريق لـ(كل) القطاعات.. تضمن الاتزان والشمول.. وتتحلى بـ(الواقعية).. تجاهلها منقصة.. والأخذ بها حكمة وتصرف رشيد.

لا بد أن يكون هناك برامج.. نابعة من توجيهات خطط التنمية.. هكذا تكون المسيرة نحو المستقبل المشرق.. بـ(تنمية) زراعية مستدامة.. وليس بـ(زراعة) الضمان.. زراعة العشوائية والاندفاع.. التي استنزفت الماء والأموال ثم تلاشت.

الماء حق مشروع حتى لـ(الأجيال) القادمة قبل أن تولد.. سبق أن قال كاتبكم: (نحن لم نرث الأرض.. لكننا مستأمنون عليها.. فهل أدينا الأمانة؟!).

نعود إلى الخطة التي انفجرت بـ(التوصيات) الهادفة.. بـ(الكثير) من التحذيرات.. بـ(الكثير) من التوجيهات.. كـ(أنها) تقول: (خلاص



يا جماعة.. كفى).. العجيب، كـ(أن) الخطة كانت تؤذن في خرابة.. فترة الخطة الرابعة كانت من أكبر الفترات تجاهلاً لـ(كل) ما ورد في نصوصها.. وذلك استمراراً لـ(التجاهل) الذي حظيت به الخطط السابقة.

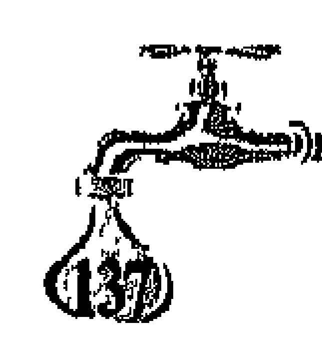
- استمر مسلسل استنزاف وتبديد الماء على المكشوف.. في ظل مباركة من الوزارات المعنية.. بل وفي ظل تفاخر لا نظير له.. تفاخر استطاع إسدال الستار على المحاذير وحجبها.. جعل العيون تزيغ بعيداً نحو الأرقام الفلكية.. التي كانت تتحدث عن إنجازات زراعية لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

- تجاهلوا أن هذه الإنجازات لم تتحقق إلا بـ(استنزاف) وإهدار كميات من المياه الجوفية لا مثيل لها في التاريخ أيضاً.

- هل اختلط الحابل بـ(النابل)؟!.. أصبح هناك من يصرح حتى على المنابر العلمية.. بـ(أن) لدى المملكة مخزوناً من الماء يعادل تصريف نهر النيل لمدة (500) عام.. تصريح ليس له أي مبرر.. تصريح ليس له أية إضافة مفيدة.. تصريح ليس له أي قيمة علمية.. أو حتى بعد علمي يمكن توظيفه لـ(تلافي) الاستنزاف الجائر لـ(المياه).. تصريح زاد من حدة التفسيرات والجدل والتأويل.. هل كان جزءاً من تصريحات خلط الأوراق؟!

- هل كانت الدفة موجهة إلى التفاخر بـ(كميات) المياه المخزونة في جوف الأرض؟!.. هل تناسوا حقيقة أنه مهما بلغ حجم هذه المياه الجوفية.. تظل مياهاً محدودة قابلة لـ(النضوب) مع عشوائية الاستعمال؟!

- هل تناسوا الحقيقة المؤكدة الواضحة المتمثلة في نضوب المياه؟!.. التصريح تجاهل كميات المياه الجوفية المستنزفة سنويّاً.. التصريح



تجاهل الاستنزاف الجائر ومخاطره.. تصريح اعتمد على دراسات يشككون هم في صحتها.. لكنهم يعتمدون عليها وقت التصريحات (الخنفشارية) الغامضة.. في وجود شواهد تقول: أفيقوا أيها القوم.. ماؤكم أصبح غوراً.. أفيقوا أيها القوم.. ماؤكم أصبح غوراً.

- المياه الجوفية تنضب بـ(شكل) سنوي.. ضحية الزراعة العشوائية.. ضحية تصريحات وتقارير لم تقل الحقيقة كاملة.. نضوب المياه هو الحقيقة المؤكدة التي ظهرت.. كـ(مشكلة).. أمام الأجيال القادمة.. وكان يمكن تجنبها.

- جفت جميع عيون واحة الأحساء الشهيرة.. وكانت قبل الطفرة الزراعية تدفق الماء إلى ارتفاع يزيد على مترين فوق سطح الأرض.. الآن وفي نفس موقع هذه العيون.. أصبح الماء على بعد يزيد على (30) متراً تحت سطح الأرض.

- جفت أيضاً جميع عيون وادي فاطمة الشهيرة.. وحتى الآبار في جميع التكوينات أصبح ماؤها غوراً.. هذه شواهد كانت تقول: المياه تنضب في جميع المناطق رغم اختلاف التركيبة الجيولوجية بين واحة الأحساء وبين وادي فاطمة.. هذا يعني أن هناك نضوباً مثيراً ومرعباً تعرضت له جميع المناطق بغض النظر عن التركيبة الجيولوجية لهذه المناطق.

- الخطة الرابعة كانت أكثر الخطط شفافية وقوة وصدقاً.. لم تحجب قلقها عن الأنظار.. أعلنت أن الخطر قادم.. نتيجة الاستهلاك الجائر الذي وصل إلى الاحتياطات المحدودة من المياه.

- الخطة كانت واضحة كـ(الشمس) عندما أعلنت أنه يجب فرض السياسات التي تحد من استنزاف المياه.. لكن استنزاف المياه خلال هذه الخطة فاق كل العصور.. وفاق كل التوقعات.. الأهم.. أن الخطة

الرابعة اعترفت قائلة إنه لم يؤخذ بـ(توصيات) الخطة الثالثة.. هل هناك أكثر توضيحاً لـ(تجاهل) المتجاهلين الذين تسببوا في نضوب المياه؟!.. نتساءل: هل قاد اجتهادهم غير الموفق إلى تعريض الوطن والمستقبل إلى الكثير من الغموض.. والخطر؟!

الماء ليس حلية أو زينة في أرضنا.. الماء ندرة.. هل كان الماء مادة لـ(المزايدات).. والتصريحات؟!.. الماء ضرورة.. الماء عنصر طبيعي لا يمكن تخليقه.. جعله الله أساساً لـ(كل) أنواع الحياة.. كنتيجة، احترام الماء واجب وضرورة ملحة.. أدعو لـ(فرض) ذلك بـ(قوة) القانون المُلزم لـ(الجميع).

في المقالات القادمة.. استعراض لـ(نصوص) خطة التنمية الرابعة حول المياه.. وأيضاً سنتحدث فيما بعد بـ(لغة) الأرقام.. لـ(توضيح) الطفرات التاريخية التي أحدثها التوسع الزراعي العشوائي في مجال استنزاف الماء.

أرقام توضح الاندفاع العشوائي الذي أطاح بـ(كل) التحذيرات.. بـ(كل) النظريات.. بـ(كل) محاذير المنطق.. وبـ(كل) التوصيات.. كنتيجة، كان النضوب الكبير.

نعم، الماء في أرضنا كـ(الدم).. نزيفه يقود إلى الموت. ...

28

نعم.. هذا الماء.. كان هدفاً مهمّاً.. في خطة التنمية الرابعة.. يشير إلى هاجس الخوف من عواقب.. كانت الخطة تسعى لتجنبها.. الماء كنز كنوز العرب.. هكذا السندباد يروي.. تجمعوا حول منابعه.. شيدوا ديار الطين والحجر.. نصبوا بيوت الشعر.. رفعوا بيارق المهارات.. في وفرته.. وأيضاً في ندرته.. مع الزراعة العشوائية.. مع الاستنزاف الجائر.. هل يتحول الماء إلى كابوس؟!

حديث السندباد السابق قد يعطي بعض ملامح مبررات.. لكنه يدفع نحو وعد كاتبكم بـ(تقديم) نصوص المياه التي وردت في خطة التنمية الرابعة.. التي هلّت عام (1985).. نستحضر بعضها في هذا المقال.. بـ(هدف) التعريف.. وزيادة الوعي بـ(أهمية) المياه.. ولا يخلو الموقف من تعليق لـ(السيد) السندباد.

خمس سنوات.. فترة الخطة.. كانت كافية لـ(استيعاب) النصوص.. لكن التجاوزات فاقت المعقول.. في أرقام الإنتاج.. في أرقام المساحات المزروعة.. وحتى في أرقام الأموال التي ساندت.. جميعها وجهت لـ(غرض).. لكن المياه كانت ضحية الاستنزاف الجائر.. ويبقى السندباد يتساءل: لماذا؟

النص الأول: (من المهم جدّاً فرض السياسات التي تحد من



تبديد موارد المياه). ورد في الصفحة رقم (90).

• نص يوحي بـ(العطاء).. كلمات تنساب كـ(الحرير) بين أنامل تنسجه لـ(آخرين).. لوحة جميلة.. ألوانها كلمات.. تكوينها ماء..كل كلمة لها معنى.. لها فهم واحد.. لها بعد واحد..كل كلمة عبارة عن حجر تم تشكيله بـ(عناية).. يؤدي وظيفة محددة في جسم النص.. هذه الكلمات إبداع لـ(وزارة) التخطيط.. نحتت بها جماليات ليس لها حدود.. لكن بـ(معان) لها حدود.

• رأي السندباد في النص.. مال نحو أربع كلمات.. قال عنها: تثير شهوة (الهواش) والتساؤل.. تثير زوبعة الاستنتاج.. لكنها تثير منغصات الجواب.

• يقول السندباد: السؤال قائم لا ينتهي.. الإنسان سؤال.. حياته سؤال.. حتى فناؤه سؤال..

• ثم يطلب من الجميع ملاحظة كلمة: (جدّاً).. يأمر بـ(عدم) التوقف..

• يطلب الاستمرار حتى كلمة: (فرض).. يأمر بـ(عدم) التوقف..

• يطلب الاستمرار حتى كلمة: (تحد).. يأمر بـ(عدم) التوقف..

• يطلب الاستمرار حتى كلمة: (تبديد).. عندها يأمر بـ(التوقف).. لـ(رسم) معالم الأسئلة الحائرة.

• السندباد يأمر بـ(التوقف) لـ(الاستمتاع) بـ(مشاهد) عجائب الصياغة الساحرة.. وجمالية الكلمات.. وقد تناثرت في جسم النص بـ(طريقة) محسوبة.. لـ(تعطي) معنى واحداً.. يقود إلى السؤال: ما العواقب والنتائج إذا لم يتم فرض السياسات التي تحد من تبديد المياه؟!

يقول السندباد: هل تم أصلاً طرح هذا السؤال في أروقة الوزارات المعنية؟

النص الثاني: (قد تواجه بعض مناطق المملكة نقصاً شديداً في المياه في المستقبل القريب إذا لم يتم تبني إجراءات المحافظة على المياه للتحكم في الاستهلاك الجائر للاحتياطات المحدودة).

هذا النص لوحة سريالية.. بها نقوش وأيضاً تحمل رموزاً.. لكنها لوحة نداء واستغاثة.. وهي أيضاً قصة تطوف بك في أكثر من زاوية.. رسمتها كلمات لها طعم ولون ورائحة.. طعم مختلف غير قابل لـ(التكذيب).. مرد هذا الطعم كلمة: (نقصاً).

أيضاً هناك لون ثابت يعطي عدة قراءات.. أساس هذا اللون ومنبعه رموز الشرط والجزم: (إذا لم).

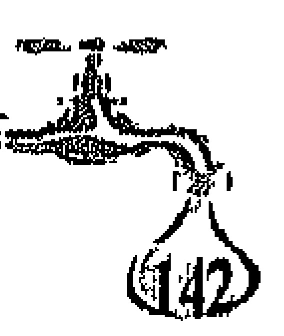
أما الرائحة فـ(مصدرها) واضح حيث تُختزل في كلمة: (الجائر).. كلمة تقود إلى أبعاد.. تحرك مشاعر.. تفجر مكامن استنتاج في النفس الإنسانية.. المتفاعلة مع بيئتها وناسها.

نص مؤدب.. قابل لـ(الفهم) والتشكيل.. نص يعطي حق التحليق في عالم الخيال.. لـ(معرفة) أبعاد المستقبل.. لكنه يقود إلى السؤال الملون الذي يقول: ماذا يمكن أن يسببه النقص الشديد في المياه؟!

يقول السندباد: هذا السؤال الذي ظهر كـ(مارد) من بين كلمات النص.. يتحدث عن مسارات الجهل بـ(قسوة) البيئة.

النص الثالث: (يتطلب الأمر حاليّاً الكثير من التنسيق والمراقبة من قبل الجهات المعنية بتطوير مصادر المياه).

■ أليس هذا نصّاً ذا دلالة قلق؟!.. نص ذو قيمة علمية.. وبعد



استراتيجي.. لكنه في نفس الوقت قصيدة تختزل الحدث في كلمات محددة.. انظر إلى الكلمات.. وهي تعرض مشاهد طريق النضوب الكبير لـ(المياه) الجوفية.

أولها كلمة: (حاليّاً).. هي تعبير عن زمن الخطة.. ثم كلمة: (الكثير).. تجسد متطلبات من المساندة بـ(غرض) الحماية والردع.. الغريب أن الأمر لم يتوقف عند التنسيق.. لكن الخطة جعلت لـ(هذا) التنسيق قوة صديقة.. لها بأس.. تعطي نتائج يُعول عليها.. إنها كلمة: (المراقبة) .

السؤال: هل كان هناك تنسيق ومراقبة؟.. يقول السندباد: بل قد يكون السؤال الأفضل هو: ما مفهوم التنسيق.. ما مفهوم المراقبة.. عند الوزارات المعنية بـ(المياه)؟!

النص الرابع: (وبالرغم من أن خطة التنمية الثالثة دعت إلى المحافظة على المياه فإن الأولويات في قطاع المياه كانت موجهة نحو تنمية الموارد بدرجة أكبر من توجيهها نحو المحافظة على المياه).. ورد في الصفحة رقم (161).

هذا النص يكشف عمق الغربة الواسعة التي عاشتها خطة التنمية الرابعة والخطط التي سبقتها.. النص يخفي سقماً لكنه يعبر عنه.. نص يحاول أن يبحر في ظلام النتائج التي أصبحت معروفة.. نص يكشف بعض الممارسات التي لا يتفق معها دون أن يقول ذلك.. نص أورد التصرفات كـ(حقيقة) واقعة.. هذا النص كان من أهم الكلام الذي صكته وزارة التخطيط لـ(تشكيل) الحدث في قالب الحدث الذي يقول: هناك شيء يجري غير مريح..ويبقى السندباد يسأل: لماذا؟

النص الخامس: (الزيادة الكبيرة في استهلاك المياه تستلزم فرض بعض السياسات الأساسية التي لها صلة بالاستمرار في تنمية

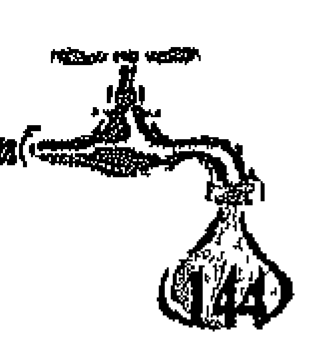
قطاع المياه خلال فترة خطة التنمية الرابعة وما بعدها).. ورد في الصفحة رقم (166).

9 أليست هذه الجُمل تكويناً لـ(قصائد) شعرية منثورة في طريق الوزارات المعنية؟!.. نص يتحلى بـ(كلمات) تتجلى فيها مسارات الدهشة والتعجب.. بـ(جانب) مسارات الحسرة والألم.. بـ(جانب) مسارات الأمل والطموح.. لا تدري أي المسارات يمكن أن تستمر؟!

لكن الصدمة تتخلق مع حقيقة الاستنزاف الجائر لـ(المياه) الجوفية خلال هذه الخطة وما بعدها.

الحقيقة كشفت أن استهلاك المياه خلال فترة الخطة الرابعة فاق ما خُطط له عام (2000).. الحقيقة كشفت تجاوز الخط الأحمر الذي رسمته خطة التنمية الرابعة في دعوتها لفرض بعض السياسات الأساسية.. الحقيقة كشفت أيضاً أن الزيادة الكبيرة في استهلاك المياه ظلت مستمرة.

نصوص مثيرة.. لا يفهمها من يبحث عن العطش..! سلام تعظيم لـ(وزارة) التخطيط. ...



29

نعم.. هذا الماء.. هل يعيد زمن المعاناة..؟!.. قرأتم خمسة من نصوص خطة التنمية الرابعة.. في المقال السابق.. أبحرتم مع كلماتها الدقيقة.. الهادفة.. لا بد أنكم تهتم.. وسط أدغال التساؤلات والاستنتاج.. الخطة أصبحت تاريخاً مضى.. لكن تبقى العبرة.. يبقى الدرس.. لمصلحة المتبقي من المياه الجوفية.

ويستمر عرض النصوص.. التي دلفت نتائج تجاهلها المرعبة مع الزمن إلى المستقبل.. في ظل غياب الخطة الوطنية لـ(المياه) التي دعت إليها خطة التنمية الثانية عام (1975).. والتي لم يتم إنجازها حتى تاريخه.. ماذا قالت خطة التنمية الرابعة (1985) في بقية نصوصها عن المياه؟

النص السادس: (معدلات استهلاك طبقات المياه في عدة مناطق وصلت إلى مستويات حرجة فمن الضروري اتخاذ إجراءات فورية).. الصفحة رقم (169).. نص مثير.. نص يحتاج (عرضة).. تعزز جانب الحماس.. والفهم.. والاستيعاب.. نص يحتاج (دبكة) أهل بلاد الشام.. ولا مانع من سماع صوت الدبيكة.. يرددون: (على دلعونة على دلعونة.. راحوا الحبايب ما ودعونا).. هذا النص أشبه بـ(مسحة) طبية.. قبل وخز الإبرة في عضل الواقع المرير.

وصف لـ(ميادين) الزراعة.. وصف لـ(أوضاع) المياه العميقة في جوف الأرض.. نص سياحي في مسارات التجاوزات.. والتهاون.. وعدم الاكتراث.. مسارات زراعية سادت على حساب المياه.. في ظل تجاهل

تحذيرات خطط التنمية.

هناك أسئلة منها: هل كان هناك عدم اطلاع ومعرفة أصلاً بـ(الخطة)؟!.. هل كان هناك تشكيك في أهدافها؟!.. هل كان هناك عدم اعتراف بها؟!.. هكذا يقول السندباد عندما لا يجد التفسير المنطقي والمقبول.

النص لوحات جدارية تصف النضوب الكبير.. انظر الجدارية الأولى: (معدلات استهلاك طبقات المياه).. انظر الجدارية الثانية: (في عدة مناطق).. انظر الجدارية الثالثة: (وصلت إلى مستويات حرجة).. لك أن تتخيل ما وراء كل لوحة من إحداثيات في الزمان والمكان والاستنتاج.. وأيضاً في العقل والتصرف والنتائج.

انظر الجدارية الرابعة: (فمن الضروري).. تشرح بعد الضرورة ومداها وتأثيرها.. النص ترك مساحة من حرية الحزن المباح.. ثم كانت الجدارية الخامسة: (اتخاذ إجراءات).. تركت تفسير معنى النص وفهمه مفتوحاً على مصراعيه.. (فورية).. كانت الجدارية السادسة والأخيرة في هذا النص.. كما ترون، حبلى بـ(الكثير).. هل تستجدي؟!.. يقول السندباد: في الوزارات المعنية.. وحتى اليوم.. لم يتم تعريف (فورية).. رغم مرور أكثر من ربع قرن.. هل من مكترث؟!

النص السابع: (تقتضي الحاجة تنظيم وتنسيق كافة الأنظمة فيما يتعلق بالمياه).. الصفحة (170).. النص عباءة أدبية.. تزفه طبول الحاجة.. وألم الواقع.. نص له صياغة اختزلت الكثير.. نصٍ يحمل لوحات غير مرئية.. لـ(مشاهد) تحوم في مجاله.. لا تختلف أبدا عن نجم سهيل العربي في سماه.

النص رواية مختزلة.. لها كلمة واضحة المعالم.. في مسارات السياحة المقروءة.. عبر النصوص التي تعرض نفسها لـ(الفرجة) في خطة التنمية الرابعة.. وكـ(أنها) تستجدي على قارعة الطريق.. انظر كلمة: [تقتضي].. السؤال: متى تُستخدم هذه الكلمة؟!.. يرد السندباد: إذا كان هناك حاجة؟.. هنا تظهر صور مشاهد الاستنزاف المشين.. الجائر لـ(المياه).

في هذا النص غردت خطة التنمية الرابعة.. بـ(صوت) جميل يقول: [التنظيم والتنسيق].. لم تتوقف.. واصلت القول: [كافة الأنظمة].. هكذا تقود إلى مغارات وكهوف.. تعرف الخطة مساراتها.. وتعرف مواقع اهتماماتها.. النص أضاء الطريق لـ(كل) المسؤولين بـ(قوله): [فيما يتعلق بالمياه].. توقف السندباد عن التعليق.. ساد الصمت في زمن الاجتهادات والتجاوزات.. تم كتم الصوت.. تم وأد كامل حراكه داخل الصفحات.. كنتيجة، تمددت الزراعة العشوائية لـ(مص) المياه الجوفية وبـ(شراهة).. دون قيود.

النص الثامن: [ستأتي معظم إمدادات المياه في المستقبل من المخزون الاحتياطي للمياه غير القابلة للتجديد].. الصفحة (171).. توقف السندباد حزنا.. ركز النظر.. ركز القراءة.. ركز الفهم.. نصب بيتا من شعر الماعز أمام بوابة المشهد الذي يقول: [المخزون الاحتياطي للمياه].

لم يستطع الوصول إلى العتبة.. كان أمام البوابة الكثير من الحواجز العالية التي تقول: [ستأتي معظم إمدادات المياه في المستقبل من المخزون الاحتياطي].. كيف استطاع المندفعون المتجاهلون تجاوز هذا الحاجز من قوالب كلمات التحذير والتنبيه؟!

كان هناك بيارق خفاقة تقول: [غير القابلة للتجديد].. حاول السندباد العبور إلى مجال الفهم والإدراك.. لم يستطع.. أضناه البحث عن تفسير.. كنتيجة، غادر مرددا: ستأتي معظم إمدادات المياه في المستقبل من المخزون الاحتياطي لـ(المياه) غير القابلة لـ(التجديد).. ومضى في وضع أقرب إلى الهلوسة يردد: (على دلعونة على دلعونة.. راحوا الحبايب ما ودعونا).

أفاق السندباد على رؤية النص التاسع في الصفحة (171): [لذلك تؤكد خطة التنمية الرابعة بشكل رئيس على إدخال إجراءات للمحافظة على المياه وتوفير الإدارة الحازمة لموارد المياه].. وقف مبهوراً.. يا لـ(روعة) التأكيد على الطبيعة الساحرة لـ(هذه) الخطة.. يا لـ(جمال) الكلمات ورشاقتها.. كلمات نافرة مكتنزة بـ(الحيوية) وكامل

النضارة.. كيف غاب أصحاب الاجتهاد عن هذه الخطة؟!.. ولماذا؟!

يقول السندباد.. لاحظ كلمة: [تؤكد].. ويتساءل: لـ(من) تؤكد الخطة؟.. ظل يبحث عن الجواب.. ترك ساحة النص دون تكملة.. قرر فجأة التخلص من أكياس الملح التي كان يحملها..ثم واصل السير.

النص العاشر: [ضرورة إقامة تنسيق وثيق بين خطط التنمية الزراعية وخطط تنمية المياه].. هذا النص قلعة تشع منها خيوط نور الحكمة.. كنتيجة، زادت الحيرة.. لم يفهم السندباد نوايا المجتهدين.. لم يجد التفسير.. هل كان هناك تهور غير محسوب؟!.. يقول السندباد: لم يكن هناك خطة زراعية.. لم يكن هناك خطة مائية.

خطة التنمية الرابعة بـ(هذا) النص انتقلت إلى مسرح اللا معقول.. مسرح أكبر حجماً من الأهرام.. أطول طولاً من نهر النيل.. المسرح يقدم شيئاً في جسم النص اللا معقول.. عنوانه: الضرورة.

بـ(جانب) استنزاف المياه الجوفية، كان هناك أكثر من (100) مليار ريال تم ضخها لـ(الزراعة) العشوائية.. في أقل من ربع قرن.. (70) مليار ريال منها لـ(القمح) وحده.. عرف السندباد أيضاً أن مسئولي وزارة الزراعة يقولون إن توزيع الثروة كان توزيعاً عادلاً.. كنتيجة، السندباد يسأل: من هم الذين استفادوا من هذه الثروة؟!.. ماذا كان نصيب المزارعين في كل منطقة من المملكة؟!

دعونا من المال.. الأهم هو الماء.. رفع السندباد رأسه وقال: يا قوم.. استنزاف المياه الجوفية أشبه بـ(الانتحار).. ويستمر المقال. ...

30

ما زلنا نسبح.. في كبسولة التعجب.. حول مسارات خطط التنمية المائية.. سباحة عبر الكلمة.. معها وصلنا.. إلى مضارب خطة التنمية الخامسة.. ونستمر في السباحة.. لنكتشف المزيد من حرصها.. على المياه الجوفية.. والمزيد من معاناتها من الزراعة.. هل ما زال هناك من يشكك.. في توجهات المدافعين عن الماء؟!

أوقفوا الزراعة.. ظهرت قضايا.. ذات أبعاد متعددة.. كاتبكم يعتبر الماء قضية كل مواطن.. ويجب أن يكون كذلك.. التوسع الزراعي العشوائي مرض.. يشكل خطراً حقيقيّاً.. على الأمن المائي لـ(المملكة).. الأمر يستدعي اتخاذ إجراء عاجل.

أوقفوا الزراعة.. ظهرت قضايا.. ذات أبعاد متعددة.. في غياب توصيات خطط التنمية.. نسأل: ما هي أولويات وزارة الزراعة؟!.. زراعة نهشت أحواض المياه الجوفية.. زراعة استنزفت المياه الجوفية إلى حد الإضرار.

هل كان كافياً فصل الزراعة عن المياه؟!.. الاستنزاف ما زال مستمرّاً.. حتى في وجود وزارة مستقلة لـ(المياه).. هل هناك أولويات في وزارة المياه؟!.. هل من أولوياتها.. حماية المياه الجوفية.. من التوسعات الزراعية غير المدروسة؟!

يقول السندباد: هذه أسئلة ليست لـ(التحقيق) لكنها لـ(التذكير).

أوقفوا الزراعة.. ظهرت قضايا.. ذات أبعاد متعددة.. هل تحذيرات وزارة التخطيط.. مجرد حبر على ورق؟!.. هل وزارة التخطيط محل تشكيك هي الأخرى؟!.. هل تعتبرها وزارة الزراعة ضمن قائمة المشككين؟!

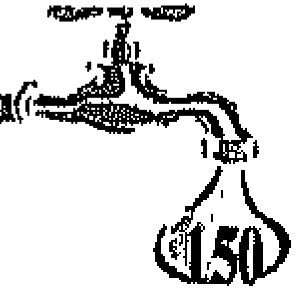
زراعة تسببت في الكثير من الآثار السلبية.. حتى على القطاع الزراعي نفسه.. وشكلت تساؤلاً حول وضع الأمن المائي لـ(المملكة).. هذه حقيقة.. هل تتجاهلها وزارة الزراعة؟!.. هل تتجاهلها وزارة المياه؟!.. يقول السندباد: هذه أسئلة مشروعة يجب أن تثار لـ(المصلحة).

أوقفوا الزراعة.. ظهرت قضايا.. ذات أبعاد متعددة.. هذا الماء ما زال يبحث عن إدارة.. ما زال يبحث عن حماية.. ما زال يبحث عن خطة.. وأيضاً القطاع الزراعي برمته.. مرجعنا خطط التنمية.. خطط رسمية.. مصدرها وزارة.. وليس مكتباً استشاريّاً.. يشرف عليه أصحاب المصالح.

إذا لم يكن على مكاتب المتجاهلين مجلدات خطط التنمية.. يسعد كاتبكم القيام بـ(نقلها) على الرأس في (طشت) صيني.. مع لفها وتغطيتها بـ(قطعة) قماش إفريقية.. حتى لا يراها.. من يعتبرها.. عورة في طريقه نحو الاجتهاد.

يقول السندباد: لماذا (الطشت) الصيني.. ولدينا (الصّحفَة) العربية؟!.. لماذا القماش الأفريقي ولدينا العباءة العربية؟

أوقفوا الزراعة.. ظهرت قضايا.. ذات أبعاد متعددة.. هكذا قالت نصوص خطط التنمية الثانية (1975).. والثالثة (1980).. والرابعة (1985).. اليوم يتوقف القطار السياحي.. بـ(قيادة) السيد



السندباد.. في محطة الخطة الخامسة (1990).. وهي استمرار لـ(صيحات) واقعية.. كانت تنادي في القوم: ماؤكم أصبح غوراً.. ماؤكم أصبح غوراً.. إلى أن قالت: [المشكلة تكمن في كثافة الاستهلاك الزراعي].

حان وقت انطلاق الرحلة مع النصوص.. التي تحكي واقع المعاناة.. يقول السندباد: اربطوا أحزمة التحمل.. والصبر.. والدهشة.. والتساؤلات.

النص الأول: [لم يتم الالتزام بالأولويات المتعلقة باستعمالات المياه].

نص يحمل ثورة إعلان صريح.. واضح.. وجريء.. يسأل السندباد: هل هناك تفسير لهذا النص.. من قبل (جهابذة) وزارة الزراعة؟!.. ماذا يعني لهم هذا النص الذي ورد في الصفحة رقم (105)؟!

نسأل: هل كان الكلام موجهاً لـ(سكان) المريخ؟!.. أم لـ(سكان) عطارد الذي استبعد من المجموعة الشمسية لـ(صغر) حجمه؟!

السؤال الأهم لـ(السندباد): هل استشعروا خطورة النص؟!.. تقول وزارة التخطيط: [لم يتم الالتزام بالأولويات].. علق السندباد قائلاً: ماذا تقول الوزارات المعنية حول هذا التشخيص؟!

النص الثاني: [من المعلوم أن التجاوزات خلال عملية التنفيذ من مبادئ الأولويات لاعتبارات خاصة مسألة عامة في كثير من البلدان يمكن تصحيح مسارها، مع ذلك ففي المملكة أدى ذلك إلى ظهور قضايا ذات أبعاد متعددة بين استعمالات المياه وموارد المياه].

نص مؤدب.. يشوبه الحذر.. هل يقول النص: لا يمكن تعديل

مسارات التجاوزات في المملكة؟!.. في ظل التجاهل والاندفاع والعشوائية والاجتهاد.. ما الثمن الغالي الذي سـ(تدفعه) الأجيال القادمة؟!

لـ(أول) وهلة.. ورد نداء جديد في هذه الخطة.. يقول: [تصحيح المسار].. هكذا يحدث في الدول الأخرى.. أما في المملكة فالأمر يختلف.. ظهرت قضايا لها أبعاد متعددة.

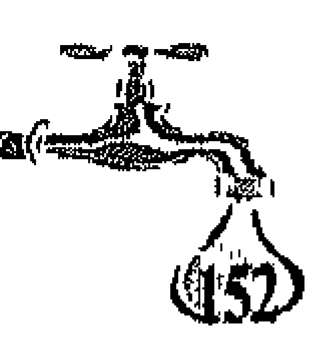
يقول السندباد: هل لدى وزارة الزراعة قناعة بـ(النص)؟!.. نعرف الجواب من خلال التجاوزات.. هل لدى وزارة المياه قناعة بـ(النص)؟!.. نعرف الجواب أيضاً.. لكن نريد أن نعرف.. كيف يمكن إعادة المياه إلى سابق عهدها؟!.. وإلى أي مدى يمكن الاستمرار في الاندفاع الزراعي غير المدروس؟!

ما هي الخطورة؟!.. لـ(ماذا) خلق الخطورة؟!.. أليس هذا نوعاً من أنواع المغامرات.. التي تقود إلى خلق آثار غير محمودة.. وغير محسوبة على الأمن المائي لـ(المملكة)؟!.. هكذا يتساءل السندباد؟!

النص الثالث: [تعتبر استعمالات المياه للأغراض الزراعية في المناطق الداخلية والتي تعتمد على المياه الجوفية غير القابلة للتجدد أمراً طبيعيّاً تقتضيه ضرورة التنمية الزراعية إلا أن المشكلة تكمن في كثافة الاستهلاك الزراعي].

نص منطقي.. نص رشيد.. نص فيه رجاحة العقل.. وحكمة الواقع.. النص يوضح أن ثقافة الإسراف والاستنزاف هي التي سادت.. ثقافة مارسها البعض تحت إشراف الوزارات المعنية.. كنتيجة، حددت خطة التنمية الخامسة المشكلة في كثافة استنزاف المياه الجوفية.

يقول السندباد: هل تستطيع الوزارات المعنية نفي هذا التشخيص المثير.. المؤلم.. المقلق؟!



النص يُذكّر بـ(مقال) كاتبكم.. في مجلة اليمامة عام (1994) بـ(عنوان): [الماء يبحث عن إدارة].. وفيه قدّر كاتبكم.. تكلفة المياه المستخرجة من باطن الأرض.. والخاصة بـ(القمح).. بـ(حوالي) (88) مليار ريال في الموسم الواحد.

المثير، أن (السيد) القمح.. كان يستهلك من هذه المياه الجوفية خلال الموسم الواحد.. ما يعادل إنتاج محطات التحلية في المملكة.. لـ(مدة) (17) سنة.. ثم بعد هذا.. نجد من ينادي بـ(استمرار) زراعة القمح حتى أمام مجلس الشورى.. هذا بـ(خلاف) زراعة الشعير.. والأعلاف.. والنخيل.. والبطاطس.. والورد الذي يتم تصديره إلى (هولندا).

مع هذه الأرقام الفلكية.. أليس من المخجل.. لـ(هذه) الوزارات المعنية.. الإعلان عن فخرها.. وهي تتحدث عن الناتج الزراعي الإجمالي المحلي الذي بلغ العام الماضي (40) مليار ريال؟!

يقولون إنه يمثل نحو (5) بالمئة من إجمالي الناتج المحلي في المملكة.. السؤال الذي تلاه السندباد: كم يصرف الناتج المحلي.. لـ(المملكة).. على التحلية وصيانتها؟!.. بل كم سـ(يدفع) في المستقبل؟!

في حين نهدر مياهنا الجوفية ظهيرة.. وعلى زراعات عشوائية.. ومزارع ترفيهية.. مع هذه التناقضات، كيف يمكن لـ(كاتبكم) أن يلاقي بين أذني الجمل؟! ...هـ

31

♦ نعم.. إيقاف الزراعة ليس كافياً.. مع ظهور قضايا ذات أبعاد متعددة.. ما زلنا نطوف في نصوص الخطة الخامسة.. نبحث في حقيقة التوجهات المتضاربة.. هذه المحطة الأخيرة.. نتوقف معها.. لنواصل في المستقبل.. رحلة الكلمة مع الماء في بقية خطط التنمية.. استرداد الأنفاس ضرورة.. مع بداية الصيف.. حيث الكل مشغول.. بالبحث عن الماء.

♦ بقي كلام غزير.. لكن يجب إنهاء توصيات خطة التنمية الخامسة.. قبل تأجيل نصوص خطة التنمية السادسة التي صدرت عام (1995).. إلى ما بعد الصيف؟!.. بـ(الإضافة) إلى الخطة السابعة التي صدرت عام (2000).. وأيضاً الثامنة التي صدرت عام (2005) وهي مستمرة حتى عام (2010).. الحديث عن الماء لم ينقطع ولن ينقطع.

♦ ثلاث محطات متبقية فيها الكثير.. لكن هناك مداخلات وأيضاً حكايات.. فرضت نفسها قبل تكملة حديث الخطة الخامسة.. يوضحها السندباد.. لكن بدون تعليق أو شرح.. الأمر متروك لـ(التفكير) والتأمل.

♦ الكل مسؤول عن المياه.. هل هناك فرد واحد لا يستخدم المياه

في يومه؟!.. هل هناك بشر يعيشون بدون ماء؟!.. البحث عن الماء في العالم الخارجي أصبح أحد الاهتمامات.. يقولون: مع الماء توجد فرص الحياة.

المُداخلات والحكايات كثيرة.. يقول السيد السندباد: هل كان من نتائج الزراعة العشوائية القضاء على الزراعة كـ(مهنة)؟!. هناك مُداخلة أخرى تقول: الماء له مُدافعون.. وكما يبدو ليس لهم مصالح مباشرة.. الزراعة لها مُدافعون أيضاً.. وكما يبدو لهم مصالح مباشرة.. هل أصبحت الزراعة في حمى المستثمرين والشركات وهم أصحاب مصالح؟!.. هل أصبح الماء كذلك؟!

المُداخلات لها أبعاد.. هل تعزز مسار من يقول إن وزارة الزراعة أحجمت عن القيام بـ(دورها) في دعم الزراعة كـ(مهنة)؟!.. هناك صغار المزارعين.. هل لهم وزارة ترعاهم في كل مناطق المملكة خاصة في مناطق الزراعة التقليدية المشهورة؟!

السندباد لا يبحث عن الجواب.. يبحث عن مبررات استنزاف المياه الجوفية..لـ(سُقيا) زراعة تتوسع خارج النطاق العمراني لـ(المنطق) والعقل والعلم.. وهذه التمور فاقت كل الاحتياجات المحلية.

هل سمعتم عن وجود.. (23) مليون نخلة مزروعة في أرضنا.. هل نحن بـ(حاجة) إلى كل هذا النخيل؟!.. عدد النخيل أصبح يفوق عدد سكان المملكة.. ماذا عن المياه الجوفية التي تُستنزف لـ(ري) كل هذه الأشجار؟

معدل استهلاك الفرد المتحضر في الدول الأوروبية الغنية بـ(المياه) يصل إلى (150) متراً مكعباً في السنة.. لكن عمتنا النخلة الأكثر تحضراً تستهلك حوالي (300) متر مكعب في السنة.. عليكم الحساب.. كم (مليار) متر مكعب تستنزفه هذه النخيل؟!

يقول السندباد: هل يعقل تصدير الماء في التمر؟!.. ثم يسأل ضاحكاً أليس هذا تحايلاً؟!.. وهناك من يشقى لـ(الحصول) على ماء لـ(الشرب) في كثير من المدن والقرى والهجر؟!.. الأمر يدخل عند كاتبكم في دائرة (العبط الزراعي) المُخل بـ(التوازنات) البيئية.

هناك من تعود على ترويج حكاية الوجه الجميل.. وعندما يكون قناعاً.. تصبح المصيبة أكبر.. هل وزارة الزراعة في مجال يحجب عنها حقائق المياه الجوفية؟!.. هل هي في مجال لا تسمع إلا صوتها في أرجائه؟!.. هل هي في مجال لا تعترف بـ(مشكلات) المياه التي تسببت في وجودها؟!.. هل وضعت نفسها منذ البداية في موقع لا ترى منه إلا وجهاً واحداً لـ(العملة)؟!

يقول السندباد: الدليل واضح.. وهذه نصوص خطط التنمية التي تم تجاهلها.. هل أصبحت الزراعة في المملكة ورطة؟!

قبل العودة إلى قطار خطة التنمية الخامسة.. هناك روايات صغيرة لـ(الترفيه) رغم كونها مؤلمة.. قد تساعد على فهم أبعاد أهمية الحديث عن المياه.. وعن المسؤولية.. وعن الأمانة.. البعض سـ(يقول) (طز).. لكن هناك من يكترث ويهتم.. ويكفي أن نعطي لـ(أنفسنا) مساحة لـ(التفكير) والتأمل.. ولا بد أن لديكم مشاهد شبيهة ومختلفة.

لا مانع من قراءة هذه المشاهد على أطفالكم [قبل النوم].. هذا اقتراح دكتور سعودي معلقاً بـ(خط) يده على كتاب لم ينشر عن المياه.. وكانت إحدى جامعاتنا السبع.. قد أرسلته لـ(سعادته) لـ(تحكيم) الكتاب.

لم يعجبه كلام الكتاب.. تخصصه في شعب وتخصص الكتاب ومؤلفه في شعب آخر.. كنتيجة، أوصى بعدم نشره.. كان الأجدر أن

يعتذر عن تحكيم الكتاب.. هذه واحدة من حكايات والاجتهاد الذي يمارس أيضاً في قطاعات أخرى.

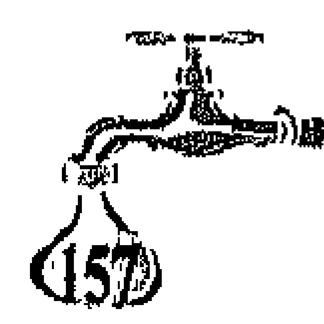
في مثل هذه الواقعة على من يقع اللوم؟!.. يقع على مجلس الجامعة الذي أرسل الكتاب لـ(مُحكم) بعيد عن تخصص الكتاب ومؤلفه.. هل أرسلوه عنوة لكي يرفض الكتاب بـ(طريقة) نظامية؟!.. هذا يحدث في جامعاتنا ومع علمائها.. وحدث مع الماء.. ويحدث مع أمور أخرى كثيرة.

لا ألوم هذا الدكتور الذي أوصى بـ(عدم) نشر الكتاب.. لكن هل كان جزءاً من الطبخة؟!.. الوقع يقول ذلك.. حيث عمد إلى تشريح الكتاب انتقاداً وملاحظات لا يفهمها المؤلف لـ(اختلاف) التخصص.. مع علمه الكامل بأن الكتاب ومؤلفه في تخصص بعيد عن تخصصه.. وهناك ضحايا.. وحتى المياه ضحية لـ(مثل) هذه التصرفات.. رغم وضوح خطط التنمية.

هل تصدقون؟!.. حكاية كتاب المياه مستمرة.. نفس المجلس العلمي لهذه الجامعة أرسل نفس الكتاب إلى دكتور آخر له تخصص مُختلف عن الدكتور الأول.. وأيضاً مُختلف عن تخصص المؤلف.. لزيادة تأكيد وأد الكتاب ظهيرة.. كنتيجة.. أوصى هو الآخر بعدم نشر الكتاب.. هل كان هو الآخر جزءاً من الطبخة؟!.. الطبخ مستمر.. ومن مشاهده الحديث عن الإنجاز وهو مضر.

هل تصدقون؟!.. حكاية كتاب المياه مستمرة أيضاً.. نفس المجلس العلمي قام بـ(إرسال) نفس كتاب المياه هذا.. إلى دكتور في الصيدلة.. (لاحظوا) في الصيدلة.. لـ(يراجع) الكتاب البعيد عن تخصصه.. صدقوني هذه ليست نكتة.

(4) علماء بـ(تخصصات) مختلفة يزج بهم بهدف القضاء على



إنجاز أحدهم.. أليس هذا استنزافاً يعادل استنزاف المياه الجوفية.

يقول السندباد: هذا يدخل في دائرة الاجتهادات التي قادت إلى الزراعة العشوائية.. وإلى غيرها.. اجتهادات تسببت في ظهور قضايا ذات أبعاد متعددة في مجالات كثيرة.. أين قوة المسؤول؟!.. أين أمانته؟!

نهاية الحكاية تقول: المجلس يرى أنه لا يجوز النّشر لـ(كل) من هب ودب.. يقصدون أساتذة في الجامعة يحملون أعلى الرتب العلمية ومن جامعات عالمية عريقة.. ينعتونهم بهذا الاسم: (من هب ودب).

يقول السندباد: تجاهُل المعايير العلمية.. والأعراف والتقاليد الجامعية.. لا تختلف عن استنزاف المياه الجوفية.. جميعها اجتهادات.. تجاهل.. عشوائية.. استنزاف.. إهدار.. سوء إدارة.. هل هذه نماذج لما يجري؟!.. الضحية: الماء والإنسان.

أربعة تخصصات على موضوع كتاب عن المياه.. تخصص اقتصاد وتخصص هندسة وتخصص صيدلة وتخصص إرشاد مائي.. كيف يمكن أن تلتقي كل هذه التخصصات المختلفة على موضوع واحد؟!

إذا وجدتم حلّاً لهذا اللغز العلمي فهذا يعني أن بـ(استطاعتكم) إيجاد حل لـ(لغز) الورطة الزراعية التي نعيشها مع استنزاف المياه الجوفية. ...

32

نعم.. هذا الماء.. في دائرة من هب ودب.. ممارسات تعطي مثالاً على ما يحدث.. حتى في الجامعات.. منبع العلم والحقيقة والتطوير.. من (هب ودب).. شعار إقصاء.. يرفعه الذين لا يعترفون بالآخرين أو إنجازاتهم.. لا يثقون إلا في رأيهم.. يرون أنفسهم الأعلين في كل شيء.. خاصة المسؤولية والإخلاص.. هم أكثر معرفة.. وأكثر حكمة.. هل هذه مصيبة الإدارة العاجزة المنغلقة؟!.. عندما تتعامل مع بيئة جافة.. بيئة أكثر حساسية.. لأي نشاط إنساني غير مدروس.

أخذتنا كبسولة التعجب.. في مسارات حكاية سعادة الدكتور.. الذي كتب ملاحظة داخل كتاب المياه.. الذي رفض نشره.. تقول: [يصلح أن يكون حكاية للأطفال قبل النوم].. هذا لـ(أن) الكتاب لم يتحدث عن اقتصاديات الموارد.. تخصص سعادة الدكتور.

سعادة الدكتور الثاني اقترح إلغاء الخرائط الجيولوجية لـ(أحواض) المياه الجوفية والاكتفاء بـ(واحدة).. هكذا تشابهت على سعادته.. كنتيجة، عامل الكتاب كـ(موضوع) تعبير لـ(طالب) في الصف الرابع الابتدائي.

سعادة الدكتور الثالث احتج بـ(أن) الكتاب لم يتحدث عن التحلية وعلومها.

- يقول السندباد: هذه النتائج.. لـ(أن) الأمر لم يُعط لـ(أهله).

- كتاب المياه خر صريعاً بين ملاحظات وانتقادات لا تنتمي لـ(أهدافه).. تعرض لـ(عمليات) استئصال ضخمة لـ(بعض) حقائقه.. تعرض أيضاً لـ(مشرط) جهة أخرى.. علقت قائلة: الكتاب لم يتحدث عن إنجازات وزارة الزراعة.. كنتيجة، تم وأد الكتاب نهائيّاً تحت رمال الفوضى المتفشية في العقول.. تم اعتباره جزءاً من المياه الجوفية المهدرة.. التي يجب أن لا يسأل عنها أحد.. ولا يدافع عنها أحد.. ولا يكتب عنها أحد.

- البعض يرى أنه عالم في كل شيء.. وأن الله اختصه لـ(فطنته) وذكائه دون غيره.. يكفيه دليلاً لـ(نفسه) أن الله اصطفاه ليكون مسؤولاً على الآخرين.. وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد أنهم أصبحوا صفوة.. يحللون لـ(أنفسهم) ما يحرمونه على الآخرين.. يمتلكون ناصية المنطق والمعرفة دون سواهم.

- ومنهم أساتذة قادرون على تحكيم كتب الذرة.. وكتب القانون والإدارة والأدب العربي.. بـ(جانب) كتب الكيمياء والفيزياء.. وقادرون أيضاً على تحكيم كتب التاريخ والآثار.. بجانب نظريات بناء السدود الخرسانية.. مسؤولون شمل فهمهم كل شيء.. يتساءل كاتبكم، لماذا لا يرشحهم المجتمع الدولي لجميع جوائز نوبل؟

- أيها القوم.. أفيقوا.. ماؤكم أصبح غوراً.. أيها (الأساتذة).. لا شكّ أبداً في قدراتكم العلمية.. لكن لماذا اللّقافة؟!.. ماذا تعني لكم الدكتوراه؟!.. الدكتوراه أيها الإخوة القراء.. لا تختلف عن إتقان أي مهنة أخرى مثل السباكة والنجارة والحدادة.. كنتيجة، الدكتوراه تعني أن حاملها يستطيع مواصلة البحث في تخصصه دون مشرف.

يعني أتقن مهنة البحث العلمي.. لكن البعض يجيرها إلى أن حاملها أتقن التسلق على كل شيء دون مشرف.. وبعضهم يضيف: دون أدنى مسؤولية.. وبعضهم يعتبرها جواز سفر يعبر به الحدود.

يقول السندباد: يا خسارة العلم والعقل والمنطق والمسؤولية.. وهناك أيضاً ناس يزجون بأنفسهم في أمور لا يفقهون عنها شيئاً.. يعتقدون أن (الشغلة) عبارة عن خواطر.. يعتقدون أن الحقائق العلمية ضرب من ضروب الدجل والحسد.. يحاربون أصحابها ظهيرة.

لا ألومهم .. إذا عرفتم أن أحدهم في الجامعة.. ويضع أمام اسمه الاختراع العربي (أ.د).. هو الذي تبنى خلط الأوراق.. السؤال: هل كان نتيجة لؤم أم سذاجة؟!.. السؤال مهم.. لكن الجواب غير مهم.. النتيجة واحدة في كلتا الحالتين.

يقول سعادته: الكتاب (بيزعل) علينا وزير الزراعة.. هل تصدقون هذا؟.. هل يذكركم هذا بـ(منطق) عجائز سوق الخميس وقت الظهيرة؟!.. اللهم لا شماتة.. السؤال: لماذا لم تقل وزارة التخطيط ذلك وهي تشخص المشكلات والاحتياجات؟!

أحمد الله أن خطط التنمية لم تمر بين يدي هذا وأمثاله.. وهناك آخر ينادي بـ(زراعة) الأرز وتصديره إلى (الصين).. وزراعة الشاي وتصديره إلى (الهند وسريلانكا).. هذه نماذج تعيش بيننا بـ(رؤية) غير واقعية.

يتجاهلون كل الحقائق العلمية عن المياه.. يتجاهلون الأمانة العلمية.. يتجاهلون أمانة نقل الحقيقة إلى أصحاب القرار.. هل كل هذا بسبب الخوف من زعل الوزير؟!.. كأن هذا المسؤول أو ذاك موظف في بيت الوزير.. مع أن الوزير منهم براء.

هكذا البعض لا يعرف دوره ومسؤولياته وأيضاً حدودها.. لا يعي

أبعاد تصرفاته على الوطن.. البعض ينصب نفسه قانوناً فوق القانون.. ونظاماً فوق النظام.. وعالما فوق العلماء.. هذا هو قالب الاجتهاد والتجاوز الذي قاد إلى العشوائية والمشكلات.. وهذه المياه الجوفية خير شاهد.

ويسأل السندباد: هل ما يجري على المياه يجري على غيرها في جميع فروع الحياة؟!

هل سادت هذه العقول؟!.. كنتيجة، هل خلقت عدم التوازن؟!

في الخطة الخامسة شخصت وزارة التخطيط العلة في قولها: [المشكلة تكمن في كثافة الاستهلاك الزراعي].. هل كانت مشكلة المياه الجوفية نتاج كثافة العقول التي شطحت بعيداً؟!

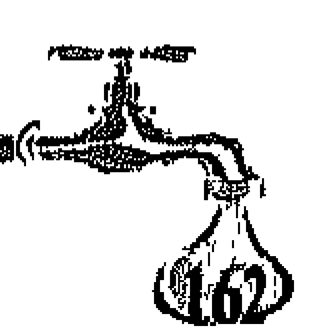
هل لـ(أن) الآخر يقع في دائرة (من هب ودب)؟!.. كنتيجة، تم استنزاف المياه الجوفية دون أدنى قيمة.

كاتبكم يوجه الشكر لـ(وزارة التخطيط) التي لم تفكر في زعل الوزراء.. عندما شخصت المشكلات وحددت الاحتياجات.

الزراعة أصبحت مثل الأخطبوط.. كثير الأرجل.. يمدها في كل زاوية بحثاً عن المزيد من المياه الجوفية.. تتوسع حتى لو أدى ذلك إلى موتها.. تتوسع دون إحساس بـ(خطورة) ذلك على عائلها الذي هو الماء.

هناك كائنات متطفلة لكنها ذكية حيث تحافظ على حياة عائلها.. إلا الزراعة في المملكة تظل استثناء.

هناك مُطبلون لا هم لهم إلا سرد الأرقام والتفاخر بها كـ(إنجازات) زراعية.. يتجاهلون المياه الجوفية.. هل يجهلون العواقب؟! ...



33

نعم.. هل أصبح الماء.. بسطة عجائز في سوق الخميس؟!.. يتحدثون عن الإنجازات الزراعية.. لا يتحدثون عن تأثيراتها السلبية على المياه.. جهلاً أو تجاهلاً.. يقولون.. هناك أنهار تحت أرض المملكة.. قادمة من جميع أنحاء العالم.. البعض يدعي عدم وجود مشكلة مياه.. إلى أن وصل الحديث.. عند أحلام زراعة الأرز وتصديره إلى الخارج.. هل هناك عقل بعد ذلك؟!

هناك حكايات كثيرة.. قبل الوصول إلى نهاية خطة التنمية الخامسة.. حكايات لـ(العبرة).. هي تاريخ له معنى.. حكايات نتخذ منها دروساً قيّمة.. البعض يدخل في حوارات تعتمد على الخواطر والتمنيات.. تعمل ضد الحقائق العلمية.. التي يرون أنها تدخل في الغيبيّات.

الجميل هو الحماس الذي يتحدثون به عن الإنجازات الزراعية.. لا يرغبون في سماع ما يهدم هذه الصور الزراعية المشرقة.. كاتبكم يبني على مؤشرات.. والله سبحانه قادر على كل شيء.

كاتبكم ضد الزراعة المضرة.. ضد التوسع الزراعي العشوائي.. ضد الإخلال بـ(التوازن) البيئي.. ضد كثافة استنزاف المياه الجوفية على زراعة التصدير والضّمان.. ضد الاستهلاك الجائر.. ضد التخبط

والاجتهادات والاندفاع الزراعي نحو المجهول.

كاتبكم لا يرغب في سماع شعار.. اصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب.. كاتبكم يؤكد ضرورة حماية المياه الجوفية من ثقافة الإسراف.. والاستنزاف.. والتبذير.

يقول السندباد: البيئة الجافة هي الأكثر حساسية لـ(أي) نشاط إنساني غير مدروس.

قابلت أحدهم في وزارة معنية بـ(المياه) والزراعة.. كان سعادته يستغرب حديث هؤلاء الجهلة الذين يدعون أن الزراعة أوجدت مشكلة مياه في المملكة.. كان يقول: الخبثاء بدلاً من الخبراء.. كان يقول: كلامهم غير صحيح.. لم يكن يعرف أن كاتبكم من المدافعين عن المياه.

سألته هل سمعت عن جفاف عيون الأحساء؟!.. قال: هذا كذب.. عيون الأحساء لم تجف.. شائعات غير صحيحة.. وبعد.. أليس هذا حديث بسطة عجائز في سوق الخميس؟

هناك من يروج حتى من أصحاب الشهادات العليا عن نهر تحت الأرض في المملكة قادم من القارة الهندية.. كان يقول: لا خوف من نضوب المياه.. ثم يدعي أن هذه حقيقة.. قال: سمعته من مسؤولين في مركز علمي.

نسأل: إذا كان الأمر صحيحاً، لـ(ماذا) لا يخرجون علينا عبر وسائل الإعلام يعلنون مثل هذه الاكتشافات المذهلة؟!.. أم أن الحديث لا يحلو إلا على بسطة عجائز سوق الخميس؟!

في الجامعة طلب عميد الكلية من كاتبكم عدم الحديث أو التعليق عن المياه في ندوة كانت في الكلية.. ثم قال: طُلب منّي إبلاغك.

مسؤولون يرون الحديث عن المياه خطورة.. لكن تساءل كاتبكم:

خطورة على مناصبهم أم خطورة على الوطن؟!.. هل كان أحدهم رئيس المجلس العلمي الذي يدعي أن وزير الزراعة سيصاب بـ(نوبة) زعل من نشر كتاب المياه الذي تحدثنا عنه سابقاً؟!.. هل ما خفي كان أعظم؟!

هكذا يتم لجم الأفواه حتى عن المشاركة في نقاش مفيد ومثمر.. نحن جنود في هذا الوطن.. نخدمه حتى بـ(الدم).. هل نقول مكان البعض سوق الخميس وليس الجامعة؟!.. هكذا يصبح الحديث عن الماء مخيفاً.. هل لـ(أن) الحقيقة مرة؟!.. هل لـ(أنهم) ليسوا أهلاً لـ(مواجهتها)؟!

جاء إلى الندوة من تحدث عن المياه.. كان كاتبكم حاضراً.. كان صامتاً حسب الطلب.. بعد الندوة.. قال أحد هؤلاء المسؤولين: ليتك تحدثت يا دكتور محمد.. التزمت الصمت حتى لا يتلقى كاتبكم صفعة رسمية مسجلة في خطاب رسمي.. قد يصف كاتبكم بـ(قلة) الأدب.. وعدم الالتزام بـ(الأعراف) والتقاليد الجامعية.. الماء أهم.. جاء من تحدث عنه بكل شفافية وصراحة ودقة.

على ذكر الخطاب.. تلقى كاتبكم خطاباً يحمل رقماً رسميّاً.. وتاريخاً أسود.. كان الخطاب (سريّاً) حتى لا يراه المحبون.. كان هذا منتهى الحفاظ على مشاعر كاتبكم.. الخطاب يتعلق بـ(كتاب) المياه الذي عاملوه كـ(سلعة) في سوق الخميس.. خطاب يستحق مقالاً مستقلاً سـ(يأتي) دوره قريباً.

الخطاب سبب لـ(كاتبكم) جرحاً لم يندمل.. كان الأسوأ في تاريخ حياة كاتبكم حتى اليوم.. جرحاً يحمل إهانة لـ(العلماء) في جميع بقاع العالم.. العزاء أنه كان بسبب الماء.. خطاب يوضح مسارات العقول المندفعة لـ(وأد) الصوت.. والقلم.. والحوار.. والفكر.. والرؤية المخلصة.. وحتى التظلم من الظالمين.

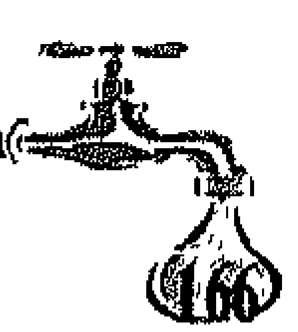
العقول الهزيلة تستهدف الأشخاص.. يقول السندباد: العقول الهزيلة تسود عندما تجد من يُنفذ لها أهدافها.. ويبقى الماء قضية كاتبكم الكبرى.

كبسولة التعجب سـ(تدخل) مباشرة في مسارات حكايات استنزاف المياه الجوفية.. عبر حكايتين تثيران الدهشة والتساؤل.. تثيران علامة استفهام.. لا يراها إلا أمثال كاتبكم من المدافعين عن المياه الجوفية.

الحكاية الأولى.. شركة زراعية.. كان استهلاكها اليومي من المياه الجوفية يزيد على المليون متر مكعب.. هذا يفوق استهلاك مدينة الرياض ثاني أكبر المدن العربية.. [يا لطيف.. يا لطيف].. هكذا ردد السندباد.. ماذا يمكن أن يردد كل قارئ مع هذه المعلومات.. يتوقع كاتبكم الاهتمام بـ(كل) قطرة ماء.. وأيضاً نقل هذا الاهتمام لـ(الآخرين).، يقول السندباد: نعم، تصلح هذه الحقيقة أن تكون حكاية أطفال قبل النوم.

الحكاية الثانية.. زار كاتبكم إحدى الشركات الزراعية.. وجد كارثة كانت تتطلب الكثير من التحقيقات.. ولـ(أن) (الطاسة) ضائعة.. أصبح البعض مفلوت القياد.. يفعل ما يشاء مع المياه الجوفية دون أدنى مساءلة.. وجد كاتبكم المياه تغطي الأراضي الفضاء المنخفضة حول الحقول الزراعية.. وبـ(ارتفاع) يصل إلى أكثر من مترين.. كل هذا بـ(سبب) الري الجائر.

يستخرجون المياه الجوفية بـ(كميات) غير محسوبة.. يضخونها في الحقول دون حساب.. رأيت الزوارق على ضفاف هذه البحيرة الواسعة.. هناك عمالة تُبحر من ضفة إلى أخرى.

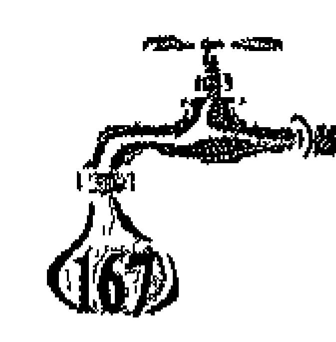


هل يعرفون أن هذا الماء ثروة نادرة في بلدنا؟!.. هل يعرفون أن الماء أهم مما يزرعون؟!.. أهم مما يحصدون؟!.. أهم من تقاريرهم عن الإنجاز؟!.. يقول السندباد: نعم، تصلح هذه الحقيقة أن تكون أيضاً حكاية أطفال قبل النوم.

البحيرة هي ما تبقى من المياه.. الكثير تبخر في السماء.. هناك الضائع في التربة.. بحيرة صناعية.. ليست أكبر من بحيرة أسوان.. مصدر الماء هو الفرق.. بحيرة أسوان أو بحيرة ناصر مصدرها مياه نهر النيل.. مياه تنساب إلى البحر.. تم تجميعها لـ(الاستفادة) في أوقات الأزمات.. أما بحيرة الشركة الزراعية فـ(مصدرها) المياه الجوفية التي كانت محفوظة من آلاف السنين في جوف الأرض.. تم استخراجها بـ(فعل) التقنية وفعل الجهل بـ(أهميتها).. لـ(إيجاد) المزيد من أزمات المياه في البلد.

لا يهم الآخرين الحفاظ على مياهنا الجوفية.. لـ(أن) هناك حكاية الوطن التي لا تهم الطرف الآخر.. حكاية الطرف الآخر هي المال.

الوطن يهم أبناءه.. هل كان لهم حكاية في صنع هذه البحيرة؟.. نعم لهم حكاية.. من خلال الزراعة.. ومن تجاهل خطط التنمية.. ومن خلال تغييب الحقائق.. وأيضاً الجشع. ...



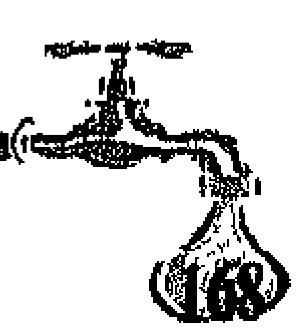
34

● أخيراً.. وصل السندباد إلى نهاية نصوص خطة التنمية الخامسة.. يردد: نعم هذا الماء ثروة.. العوامل تعددت.. زراعة عشوائية.. زعل وزير.. بحيرة شركة.. دوائر من هب ودب.. كتاب تم وأده.. لجم أفواه.. خطط تنمية تم تجاهلها.. استنزاف جائر.. الأمر واضح.. مع وجود العلم ومؤشرات الواقع.. النتائج ظهرت.. هناك عوامل أخرى مؤثرة.. فاعلة في الحاضر والمستقبل.. لم نرث الأرض.. نحن مستأمنون عليها.. هل أدّينا الأمانة؟!

● ما زالت الرحلة في ربوع خطة التنمية الخامسة.. المشكلة شخصتها الخطة في كثافة الاستهلاك الزراعي لـ(المياه) الجوفية.. نصوص لم تأخذ في الاعتبار زعل وزير.. كما فعل رئيس مجلس علمي في إحدى الجامعات.. هل في قول الحقيقة منقصة؟!.. التلميع دور يقوم البعض به دون طلب.. أين الأمانة العلمية؟!

● في كل الحالات.. القرار متروك لـ(صاحب) القرار.. لكن الحقيقة يجب أن تقال.. نحن بـ(حاجة) إلى صراحة خطط التنمية.. بـ(حاجة) إلى قوتها في الطرح.. هذا جزء من النجاح.. جزء من التخطيط.. ويستمر استعراض بقية نصوص الخطة الخامسة.

● النص الرابع: [القضية الأساسية هي الاختلال الحرج المحتمل



حدوثه في التوازن، بين موارد المياه والطلب عليها، والذي تعتبر الزراعة سبباً رئيساً فيه].

الاختلال الحرج جانب من مشكلة الاستنزاف الجائر لـ(المياه) الجوفية.. النص يحمل أبعاداً مختلفة.. متعددة.. منسجمة.. كونت مفهوماً يُغري بـ(اقتحام) ساحة النص لـ(معرفة) النهايات.

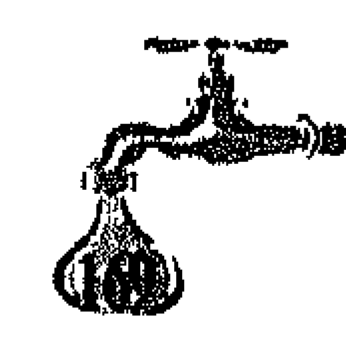
انظروا إلى الخطة، تقول: [القضية الأساسية].. [الاختلال الحرج].. [التوازن].. [موارد المياه].. [الطلب عليها].. لكن البلاغة تجلّت في الحقيقة التالية: [تعتبر الزراعة سبباً رئيساً فيه].

كنتيجة، يسأل السندباد: ما هي القضية الأساسية.. يا وزارة الزراعة؟!.. ما القضية الأساسية.. يا وزارة المياه؟!.. ما القضية الأساسية يا سكان المريخ وزحل؟!

هناك أمثلة على القضية الأساسية.. مشروع الري والصرف بـ(الأحساء) خير مثال.. يُهدر أكثر من (100) مليون متر مكعب سنويّاً من المياه نتيجة الري الجائر.. تجمعت.. أصبحت نهراً يمتد عبر الصحراء.. إلى ميناء (العقير) على ضفاف الخليج العربي.. على بعد أكثر من (60) كيلو متراً.. أطلقت شركة (آرامكو) على مجرى المياه اسم: [نهر الأحساء].

تم ضبط نهر الأحساء بـ(الأقمار) الصناعية.. شاهد كاتبكم (نهر الأحساء) في أطلس ألماني.. بـ(إحدى) الجامعات الاسكتلندية.. شيدت شركة (آرامكو) الكثير من العبّارات على جسم النهر.. لـ(تسهيل) حركة مركبات الشركة ومعداتها.

المصيبة تتعاظم.. عندما نعرف أن كل هذه المياه مُستنزفة من المياه الجوفية.. هكذا تُهدر في الصحراء.. بدون وعي وحساب..



ولـ(فترة) زادت على ربع قرن.. ثم يتساءل البعض: لماذا جفت عيون واحة الأحساء؟!

الزراعة سادت على حساب الماء.. هل هناك من يستطيع إثبات عكس ذلك؟!.. الماء لا يمكن استرداده في مناطق الاستنزاف الجائر.. مناطق الصخور الرسوبية.. التي تشكل ثلثي مساحة المملكة.. هنا يكمن خطر الاندفاع الزراعي غير المدروس.. كنتيجة كانت الخطة واضحة عندما قالت: [تعتبر الزراعة سبباً رئيساً في الاختلال الحرج].. ثم دعت إلى الأخذ في الاعتبار عدة أمور.. أوردتها في نقاط محددة.

[1- أن تشتمل الإجراءات المتعلقة بالسياسات المائية على آلية ذاتية للتوفيق المستمر بين الأهداف المتناقضة ومصالح المستعملين المتضاربة؛ 2- ضرورة التنسيق والتكامل بين الإجراءات المتعلقة بسياسات كل من الزراعة والمياه بغرض تحقيق الغايات المرجوة؛ 3-ينبغي أن تهيمن الخيارات المتعلقة بالسياسات البعيدة المدى على الاعتبارات القصيرة والمتوسطة المدى كلما ظهر تعارض بينها].. كان هذا النص الخامس لـ(خطة) التنمية الخامسة.

هل يحتاج النص إلى تعليق من السندباد؟!.. لاحظوا الجمل التالية: [الأهداف المتناقضة ومصالح المستعملين المتضاربة].. [ضرورة التنسيق والتكامل].. [غرض تحقيق الغايات].. [السياسات البعيدة المدى].. جميعها تُركز على حماية المياه الجوفية.. محاور تصلح لـ(كل) زمان ومكان.. استنزاف جائر في زمن قصير.. أليس هذا ضرباً من ضروب التهلكة؟!.. هكذا تساءل السندباد.

النص السادس: [يعد تخفيض معدلات استهلاك المياه بالمملكة من أهم الأهداف الأساسية لقطاع المياه خلال فترة الخطة الخامسة] صفحة (221).

النص من أهم أهداف خطة التنمية الخامسة.. دعت إلى ضرورة تخفيض معدلات استهلاك المياه.. كما سنرى في مقال قادم.. تخفيض الاستهلاك لم يتحقق.. العكس هو الذي تحقق.

النص السابع: [يجب أن تتم تنمية واستخدامات المياه للأغراض المختلفة على المستوى المحلي والإقليمي والوطني على أساس الخطة الوطنية للمياه].. ورد في صفحتها رقم (106).

هناك مبادئ يجب أخذها في الاعتبار عند وضع أي خطة.. يجب أن تتصف الخطة بـ(الشمول).. أي تغطي المناطق والمحافظات ومكوناتها من مراكز ومدن وقرى وهجر.. تشمل الجميع دون استثناء.. نتيجة لـ(غياب) هذا المبدأ.. تضررت بعض المناطق أكثر من غيرها.. بسبب تركيز التوسع الزراعي في مناطق دون أخرى.

غاب التخطيط الزراعي.. غابت المبادئ التي يتطلبها التخطيط.. لم يغب ذلك على خطة التنمية الخامسة.. أكدت أن الشمول لا بد أن يتم على أساس الخطة الوطنية لـ(المياه).. التي كانت إحدى توصيات خطة التنمية الثانية (1975).. الخطة الوطنية لـ(المياه) لم تُنجز حتى تاريخه.. هل أدى غيابها إلى الاجتهاد والتخبط الزراعي العشوائي؟!

هل كان لـ(الأهداف) المادية دور حاسم في عشوائية الزراعة؟!.. هل كان للاندفاع نحو استغلال برامج الدولة في مجال الإعانات والقروض الزراعية دور حاسم؟!.. هل تم توظيف الإعانات والقروض والتسهيلات لـ(مزيد) من الثراء على حساب المصلحة العامة التي نادت بها خطط التنمية؟!

خطة التنمية الخامسة اعترفت بـ(أن) الخطة الوطنية لـ(المياه) لم تُنجز.. يقول السندباد: هل يعني غياب الكثير من الشفافية والوضوح

في مسيرة التوسع الزراعي؟!

النص الثامن: ومن ثم فإن تزامن غيابها، مع شواهد عن وصول المعدل الكلي لاستهلاك المياه إلى مستوى حرج يعتبران مؤشراً يبرز الحاجة إلى التركيز على إيجاد البيانات والمعلومات الإضافية والأكثر دقة واستكمال الخطة الوطنية للمياه خلال خطة التنمية الخامسة، لتلافي الآثار السلبية المصاحبة على الأمن المائي للمملكة متيحة استمرار الوضع الحالي.

كلام بليغ.. هل هناك كلام أوضح؟.. هل هناك تفسير أكثر عمقاً؟ تحدثت الخطة عن الشواهد التي ظهرت كـ(الشمس).. تحدثت الخطة عن المستويات الحرجة التي وصلت إليها المياه الجوفية.. تحدثت الخطة عن نقص البيانات والمعلومات الدقيقة عن الوضع برمته.

تحدثت عن ضرورة استكمال إنجاز الخطة الوطنية لـ(المياه).. تحدثت عن الآثار السلبية لـ(غيابها).. تحدثت الخطة، لـ(أول) مرة، عن الأمن المائي لـ(المملكة).

خطة عظيمة.. تحدثت بـ(كل) صراحة.. عن المياه.. عن الآمال.. عن الطموحات.. وأيضاً زمجرت في وجه التجاوزات.. لكنها خطة بقيت حبراً على ورق. ...

35

الطريق أحد مقامات الحياة.. نسيجه منوع وضخم.. برموز مختلفة.. يمكن قراءتها.. الطريق إنجاز.. يوحي ويقول.. له كارهون.. له محبون.. له معجبون.. له ضحايا لا ينتهون.

الطريق مشاهد متغيرة.. منها أشكال المركبات.. هناك قفزات.. لا تختلف عن قفزات حياة البعض في عالم المال والأعمال.. لا نريد أن نسأل كيف؟!.. المهم أن التغيير الذي يؤثر في الناس إيجاباً.. هو الذي يبني ولا يهدم.. ويظل التأمل.. من وسائل المتعة في الطريق.

الطريق يروي نجاح البعض.. يروي أيضاً تعثر خطوات آخرين.. هناك من مشى حافي القدم في الطريق الترابية.. ثم أصبح ينعم برفاهية التغيير السريع.. منهم من يشقى حتى بالنعم.. البعض لم يعرف مهارات اقتناص الفرص.. ظلوا فقراء.. العيب في الأجهزة المسؤولة عنها وعنهم.

لا ننسى التذكير بطريق الحياة.. وفيه الوقوف مستحيل.. التحرك دوماً إلى الأمام.. الوقوف يعني الموت والنهاية.. الحركة إجبارية.. الناس ماضون.. لا يعرفون متى تكون محطتهم الأخيرة.

الطريق شاهد على الأغنياء والفقراء.. شاهد على العقول بجميع أنواعها واتجاهاتها.. خاصة العربية.. التي ما زالت بدون استعمال..

شاهد على المتهورين والمجانين.. شاهد على جور الإنسان.. منها الحروب.. أبغضها الظلم في وضح النهار.

الطريق شاهد على التقصير والتقاعس والتجاهل والتجاوز.. يودع الضحايا في صمت.. الطريق ميدان لكل الحالات النفسية التي تقود المركبات.. مع عجينها نصل إلى نهايات الذوق العالمية.. الطريق متحف للتفكير.. يحلو التلذذ بقراءته كما تشاء.. الأهم: العبر.. والدروس.. لكن هناك عرباً لا يتعظون.

لم نصل بعد إلى مشارف حسانا فله.. كاتبكم يؤمن بحكمة السلحفاة في تعاملها مع الطريق.. كل خطوة لها برنامج.. لا تختلف عن سياسة الخطوة خطوة.. التي تم رفعها مع شعار: خذ وطالب.

في الطريق العالمية.. هل أصبح العرب يعطون ولا يأخذون؟!.. عطاؤهم تنازل.. وعدم أخذهم تخاذل.. العالم في الطريق.. بأحوال تختلف باختلاف الأذواق.. والإمكانيات.. وقوة العقل والعضل.. مثل المركبات.. بعضها يقف بجانب الطريق.. تعطلت وهي جديدة.. إمكانيتها أعظم من الطريق.. هكذا العرب كشعوب أضناها التعب.

هناك مشاهد نادرة.. لن تُشاهد إلا في الطريق إلى الأحساء.. أشياء من صنع الإنسان.. وإنجازه.. وحضارته.. قوافلٍ الشاحنات العملاقة.. الخاصة بـ(آرامكو).. مصنوعة خصيصاً لنقل معداتها الضخمة.. ترتفع عليٍ أديمٍ الطريق.. زاهية بنفسها.. لكن الطريق التي تحملها أكثر زهواً وفخراً.

في أحد الأيام.. شاهد كاتبكم مقطورة ليس لها مثيل.. عبارة عن قرية سحرية من المعدات.. محمولة على سطح صفيحٍ من حديد صممه إنسان.. الصفيح محمول على عشرات العجلات.. تُذكر ببعض مخلوقات الخالق الجبار.. مقطورة تجرها شاحنة ذات قوة وبأس..

مهولة الحجم والوزن.. لا تراها إلا مرة واحدة في العمر.. البعض يحظى برؤيتها وليس الكل.

المصادفة تجعلك تعيش الحدث.. استمتع كاتبكم منذ الصغر برؤية بعضها.. شاهد شاحنات نادرة الوجود في العالم.. يصل ارتفاع (عجلاتها) فوق المترين.. تجر أحمالها بسهولة.. أحمال نادرة الوجود ولها منافع.. كاتبكم يرى في طريق الأحساء برامج تعليمية.. جميل أن يكون هناك دعوة للجمهور لمشاهدة مثل تلك المعدات وهي تعبر الطريق.

الطريق متحف أيضاً للهفوات والتناقضات.. طريق سريع في سماه إشارة مرور ضوئية.. ليست من متطلبات السلامة.. تجدها فجأة دون مقدمات.. يقف الناس أمامها في الصحراء.. بعضهم لا يحترمها.. لأنها لا تحترمه.. البعض يفاجأ بها.. يتجاوزها متسائلاً: هل يعقل؟!

يسجل الطريق إلى الأحساء سبقاً عالميّاً.. يمتد بجانبه أطول نهرين بالعالم.. نهران من الماء الزلال.. كان ماء بحر أجاج.. هذا ما يميز الطريق محليّاً وعالميّاً.. نهران صناعيان مغموران تحت الرمال.. عاش كاتبكم لحظة بنائهما.. وما زال شاهداً على إنجازهما.

نهران يغلفهما الحديد من الجبيل إلى الرياض.. أنبوبان.. لنقل المياه المحلاة.. مسافة (400) كيلو متر.. إنجاز سعودي غير مسبوق.. ماء غال.. لإنسان أغلى.. كان ماء بحر مالح.. تم انتزاع الملح بتقنية مرتفعة الأثمان.. يعبر الناس الطريق دون رؤيته.. الطريق كالماء.. ثروة.. البعض لا يحسن التعامل معها. ...

مقالات 2008

مؤشرات واقع المستقبل

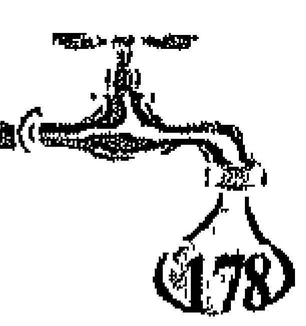
36

♦ [خبير مياه يحذر من انتشار السدود في المناطق الجافة].. عنوان، لـ(تقرير) في صحيفة المدينة.. يوم (30-12-2007)، العدد رقم (16321).. مرد التحذير، كما يوضح التقرير، يرجع إلى أن هذه السدود.. قد تكون، أحد عوامل تبديد المياه، والمال معاً.. السؤال: كيف يمكن تقبل مثل هذا التحذير.. وسط الترويج.. لـ(السدود).. والتوسع في بنائها.. وأيضاً تعليق الآمال عليها؟!

❢ هل أصبح بناء السدود، ظاهرة، يعول عليها؟.. هل أصبحت ظاهرة ترف، تحمل عواقب وخيمة؟.. هل السدود حل؟!

❢ أولاً.. خبير المياه هذا.. هو كاتبكم.. لكن، هل تم تجاهل ما ينادي به؟!.. لا تهم الأجوبة.. المهم أن الماء لم ينل الحماية.. لم ينل الرعاية.. لم ينل الاهتمام الكافي، والفعلي، والرشيد.. نسمع.. لا نرى نتائج ذات تأثير.. أحياناً كثيرة، تأتي الإجراءات متأخرة.. عندها ندرك المثل الشهير: إذا فات الفوت.. ما ينفع الصوت.

❢ القلق على الماء، قلق مشروع.. لكن ما علاقة السدود بـ(المناطق) الجافة؟!.. ابتداء من هذا المقال.. سيتحدث كاتبكم عن لوحات



ورسوم.. شكلت مستقبل الماء في المملكة.. لوحات لها قراءات مختلفة.. لكن كاتبكم يرى القلق.. هناك أبعاد مرئية.. وأخرى غير مرئية.. تصلّبت خلال العقود الماضية.

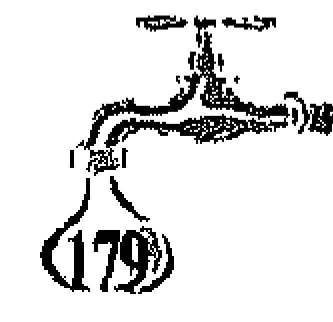
التركيز على السدود، ليس المطاف النهائي، لـ(إزاحة) الستار.. لكن الحديث ضرورة ملحة.. في ظل معلومات مغلوطة.. أو غير دقيقة.. أو حتى في وجود شائعات لها أهداف.. يتم تبنيها، والدفاع عنها، والمطالبة بها، كجزء من حل لـ(مشكلة)، حتى وإن كانت وهمية.. في وقت، هي أبعد ما تكون، عن الحل الصحيح.

يبحر كاتبكم وأنتم برفقته.. إلى مسارات السدود.. الهدف متابعة الحديث عن المياه.. الماء قضية كبيرة، ليس فقط عند كاتبكم.. ولكن عندكم أيضاً.. لا تبخلوا بـ(طرح) الرأي.. تحدثوا بـ(صوت) مرتفع ومسموع.. التفاعل مطلوب.

الماء يهم كل فرد.. يهم أجيالنا القادمة.. الماء مسؤولية كل فرد.. قبل أن يكون مسؤولية وزارة، أو جهة رسمية.. الدفاع عن الماء، هو دفاع عن الحياة.. الدفاع عن الحياة، هو دفاع عن البقاء.. الأمر بيدنا جميعاً.

أسئلة كثيرة تفرض نفسها.. تعطي أسئلة أخرى.. كنتيجة، نجد أن الأسئلة لا تنتهي.. هذا هو المؤشر الصحيح لـ(الحياة) السليمة.. دعونا نسأل: هل الأشياء في حياتنا موضة؟!.. لكن ماذا عن التقنيات العلمية؟!.. هل الأشياء في حياتنا مظاهر حضارية؟!.. نستمر في طرح الأسئلة، حتى نصل إلى السؤال المهم: هل بناء السدود في المناطق الجافة ضرورة؟!

كثير من الأشياء في حياتنا، عبارة عن عدوى.. تنتشر بـ(وسائل) مختلفة.. يتصلب عودها.. لـ(البقاء).. في حال حققت مصالح



شخصية، حتى وإن كانت هذه المصالح نفسية.

أصبحنا أمة ترث الأشياء بـ(الاستيراد).. هذه الأشياء، غالباً ما تكون منافية لـ(مصالح) البيئة المحلية.. قد لا نجيد التعامل معها.. قد لا نجيد استخدامها.. يمكن أن نوظفها في غير محلها.. أصبحت حياتنا، ومصيرها، مرتبطاً بهذه الأشياء الوافدة.. الدليل، هو التفريط الكامل، في كل موروث مهاري محلي، بـ(طول) وعرض المملكة.. بـ(التأكيد)، الموروث المهاري المائي.. جزء منه.

نأخذ مثالاً.. كنموذج.. يمكن القول إن بعض المشاريع العملاقة، في عالمنا العربي، يتم إنشاؤها من أجل التاريخ.. والتعظيم.. تخليداً لـ(الزعيم).. مهما كان ارتفاع تكاليف بنائها.. السؤال: هل كان يمكن الاستعاضة عنها، بـ(مهارات) محلية، رخيصة التكاليف؟!.. كاتبكم يعتقد هذا.

أحد هذه المشاريع العربية.. مشروع عملاق لـ(نقل) الماء.. تم إنجاز المرحلة الأولى منه، بـ(ثمن) باهظ... بلغ أكثر من (23) مليار دولار .. طول مسافة المرحلة الأولى حوالي (700)كم.. مسافة، هل تستحق كل هذا المبلغ؟!

لكن إذا عرفنا، أن قطر أنبوب هذا المشروع، يتسع لـ(مسار) سيارتين.. عندها، تبدو التكلفة معقولة.. تبدو معقولة أكثر، عندما نعرف أن المرحلة الأولى، تتكون من أنبوبين.. ثم يزول العجب، إذا عرفنا أن المشروع مصمم، بحيث لا يحتاج إلى صيانة لمدة (50) عاماً.

هل نحن بحاجة إلى مثل هذه المشاريع؟!.. لـ(ماذا) كل هذا الإنفاق والخسائر؟!.. هل هناك بدائل بيئية، أكثر كفاءة، وأقل تكلفة؟!...

37

مع المقال السابق..يستمر الحديث عن السدود في المناطق الجافة.. بداية.. نتساءل.. عن الأسباب.. عن الوسائل.. التي مكنت الآباء من العيش في هذه البيئات؟!.. عن سر قدرتهم على الاستمرار.. جيلاً بعد آخر.. في مناطق صحراوية شحيحة الماء؟!

يمكن اختزال الجواب في عنصر التكيف.. الذي منحهم نجاح التعايش مع البيئة.. لم يعلنوا التحدي، والحرب، والتمرد.. استطاعوا توظيف مذكرة التفاهم مع البيئة.. تحولت إلى ناموس حياة.. هذا كل ما في الأمر.

التعايش الذي أتقنوه.. لم يكن عشوائياً.. أصبح نظاماً لـ(حياة).. أصبح أيضاً نظاماً لـ(بيئة).. أصبح قانوناً غير مكتوب.. الخروج عنه، في أغلب الأحوال، يعني الموت المحقق.

أساس نظام التعايش هذا هو المهارات.. إنها حزم متعددة.. تراكمت عبر السنين.. وفي ظل قسوة البيئة، كان الاعتماد عليها ملزماً.. كنتيجة، أصبح هناك مهارات محلية متعددة البيئات.. حققت نجاح العيش والاستمرار.. في هذه المناطق الجافة.

التنقيب عن تلك المهارات.. ضرورة.. وما زال لـ(بعضها) شواهد وممارسات.. البحث عنها مطلب مهم.. تحتاج إلى تحديد ملامح،

وتشخيص أبعاد.. مع ضرورة إعطاء تفسير علمي لـ(تطبيقاتها).. أيضاً تطويرها واستخدامها.. ونشرها في العالم.. كـ(نموذج) لـ(الإدارة) المائية في المناطق الجافة.. نحن أهلها، ليس هناك أفضل من أبناء هذه المناطق لـ(القيام) بهذا الدور.

يقودنا الحديث في اتجاهات مختلفة.. ورغم أهميتها، نرجع إلى موضوع السدود.. نتساءل: هل أصبحت السدود موضة في العالم العربي؟!.. يمكن أن تكون كذلك!.. لكن، ماذا عن بناء السدود في المملكة، وقد زاد عددها على (229) سدّاً؟!.. هناك المزيد من التوسع في نشرها.

في إطار الحديث.. هل تستنتجون أن كاتبكم يرى أن هذه السدود عديمة الفائدة.. ودخيلة أيضاً على بيئاتنا الجافة.. وتشكل خطورة على مستقبل المياه الجوفية؟!

التوسع في بناء السدود، يقود إلى أمر آخر.. وهو تعاملنا مع الماء.. التعامل هو الأهم.. تعامل يثير الغرابة.. يثير علامات التعجب.. الخلاصة، تناقض في تناقض.. هذا كل ما يستطيع كاتبكم قوله في هذه المرحلة من الكتابة.

هل نتعجب؟!.. في الوقت الذي يتم فيه إهدار المياه الجوفية وبـ(شكل) مضر.. نقوم بـ(البحث) عن موارد أخرى جديدة.. تصرف يبعث على الكثير من التساؤلات التي لا تنتهي.. لماذا الدفع بـ(الأشياء) نحو إهدار المياه.. خاصة على زراعة عشوائية معتمدة على أسعار الضمان؟!..

هل سمعتم عن أمة تشتري العطش؟!.. ممارساتنا مع المياه تؤدي إلى تلك النتيجة.. كل شيء يدفع بـ(المزيد) من إهدار المياه.. مزيد من الاجتهاد العشوائي.. النتيجة نضوب سريع.. النتيجة، انخفاض مستويات مناسيب المياه الجوفية.

من حقنا جميعاً أن نتساءل: هل هناك خوف على مستقبل البلاد والعباد؟!.. هناك ممارسات أخلت بـ(التوازن).. هناك نتائج تهدد.. نهدر الماء، ثم في (المقابل)، نبحث.. وبـ(شكل) جنوني.. عن المزيد من الموارد المائية.. كأننا وبـ(لهفة) نبني حلبات سباق نحو الجفاف.. نحو العطش.

هل مهمتنا تجفيف الموجود والبحث عن بديل؟!.. من حقنا البحث عن بدائل.. في ظل توفير الموجود وعدم المساس به في الوقت الحالي.. نتركه لـ(الأجيال) القادمة.. نتركه لـ(ظروف) قاهرة.

عودة إلى السدود التي شغلت فكر كاتبكم.. هل تعتبر هذه السدود حلاً مثاليّاً لـ(تعويض) نقص المياه الجوفية؟ هل تقوم بـ(دور) تحقيق تغذية المياه الجوفية على أي مدى؟!

حتى الآن ما زال كاتبكم بـ(كامل) حماسه.. بعد، لم يتوقف الصوت.. لم يتم فقد الأمل.. رغم السنين الطويلة، لـ(ظهور) دعوته بـ(وضع) حد لـ(بناء) السدود.. الهدف واضح.. الهدف ركيزة خير وبناء.. نشر الوعي، كان الأهم.

قدم كاتبكم البديل لـ(هذه) السدود.. قدمه في أكثر من ندوة، ومؤتمر ومقال.. مع العلم، أن علماء سعوديين، لديهم الكثير من التحفظات العلمية، على بناء السدود.. حددوا.. شخصوا الكثير من المشكلات.. أنجزوا الكثير من الأبحاث ذات العلاقة.. لديهم نتائج بحوث علمية تدعم تحفظاتهم.

لكن كاتبكم كان الوحيد، الذي قدم لهم بديلاً نابعاً من البيئة.. بديلاً يحقق الأهداف، التي تعجز السدود عن تحقيقها على المدى القصير، وأيضاً المدى الطويل. ...

38

ما المشكلة الأهم في قصة العلماء السعوديين المتحفظين على بناء السدود؟!.. تجاهل صوتهم كان وما زال واقعاً يضر.. تجاهل يحمل تفسيرات.. تتشعب وتتعرج في طرق الاجتهاد نحو المجهول.. هل كان منهجاً؟! هل كان استبعاداً؟!

يبقى حديث البحث عن إجابات علمية مستمرّاً.. المهم البحث عن نتائج خلاصة تلاقح العقول العلمية لـ(الخروج) بـ(حلول) عملية تخدم حتى الأجيال القادمة.

في مجال التجاهل.. الكل خسران.. ابتداء من الوقت الضائع لـ (إنجاز) بحوث ودراسات خارج الترحيب.. إلى المياه التي يهدرها الطرف الذي يتجاهل البحث العلمي وإلا كيف يمكن تفسير تجاهل الجامعات السعودية وعلمائها خلال العقود الماضية؟!

اليوم.. هل تحول الأمر إلى انتقاء علماء وجامعات بـ (عينها).. مع استمرار تجاهل البقية؟!.. الأمور التي تتعلق بـ(الماء) تحتاج إلى أكثر من فريق بحث.. لهم تخصصات مختلفة.. الأمر ليس بـ(السهولة) التي يتصورها البعض.. لكنه أيضاً ليس بـ(الصعوبة).. التي تقف عثرة في طريق البحث عن مخرج لـ(مشكلات) المياه في المملكة.

ما زال.. وسيظل الحديث مستمرّاً عن السدود.. حديث توقف

في المقال السابق.. عند ذكر العلماء المتحفظين على بناء السدود.. تحفظهم ليس ضرباً من ضروب التنجيم.. لكنه تحفظ نتاج أبحاث علمية مختلفة حسب التخصصات.. أبحاث امتدت من حشرة البعوض حتى أعماق موقع السد.

وجد هؤلاء العلماء أن بدائل السدود.. التي قدمها كاتبكم.. هي الحل الأفضل.. تبنوا.. وشجعوا هذه البدائل.. عن قناعة علمية بـ(أهميتها) ودورها في تحقيق أهداف تغذية المياه الجوفية.. كانت حلولاً نابعة من البيئة لـ(مصلحة) البيئة .. لـ(مصلحة) الإنسان جيلاً بعد جيل.. لكن صوتهم ظل حبيس أبحاثهم.. ليس عيباً فيهم.. ولكن.

كاتبكم لا يدعي أنه شمس العلم.. لا يدعي أن الحقيقة كاملة في قبضته.. هناك علماء آخرون قدموا بدائل.. لكنها ليست نابعة من البيئة.. عليها بعض التحفظات.

كاتبكم ما زال يتعلم من الآخرين يتعلم من الموروث المهاري المائي المحلي.. كنتيجة أصبح الاهتمام منصبّاً على إيجاد تفسيرات علمية لـ(الموروث).. كنتيجة توصل إلى أن السدود في المناطق الجافة تقليد عديم الفائدة.

لكن كيف أصبح الماء مشكلة؟!.. تلك قصة أخرى.. لكن الواقع يزداد مرارة مع مشاهد نضوب المياه الجوفية.. الاهتمام بـ(المياه) واجب ديني.. واجب وطني وإنساني وأخلاقي.. أصبح لهذا الواجب روافد علمية تبحث عن الحقيقة حتى وإن كانت أشد مرارة من العلقم.

ينادي كاتبكم.. وسيظل ينادي.. بـ(ضرورة) التعامل مع المياه.. بـ(حساسية) مفرطة.. وحزم عالي القسوة.. وحس وطني على المستقبل.. عين لا تنام أو حتى تغفو.. يجب السيطرة على كل قطرة ماء.. يجب توظيف كل قطرة ماء بـ(شكل) رشيد.. ليس هذا فقط لكن

أيضاً تجنب كل وسيلة لا تخدم بـ(شكل) فاعل.. بـ(جانب) ضرورة تجنب مشاريع الإهدار.. مهما علا بريقها.

- علينا التعامل مع الماء كـ(مشكلة).. وليس رقماً جافاً.. في سجلات الإنجاز.. وساحات الإعلام.. والدعاية.. والتباهي.

- يظل السؤال: هل نتعامل مع الماء كـ(مورد) نادر؟!.. كل الممارسات تعطي إجابة مخيفة.. وأيضاً مقلقة.. قد لا يعلم الجميع.. أن المملكة تركت المياه الجوفية لـ(القطاع) الزراعي.. واعتمدت على مياه تحلية البحر لـ(الشرب) في كل المدن ومنها الرياض العاصمة.

- بهذا التصرف أصبح لدينا نوعان من المياه.. النوع الأول: مياه مجانية متروكة لـ(الزراعة) تهدرها كما تشاء.. والثاني: مياه باهظة الثمن مخصصة لـ(الشرب) لا تكفي.

- أصبح هذا الواقع يحكم تصرفاتنا مع المياه.. في الوقت الذي تنادي فيه الوزارة المعنية بـ(ضرورة) الترشيد في المنازل.. هناك من يهدر المياه الجوفية بـ(دون) حساب.. في ظل تجاهل يثير الحيرة والتساؤلات.. الجهود موجهة بـ(شكل) مكثف نحو المياه المحلاة.

- تخصيص المياه الجوفية لـ(الأغراض) الزراعية في المملكة.. قاد إلى استنزاف المياه الجوفية بـ(شكل) جائر.. هذا التصرف مع المياه الجوفية يوحي بـ(عدم) الإحساس بـ(خطورة) الوضع.

- وإذا كان هناك إحساس بـ(الخطورة).. فهذا يعني تجاهل هذه الخطورة.. ربما لـ (مصالح) مؤقتة على حساب مصالح الوطن والأجيال القادمة.. هل السدود جزء من هذه المصالح؟! ...

39

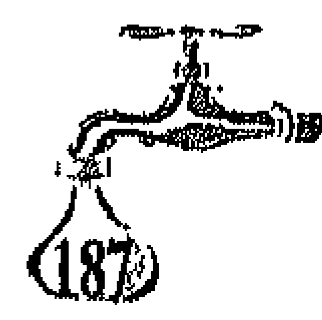
♦ تكملة لما ورد في المقال السابق.. هل أصبحت السدود جزءاً من مصالح مؤقتة؟!.. وإلا كيف يمكن تفسير بناء سدود صغيرة، ليس لها أي جدوى؟!.. هل كان الهدف منها زيادة الأرقام الإحصائية، التي تتحدث عن زيادة عدد السدود في المملكة، سنة بعد أخرى؟!.. تساؤلات تقود إلى الحديث عن كيف أصبح سكان المدن في المملكة، يعتمدون على مياه التحلية.. دون أن يسألوا، لماذا؟.. دون أن يسألوا، عن التكلفة؟!

♦ وصل ثمن المتر المكعب في إحدى المراحل، إلى أكثر من (10) دولارات.. تكلفة كانت عالية.. لا يستطيع تحملها سوى الدول الغنية.. مع ذلك، سادت ثقافة الإهدار.. ربما في غياب الوعي، بـ(خطورة) النتائج.. كنتيجة، هل أصبح الناس لا يعطون أهمية لـ(المياه) الجوفية؟!

♦ هكذا (استأثر) القطاع الزراعي بـ(المياه) الجوفية.. دون رقابة.. دون معايير ملزمة لـ(الجميع)، تحد من الاستنزاف.. بجانب صرف الأموال الضخمة.

♦ وجدنا أنفسنا أمام جبهتين.. كل جبهة لها ثقل مختلف.. لها نتائج مختلفة.. الجبهة الأولى، كانت جبهة إهدار المياه الجوفية.. والثانية، كانت جبهة إنتاج مياه التحلية، بجانب تكلفتها العالية.

♦ توجهت الجهود، مع التركيز، على جبهة واحدة.. هي جبهة إنتاج



مياه التحلية.. لماذا، وهي الأكثر تكلفة؟!.. أصبحت الوزارة المعنية مهتمة أكثر، بهذا النوع من الماء.. وأمام زيادة حاجة الناس إلى الماء، تبنّت الوزارة، الدعوة إلى خصخصة الماء.. في خطوة، يرى كاتبكم أنها نذير شؤم.

أين الاهتمام بـ(جبهة) المياه الجوفية؟!.. لماذا وضعنا أنفسنا في زاوية تحلية مياه البحر؟!.. هل لأن أضلاعها تصلبت، بفعل التهاون، والتجاوز، والتغاضي عن إهدار مياهنا الجوفية؟!.. أين الاهتمام الفطري بـ(الماء)؟!.. أين المسؤولية؟!.

أين أسوار المحافظة، والترشيد، والتخطيط لـ(الاستفادة) من المياه الجوفية، بـ(صورة) حكيمة، حاضراً ومستقبلاً؟!.. الماء في هذه الجبهة بدون ثمن.. هل يكون هذا، هو السبب وراء (فوضى) نتائج الاستنزاف، التي جعلت التحلية والسدود خياراً استراتيجيّاً؟!

نعود إلى السدود.. بطرح السؤال الأهم، الذي يتردد مع كل قطرة ماء مهدرة.. نسعى لـ(البحث) عن إجابة مقنعة.. هل السدود وسائل فاعلة، لـ(تغذية) المياه الجوفية، وتنميتها؟!.. هل هذا هو السبب وراء موجات التوسع في بناء السدود، حتى الصغير منها ؟!

يسعون لبناء أكثر من (10) آلاف سد في السنوات القادمة.. هكذا يقولون.. تصريح صدر بعد أسبوعٍ، من نشر أحد مقالات كاتبكم عن السدود.. هل كان الأمر مقصوداً، أم أنه مجرد مصادفة؟!

الجهود موجهة للبحث عن موارد مائية جديدة.. لكن هل (نهتم) بما هو متوفر في باطن أرضنا العزيزة؟!.. إذا كانت مياه التحلية تكلف البلايين من الريالات، فإن المياه الجوفية، بـ(جميع) أنواعها، لم تكلف الأمة أي شيء.

مياه ورثناها دون تعب، أو جهد.. مياه عثرنا عليها في باطن الأرض.. تم استخراجها بفعل قوة التقنيات الحديثة.. سواء في مجال تحديد أعماقها، أو مكامنها، ومدى انتشارها.. لماذا نبدد هذه المياه في هذه الصحاري؟!.. مما يزيد الطين بلّة، وجود النية لتسليم مياهنا الجوفية لـ(شركة).. وفي هذا تجاوز لـ(الكثير) من المحاذير.

مياه جوفية عذبة.. مخزونة بشكل تراكمي في باطن الأرض، عبر العصور المطيرة.. هل يعطينا امتلاك هذه القدرات، والتقنيات، والأموال، حق استنزافها، وإهدارها ظهيرة؟!.. سؤال مخيف.. يثير الكثير من القلق.. يقود إلى الكثير من الاستنتاجات والقراءات.. لها الكثير من التفسيرات المتعبة.

سؤال يقود إلى نتيجة واحدة.. نتيجة نختصرها في كلمة (إهدار).. هل لهذا الإهدار أي تبرير مقبول؟!

المياه الجوفية في المملكة تعاني كـ(مورد)، الكثير من المشكلات، والأمراض القاسية.. هذه المياه تحتاج إلى حماية.. تحتاج إلى عناية.. تحتاج إلى خطط رشيدة.. استثمارها بطريقة رشيدة في غاية الحكمة.. حتى الأجيال القادمة لهم فيها نصيب.

الماء كـ(مورد)، يعاني من سوء الإدارة.. يعاني من سوء الاستخدام.. يعاني من الاستنزاف الجائر.. ويعاني من التلوث بـ(جميع) أنواعه.

هذا بجانب عنصر الندرة.. الذي يثير زوابع من القلق على المستقبل في ظل زيادة عدد السكان.. وتجاهل مؤشرات الكوارث. ...

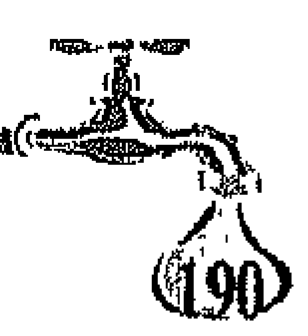
40

♦ كبقية الموارد.. يعاني الماء من تسلط الإنسان، وأطماعه، واستهتاره.. ومن جشعه الذي لا يتوقف.. الماء يعاني، مثل أي فرد، الكثير من الأمراض.. والأعراض تدل على نوعية المرض.. هناك أمراض يسهل علاجها.. لكن في غياب التدابير الوقائية.. أو إهمال العلاجٍ، تصبح بعض الأمراض، أوبئة قاتلة.. هكذا الحال مع الماء أيضاً.

♦ نهاية المقال السابق، ورد أن الماء يعاني من سوء الإدارة.. من سوء الاستخدام.. من الاستنزاف الجائر.. ومن الملوثات، التي تجعله فاسداً غير صالح للاستعمال.. ما هي الإجراءات التي اتخذت، حتى الآن، لحماية هذا الماء؟!

♦ الدفاع عن الماء هو دفاع عن الحياة.. يقودنا هذا، إلى السؤال المهم، الذي يحاول البعض تجاهله: ماذا عن التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية ومستقبلهما مع الماء؟!.. موضوع يحتاج إلى فتح ملفات الحقائق، والنقاش، والتساؤلات.. لرسم ملامح المستقبل مع مورد الماء.

♦ من يهرول في الظلام، ليس كمن يهرول في وضح النهار.. هل العبرة بالنهاية؟!.. النهاية المطلوبة هي بداية لنهاية جديدة.. التوقف،



يعني نهاية لا تخلق بداية.. هذا هو الموت.. نحن نسعى إلى رسم نهايات صحيحة تخلق بدايات سليمة.. هذا طريق الاستمرار والاستدامة.. كنتيجة، على ماذا تدل التصرفات مع الماء خلال العقود الماضية؟!

❢ تكرار القول ليس عيباً، لكنه تأكيد على حقيقة تعاملنا (المشين) مع الماء.. نهدر المياه الجوفية، ثم في خطوة أخرى، نلجأ إلى تحلية مياه البحر.. أليس هذا قمة التناقض؟!.

❢ نهدر المياه الجوفية، ثم نسعى إلى بناء السدود.. نهدر المياه الجوفية، ثم نلقي باللوم على قلة المطر.. تصرفات (متخبطة).

❢ الإهدار ثقافة سيئة.. الإهدار ممارسة لا تنم إلا عن جشع.. وعن غباء بيئي مستفحل.. هذا أقل ما يمكن قوله.

❢ مع استمرار الإهدار وتعاظمه.. نتساءل، لماذا كل هذه النتائج الوخيمة؟!.. هل نسعى إلى المستقبل بنفس توجهات الأمس واليوم، وممارسات الساعة؟!.. هناك خوف خفي محمول.. يسعى البعض لقذفه إلى المستقبل.. في تصرف لا يختلف عن تصرف طائر النعامة.. تخفي رأسها في الرمل، بينما كامل جسمها مكشوف للصياد.

❢ الترقيع منهج يمارسه البعض مع الماء.. يهربون من مشكلات اليوم برسم خطوط إنقاذ وهمية بمشاريع جديدة.. هي في واقعها استمرار للأخطاء والتناقضات.. في غياب التخطيط تسود إدارة الترقيع.. التخطيط يعني وضع أولويات في كل شيء.. هل فعلوا؟!

❢ الترقيع يخلق تضاريس ذات طبيعة متنافرة، يصعب التعامل معها.. هكذا الوضع في ظل اللجوء إلى التحلية والسدود كخيار استراتيجي، وسط مشكلات استنزاف المياه الجوفية الجائر؟!

❢ ندرك أن التحلية وسيلة مساعدة.. كاتبكم يعتقد أن التحلية ليست

الحل الكامل.. ليست الحل الأمثل على المدى الطويل.. خيار التحلية يتطلب أموراً أكثر أهمية من الأموال الضخمة والتقنيات الحديثة.. في أحد جوانبها، العقل، ومتطلبات الحماية.. هناك محاذير كلها رعب.. هل تصبح حياتنا رهينة لصناعة لها محاذير؟!

- العقل أهم من التقنيات والمال.. حتى الحضارة عبارة عن عقل.. ليست فقط إمكانيات تقنية ومالية.. هل أصبحت تحلية مياه البحر خياراً استراتيجيّاً في ظل استنزاف المياه الجوفية وإهدارها ظهيرة؟!.. سؤال كبير، هل يوضح غياب العقل عن الساحة؟!.. هل يثير الخلاف والجدل؟!

- وضعنا أنفسنا وأجيالنا القادمة أمام خيار صعب.. هل كنا نملك حق إهدار المياه على زراعة غير مستدامة؟!.. ما زلنا مستمرين في إهدار الماء بطرق شتى.. أين العقل في شريط الترقيع؟!

- حتى الزراعة، كانت عملاً عشوائيّاً.. كانت توسعاً أفقيّاً هائلاً، نتيجة لواقع الاندفاع والحماس.. لم يكن نتيجة لخطط وبرامج مدروسة.. هل ينسحب هذا على خصخصة المياه؟!..

- زراعة حركها، وما زال يحركها حزمة من العوامل، أهمها: أسعار الضمان، والمعونات، والقروض.. أكثر من (100) مليار ريال ذهبت للقطاع الزراعي خلال أقل من عقدين.

- ونتعجب عندما نعرف أن (70) مليار ريال ذهبت للقمح الذي استنزف أيضاً المياه الجوفية ثم تراجع.

- معلومات مهمة، هل نعتبرها جزءاً من مؤشرات، لنوعٍ المستقبل الذي نرجوه.. أوضاع مثيرة للقلق.. تجعل المستقبل أكثر خوفاً.. أوضاع مائية وزراعية مرعبة. ....

41

ارتفاع الطلب على المياه في المملكة مستمر .. وحسب التقديرات الرسمية، بلغ حوالي (23) مليار متر مكعب خلال الخطة الخمسية السابعة.. كان نصيب القطاع الزراعي حوالي (90) بالمائة.. أكثر من النصف، من مصادر جوفية غير متجددة.

معلومات تتحدث عن نفسها.. لكن في ظل الدروس والعبر، عبر العقود الماضية، هل تقلص استنزاف المياه الجوفية؟!.. هل يتغير الأمر، وهم يعملون على استبدال زراعة محاصيل بمحاصيل أخرى؟!

الاستنزاف مستمر .. وسط تجاهل محاذير خطط التنمية.. دعونا نذكر بكميات المياه، التي استهلكها القمح، خلال موسم واحد، في إحدى سنوات زراعته.. يعادل إنتاج محطات التحلية لمدة (17) سنة.. بلغة أخرى، بلغ سعر هذه المياه التي استهلكها القمح لنفس الموسم أكثر من (88) مليار ريال، وذلك بسعر تكلفة مياه التحلية.. ماذا يمكن أن نسمي هذا؟!

معلومات تجعل النوم يجفل من العيون.. هل كان هناك مبرر أو حاجة تدفع بهذا الاتجاه المضر والخطير؟!.. لماذا تم الدخول في هذا النفق، الذي كانت نهايته واضحة منذ البداية؟!.. نفق مغلق، لا يقود إلى أي ضفة أخرى.. النتيجة الحتمية هي الرجوع إلى نقطة البداية،

بعد كل ذلك الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية.

السؤال الأهم: هل هناك بداية لنفق آخر، لا يختلف عن النفق الأول؟!.. هل خصخصة قطاع المياه نفق جديد، بنهايات غير معروفة؟!

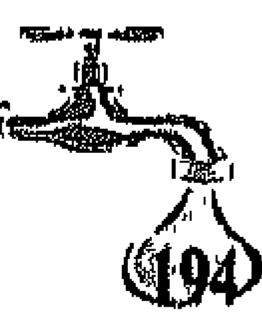
معظم المؤشرات تعطي نتائج مخيفة.. في كل مرحلة كان الحديث عن الإنجاز يتعاظم.. وصوت التفاخر يصل إلى عنان السماء.. ثم في مرحلة أخرى، نجد أنه كان مجرد اجتهاد، للبحث عن بطولات غير حقيقية.. تصبح البطولات كابوساً فظيعاً.. سرعان ما تتحول نهايات هذه البطولات إلى معاناة.

هل أصبح الحديث عن الإنجاز مؤشراً جديداً للفشل؟!.. كانت الزراعة عندهم إنجازاً عظيماً.. تحولت بفعل نضوب الماء إلى كابوس.. ألم يكونوا يدركون ذلك قبل الشروع في التوسعات المضرة؟!.. ماذا عن الماء والمستقبل؟!

هل جعلنا البلد برمته، تحت رحمة التحلية؟!.. هل كان نتيجة لعوامل الاجتهاد، والاندفاع العشوائي، وعدم الاحتكام إلى خطط التنمية؟!.. هل جعلنا المصير مرتبطاً بمياه التحلية؟!

نتحدث عن إقامة شركة للمياه.. السؤال: ماذا سيتغير، وقد فرطنا في مياهنا الجوفية، بكل سهولة؟!.. هل ستحافظ على الماء، شركة همها الربح، والربح فقط؟!.. هل لوزارة التخطيط دور ومشاركة، في رسم خطوط المستقبل مع الماء؟!

الجميع يدرك أن التحلية صناعة.. اللجوء إلى هذه الصناعة يحقق أهدافاً كثيرة.. لكنها في الجانب الآخر، صناعة لها محاذير.. هل نعتبرها مشروع مجازفة؟!.. التحلية تقنيات تتآكل عاماً بعد آخر.. التحلية صناعة، وطاقة، وصيانة، وخبرات، وأموال طائلة.. من يملك



كل هذه الأشياء؟!

لماذا يدفع الناس تكلفة ماء باهظ الثمن، في وجود ماء ليس له أي ثمن؟!.. ماء بالمجان في باطن الأرض.. تم إهداره في زمن قياسي، وما زال يهدر بشكل خطير.. هل يتحمل الناس أخطاء واجتهادات وزارة؟!.. ماذا عن الأجيال القادمة؟!

هل تجاهل البعض حقيقة أن الإنسان مرتبط بالأرض، وثرواتها، ومنها مورد الماء، الأهم للحياة.. هل نعيد الحسابات؟!.. بل، هل يسعفنا الوقت، للعمل على احترام المياه الجوفية، والارتقاء بأهميتها، لتعادل أهمية روح الإنسان نفسه؟!.. حتى السدود، لا تختلف عن التحلية، ومحاذير الاعتماد عليها، وجعلها الخيار الاستراتيجي الوحيد أمام الناس.

عند الحديث عن المياه.. يصعب تغطية جميع الجوانب والمسارات، التي تتعلق بالماء كمورد.. لكن يبقى السؤال: هل السدود عامل مهم، في تغذية المياه الجوفية؟!.. هل السدود عامل مهم، في تعويض الكميات الجائرة المسحوبة، سنويًّا، بفعل الاستخدامات الزراعية المهولة والمختلفة؟!

لكاتبكم إجابات قادمة.. لكن قطار الحديث لم يصل إليها بعد.

هناك الكثير من الأفكار، والمعلومات، التي تتزاحم، مثل ركاب القطارات.. الكل يريد أن يدخل القاطرة قبل الآخر، لحجز مقعد مريح.. البعض يصل، ثم يحجز مقاعد أخرى للرفاق.

هكذا الحديث يكون مع الماء.. الماء محور القضية، وعلى كاتبكم الإشارة، إلى كل ما يمكن أن يؤثر، إيجاباً لمصلحة الماء. ...

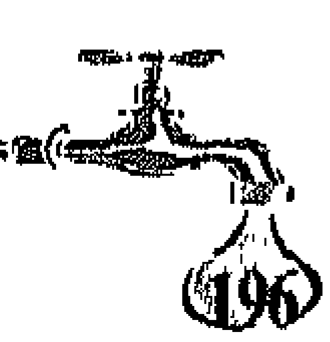
42

في رحلة الحديث عن الماء، هناك محطات تثير الكثير من علامات الاستفهام.. منها محطات التصريحات، التي لا تنتهي.. ليس لها حد يمكن التوقف عنده.. بعضها أشبه بمحطات (التشويش).. كلها زوابع من النتائج الغامضة المضرة.

من أهم المحطات.. محطة لم يفهم كاتبكم أبعاد قراءتها.. لها صور من النتائج.. تتدرج من الصور الجميلة المتفائلة.. حتى تصل إلى مرحلة من صور الشك والريبة، وأيضاً الخذلان.. مع اختلاف وتباين الصور، لم يستطع كاتبكم.. ولن يستطيع فهم الملامح.. ضاقت نتائجها على الفهم.. هل هناك تبريرات لدى أصحاب التصريحات..خاصة في هذا الوقت الذي فاض بالنتائج المقلقة على المياه الجوفية؟!

هل تتذكرون التصريح الشهير، الذي بشّر الأمة، بوجود ثروة من المياه الجوفية، تعادل تصريف نهر النيل لمدة (500) عام؟!.. هل كان محطة (تشويش) في زمن الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية؟!

ما الصور التي تكونت لديكم بعد سماع التصريح؟!.. ما الاستنتاجات التي تكونت بعد التصريح؟!.. هل لديكم إجابات متفائلة؟!.. لكن كيف يمكن لهذا التفاؤل الامتزاج بمادة واقع نراه أمام العين.. أكثرها يقيناً جفاف عيون واحة الأحساء الشهيرة؟!



بالنسبة لكاتبكم، كان الفهم سيلاً من تساؤلات لا تنتهي.. بالتأكيد لن يكون لها نهاية.. هل كان الفهم الذي خطط في حينه، لظهور التصريح، يحوي عناصر تثبيط وتجفيف منابع القلق لدى المواطن؟!

هل كان الهدف إغلاق مصاريع القلق نهائياً؟!.. في حينه، هل كان الهدف تجميد القلق، وبعثه في مراحل لاحقة؟!.. هل كان هناك إدراك بخطورة استنزاف المياه الجوفية؟!.. إذا كان الأمر كذلك فلماذا كان هذا التصريح؟!

القلق على الماء قلق مشروع.. وعند كاتبكم قلق له أيضاً مبررات دينية.. تجعله واجباً على الإنسان.. الماء نعمة.. هل كانت المسيرة تحترم هذه النعمة؟!.. هل كان التصريح مسئولاً، بشكل مباشر، عن التمادي في تفاقم ثقافة الإهدار والاستنزاف للمياه الجوفية؟!

هل كان التصريح يقول: لا داعي للخوف والقلق.. لدينا المياه الوفيرة.. هل كان يقول: استمروا أيها القوم في الإهدار والتبديد.. استمروا في الاندفاع الزراعي؟!

هناك استنتاجات تقود في نهاية الأمر إلى (الهلوسة).. هناك أسئلة كثيرة ليس لها إجابات منطقية أو إجابات علمية، خاصة مع مرور الوقت، حيث تتكشف معالم الحقيقة المرّة.. واقع يقول عكس ذلك التصريح.. فأيهما الصادق، التصريح أم الواقع؟!.. أم أن التصريح والواقع لا يختلفان؟!

التصريح صادر من جهة علمية.. هذا يحمل في طياته الكثير من المعاني.. يعني أن الرقم، يفترض أن يكون، حقيقة علمية.. ناتجة عن بحث علمي موثق.. أفضى إلى هذا الاستنتاج الكبير.

في ظل هذا التصريح الشهير، الذي ما زال يتكرر عبر وسائل

الإعلام في البلد.. نكرر.. في ظل هذا التصريح.. لماذا أصبحت التحلية خياراً استراتيجيّاً لـ(وزارة) المياه؟!.. قد يكون في هذا السؤال صدمة كبيرة للبعض.. قد يكون هزة (بدن).. قد لا يعني أي شيء.. لكنه سؤال مشروع.. يجب فرد نسيجه بدقة أمام الجميع.. يجب العمل على تشريح جزيئاته بدقة.. الهدف سبر أغوار الواقع.. كل ذلك من أجل الماء.. الذي تحارب على مصادره العرب في مسار تاريخهم، الذي ما زال يحملهم إلى المستقبل.

❢ هل نبحث عن إجابة؟!.. المؤشرات تقود إلى مجالات من الاستنتاج.. تحمل ألواناً مختلفة.. لكنها تدعو إلى التأمل، وإلى الألم، وإلى الحيرة.. نسعى للحصول على إجابة صادقة.. إجابة خالية من الإثارة والتبريرات.. إجابة تنهي ملف الغموض.. إجابة من الجامعة التي صدر عنها التصريح.. وهم حاليّاً في هرولة نحو تسويق التحلية كخيار استراتيجي.. هل (تخلّوا) عن تصريحهم الشهير؟!

❢ لماذا تم تجاهل هذا التصريح؟!.. لماذا لا يدافعون عنه؟!.. هل كان حقيقة علمية دامغة؟!.. هل لهم فخر إنجازها وإثباتها علميّاً؟!

❢ حقيقة بهذا الوزن يجب أن تكون مصدر إلهام للأمة وللأجيال القادمة.. يجب أن تكون مصدراً (يعول) عليه عند رسم استراتيجيات المستقبل والتطلعات.

❢ هل كان التصريح (لغزاً) في مسيرة استنزاف وإهدار المياه الجوفية؟! ...

43

♦ أمس السبت، 22 مارس، كان اليوم العالمي للمياه.. لم يأخذ العالم في الاعتبار نفسية العرب.. لا تحركهم أيام الأشياء.. ولا أسابيعها.. ولا حتى سنوها.. كان يجب، كالعادة، إعطاء العرب ما يريدون.. العرب يحبون الأعياد.. هي شغلهم الشاغل.. وهدفهم المستمر.

❢ [العيد] العالمي للمياه.. هكذا، كان يجب أن يكون النشيد.. أسوة بأعياد أخرى، مثل عيد الحب.. يلهب الحماس في كل الاتجاهات.. على الأقل، للتفكير سلباً أو إيجاباً.. بين مؤيد أو معارض.

❢ لكن كيف يكون للماء عيد، مع عرب لا يرون الماء؟!

❢ هل أصبحت كل أيام العرب أعياداً ؟!.. هكذا وصف الدكتور غازي القصيبي الوضع عندما قال: [تمشي الهزائم فوق منكبه.. وهو بأفراح النصر مشغول].. هذا هو العربي.. حتى مع الماء.

❢ في حلبات الكلام.. تذكر كاتبكم الشاعر العربي الشهير.. الذي قال: [ناحت بقربي حمامة].. العرب يعرفون أن النواح للبقر.. النواح ليس لطائر الحمام.. لكن لدينا خيالاً جامحاً .. لدينا مفردات.. تحمل معاني مزدوجة.. أحياناً متناقضة.. بعضها يحمل المعنى ونقيضه.. هكذا حتى مع الماء.

هل كان الشاعر يمر بأزمة؟!.. هل كان لها أبعاد مائية؟!.. هل كان يرى الحمامة (ثوراً) مفلوت القياد؟!.. الشاعر كان حبيساً في غرفة لها نافذة.. هل كانت الحمامة هي الأخرى مربوطة بالأعمدة الحديدية، المغروسة في جدار النافذة؟!.. كاتبكم يعتقد أن الشاعر كان ينظر من خلال هذه النافذة الصغيرة إلى الفضاء الخارجي، لزيادة لهيب معاناته، وزيادة عطشه لأرضه وناسه.

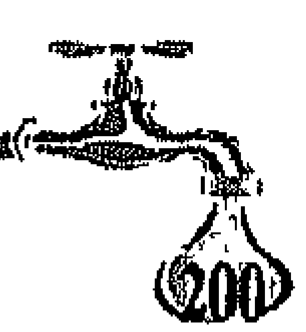
دعونا نقل : النافذة تطل على شجرة خضراء.. الشجرة لها غصون.. تحدث الجميع عن الشعر والشاعر.. لم يتحدثوا عن الشجرة.. لم يتحدثوا عن طريقة حصولها على الماء.. حتى الشجرة كنوع.. كانت مجهولة.

نهتم بالشيء، ولا نهتم بمن حوله.. تعرفون الشاعر وقصته.. كان عربيّاً.. تعامل مع الأشياء بمنظار مختلف.. كنتيجة.. جعل الحمامة تنوح وتبكي.. ربّما! أي وجع يحمل؟!.. هل كان يمر بمرحلة عطش وجفاف؟!

أكثر من عقدين يكتب عن المياه، هذا كاتبكم.. مغرداً خارج السرب.. إلى أن وصل إلى مشارف جفاف منابع الأمل.

أخيراً، ظهر علينا قمر اليوم العالمي للمياه.. معه تجدد ألم الوخز، وتعب الحركة.. تحرك ذلك الأمل الذي تآكل.. دب في بعض أجزائه اليباس.. تصحر الأمل، بفعل علم (الطنبشة) العربي.. ضاعت المياه.. كضياع وقت العرب الثمين.

في اليوم العالمي للمياه، لا أدري، ماذا يقول العرب عن صوت الماء؟!.. هل يطلقون عليه.. (نحيباً) بدلاً من (خرير)؟!.. الأغلب أن تكون التسمية : (مؤشراً).. يمكن أن يكون ذلك..هم مكبلون



بمصالحهم الخاصة.. مشغولون.. الله يكون في عونهم.. لديهم هموم يومية.. هل الماء خارج هذه الهموم؟!.. يرون كل المؤشرات حولهم متذبذبة.

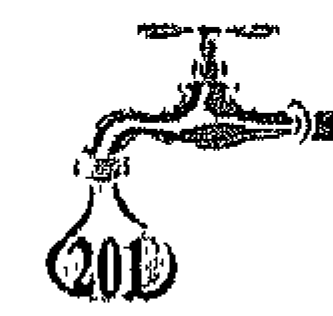
البعضٍ لم يجد تفسيراً لمدلول هذه المؤشرات.. لا يعرفون من يحركها أيضاً.. عجز الجميع عن إيجاد تفسير علمي، أو منطقي مقبول.. كنتيجة، يقولون : حياتنا غير.. مع كل ذلك، هم يأملون.. لأن القوة الدافعة التي يمتلكونها تتحرك وفق نظريتهم الشهيرة : [اصرف ما في الجيب.. يأتِك ما في الغيب].. لكن كيف سيتعاملون مع مؤشر العطش؟!

أصبح العرب في شغل دائم.. يتعاملون مع مؤشرات بجميع الألوان.. يعيشون على اليابسة تتلقفهم الأمواج الهادرة.. يرون تأثيرها على حياتهم.. لا يختلف ذلك التأثير.. عن إيقاع ثقافتهم الغنائية التراثية.. تراها في صعود وهبوط... يتخللها هز الوسط.، لأكثرهم تفاؤلاً بالمستقبل.

توليفة، لها أبعاد.. لها معان غائرة في النفس العربية.. مثل الآبار الغائرة في أرضهم.. عليها يعيشون.. حتى الدلو، في صعود وهبوط... هل الجميع، مع الماء، إلى مصير مجهول؟!

كلام (منحوت).. معه يتذكر كاتبكم البحر.. وصفوه للخليفة عمر رضي الله عنه.. قائلين : [الناس فيه دود على عود.. الداخل مفقود.. والخارج مولود].. ارتعد الخليفة المسئول.. اتخذ القرار.. لم يجبر أمته على ركوب هذا البحر في حياته.. لكن الأمة ركبت البحر من بعده.

أخيراً نقل العرب مياه هذا البحر.. إلى حنفيات ديارهم.. أتى هذا البحر إليهم.. بعد أن توقفوا عن الذهاب إليه. ...



44

♦ اليوم العالمي للمياه.. يحل في 22 مارس من كل عام.. لم يسمع عنه العرب.. نسي العالم أنهم في سباق تاريخي.. لم يتم تعريفه، ولن يتم .. حتى مع النذير العالمي الذي يردد: ماؤكم يا عرب في خطر.

♦ وجد العرب أنفسهم في تعايش مع الخطر.. لكن هل يعلمون أن العالم صغير وجميل؟!.. يتابع العرب المسيرة من داخل عرين الجفاف.. هل يعرف العالم ما هو الأهم عند العرب؟!.. بالتأكيد ليس الماء، حتى في يومه العال مي، الذي يجهلون.

♦ أي (زخة) مطر، هي رحمة ونعمة.. كان ذلك في عصر الجمل والأتون.. أخيراً، وصل العرب إلى مرحلة تحلية مياه البحر المالح.. بعد أن جففوا القاع.. بتقنيات ومضخات عملاقة أعجمية.. تجلب الماء المتخفّي في أعماق أرضهم الجافة، رغم أنفه.. لديهم الدراهم.. حولوها إلى مراهم.. فكّت قيود أوجاعهم، وعقدهم التاريخية المستعصية.. تجاهلوا معها حق أجيالهم القادمة.. حتى حقهم في الماء الذي يستنزفون.

يسمعون نواح التقنيات.. يحسبونها نعمة، (خرّت) عليهم من السماء.. وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد.. أن الله.. سخر لهم العالم لخدمتهم.. تحت الشعار الذي يرفعون: [خذ بيوم السّعد حدّه].. أيام السعد عندهم محدودة.. كنتيجة، تراهم ينشرون ثقافة التبذير والإهدار.. أصبحت منهج حياة.. أصبحت أجيالهم خاوية، لا تعرف حتى قيمة نعمة الماء.

حتى فنون (الصوت).. الذي يظهر من أعماق النفس الإنسانية العربية.. كان يحمل صدى لا يختلف عن صدى أمواج البحر وأهواله.. اختفت فنون الصوت من الثقافة المحلية.. اختفت معها مهارات التعامل مع البيئة.. بالطبع منها مهارات إدارة الماء.. وصل الجميع إلى مرحلة من الإهدار المضر.. مرحلة التبلّد، رغم إدراك الخطر.

حتى المطر.. أصبح عندهم (نقمة).. هذا مؤسف.. حضارتهم المستوردة، تغرق في شبر ماء.. مع كل (زخة) مطر، تصبح المدن عائمة، في بحيرة ضحلة.. اللوم على المطر.. كلنا يحترم المسئول.

عبر التاريخ نسمع الدعاء: [اللهم على الآكام.. ومنابت الشجر].. منازل كانت من الطين.. يشبه لون سحنتهم.. تغير الوضع، أصبحت من الدولار والإسمنت.. ضاعت منابت الشجر.. ضاع الماء.. هل اختفى حتى من المقل؟!

هل نحن أمام مأزق؟!.. العالم يحتفل باليوم العالمي للمياه.. هل نؤيد أم نعارض؟!.. توصل العالم إلى قناعات وحقائق، تفيد بأن

الماء في خطر.. النبأ لم يصل إلى العرب.. ما زالوا يهدرون الماء.. ما زالوا يستنزفون الأعماق.. لا خوف.. لا رادع.. العالم علق الجرس.

هل نحتفل باليوم العالمي للمياه؟!.. لا نملك مياهاً سطحية.. لكي نعرف أنها في خطر.. المياه عندنا حالة استثنائية.. جميع موارد المياه التي يعول عليها.. هي مياه أحفورية.. مثلها مثل البترول.. كنتيجة، هل كل شيء يملكه العرب ناضب؟!

هل يوقظ اليوم العالمي للمياه الضمائر المفتونة بنظريات (كاني ماني)؟!.. هل يعدل حركة الضمائر الفاسدة.. والضمائر المتقاعسة.. والضمائر غير المكترثة؟!.. هل يغير اليوم العالمي للمياه من صور الجشع والطمع، الذي استنزف الكثير من المياه الجوفية؟!

يبقى السؤال: هل يحتفل ضيوفنا.. وقد تسلموا زمام كل أمور المياه.. بعد أن أصبح العرب، كل العرب، مديرين حتى في رعيهم الغنم؟!.. حتى المزارع أصبح ضيفاً أجنبيّاً.. هناك آخرون.. كلهم يهدرون الماء.. هذا يثبت براءة العرب.. قوم لا يهدرون الماء.. يدفعون المال مقابل الإهدار.. وهل هناك سخرية أكثر أبعاداً مما يفعلون؟!

التقنيات والمضخات، ووسائل الحياة الحديثة المستوردة، حتى أحواض السباحة تهدر الماء.. أكيد، العرب لهم مهام أخرى.. منها مواجهة العطش.

هل يحتفل العرب باليوم العالمي للمياه؟!.. هل سيتغير الأمر؟!.. دعوني أخرج عن قواعد العقل.. أسأل: إلى أين نحن

ماضون.. وهذه التنمية الاقتصادية والاجتماعية تحتاج إلى الماء؟!

متى يكون الماء هو المحور الأهم في أي تنمية؟!.. هل العرب قادرون على إقامة حضارة على حواف الصحاري الجافة؟!.. ليش لا؟!. (النوافير الصحراوية)، قد يكون هذا علمنا الأخير الذي نقدمه إلى العالم، في مسلسل نضوب المياه.

الكل يتحدث!.. الكل يتفرج!.. الكل يتساءل!.. الاستنزاف مستمر!.. الماء مهدر!.. الماء أهم!.. الماء نعمة، تستوجب الانتباه. ...

مقالات 2009

لفحة النضوب

45

♦ نعلم أن الزراعة تحتاج ماء وفيراً.. ومع علمنا بتلك الحقيقة، ركبنا موجة التوسع الأفقي الزراعي.. كنتيجة زادت المساحة المزروعة بنسبة (2449%) مقارنة بعام (1975).. أصبح لدينا أكثر من أربعة ملايين هكتار بنهاية (1990).. وهي تعادل المساحة المزروعة في دولة عربية تملك نهراً نراه من الفضاء الخارجي.

♦ ماذا نفهم من تلك الزيادة في المساحة المزروعة؟!.. نفهم أشياء كثيرة ومتعددة الجوانب.. بعض الفهم متضارب.. بعض الفهم لا يخضع إلى النظريات العلمية.. بعض الفهم حائر.. بعض الفهم عاجز عن التفسير.

♦ تسألون عن فهم كاتبكم لتلك الزيادة.. فهم كله تساؤلات، سيعجل ببعض التوتر عند البعض.. كنتيجة سأرويه لكم على حلقات.

♦ تخيلوا أننا تحت قبة مغلقة.. جدرانها تعرض أفلاماً تخاطب الخيال.. ترى التناقضات ثم تضحك وتضحك.. تخرج من باب القبة وأنت سعيد ومبتهج.. فقط لأنك عشت لحظات غير واقعية.. بعدها رجعت إلى حياتك العادية دون أن تخسر شيئاً.

- التوسع الزراعي الأفقي يختلف.. دخلنا القبة الزراعية برغبة واندفاع.. عشنا أياماً سعيدة.. أشبه بأيام جمع الغنائم.. خرجنا من القبة بجفاف ونضوب المياه الجوفية.. خسرنا.. لم نفكر في الخروج قبل الدخول.. حياتنا تغيرت.

- هل خدعنا أنفسنا وأجيالنا القادمة.. ماذا فعلنا، ولماذا؟!.. هل كنا في كامل وعينا؟!.. اعتلينا بساط الريح.. بساطاً نسجناه بأيدينا.. أصبحت الريح هي التي توجه البساط وكما تشاء.

- كان هناك خلل فاضح.. هل كان هناك فهم للبيئة؟!.. السؤال الأهم.. هل تحدينا البيئة؟!.. الذي يضع نفسه في هذا الموقف غبي بكل المقاييس.. لا يمكن لعاقل أن يتحدى البيئة.. لكن يمكن التعايش مع البيئة بسلام ونجاح، وفق مبادئ وقوانين وأعراف لا يمكن تجاوزها.

- البيئة لينة العطاء لمن يسعى إلى كسب احترامها بحسن التعامل.. البيئة تسمح لك كفرد بخلق بيئة صغيرة خاصة، لكن البيئة لا تسمح لهذا الفرد بالسيطرة عليها كما يشاء.

- التوسع الزراعي الأفقي كان تحدياً صارخاً للبيئة.. كاتبكم يشرح تلك الحقيقة لطلابه.. البعض منهم ينسى والبعض تزداد قدراته.. قدمت لهم، كمثال، نموذجاً لحسن التعايش مع البيئة.. وزارة الزراعة ترى عكس ما تمارسه الأجيال، جيلاً بعد جيل، وبكل خبرتها التراكمية.. أكثر من عقدين أطرح هذا السؤال أمام الطلاب.. لماذا المسافة بين النخيل في واحة الأحساء لا تزيد على (6) أمتار.. بينما تنادي الوزارة بجعله (10) أمتار؟!

- يظل الجواب عائماً لدى خبراء الوزارات المعنية.. ممارسة وزارية تنفي العقل التراثي المهاري الزراعي والمائي.. تنفيه خارج إطار

الواقع البيئي.. وزارة ترى هذا التراث تخلفاً.. كنتيجة تم تدمير تراثنا الزراعي بتعليمات معلبة بدعوى أنها حديثة.

- البعض يرى التراث المهاري الزراعي أشبه بالسوسة الحمراء.. يجب اجتثاثها.. ولا مانع من اجتثاث النخل معها للقضاء عليها.. النهاية مؤلمة.. النهاية تصحر الأرض.. وهل ينفع الصوت بعدها؟!

- من فرط السعادة في وقت الذروة، لا تبالي بالأصوات التي تنادي وأنت تمارس اللعبة.. ربما لا تسمعها.. أنت في نشوة لا تسمع إلا نفسك.. أو أنك تتجاهل الأصوات.. في نشوة واثق الخطوة لتحقيق المزيد.. بعد توقف اللعبة، ومع الفشل، تجد أن كل شيء حولك تغير.. الأصوات ابتعدت عنك.. تركتك تلاقي المصير الذي نادوا بتجنبه.. رغم أن مصيرك هو مصيرهم جميعاً.

- هناك أصوات أخرى تنادي بالاستمرار والتقدم.. تشجع وتدفع.. تعطي لك المحفزات.. تخلق حولك مظاهر الانتصار والإنجاز.. بعد أن تتوقف اللعبة، ومع الفشل، تجد أن كل شيء حولك تغير.. حتى تلك الأصوات ابتعدت عنك.. تركتك وحدك تلاقي مصيرك.

- يتساءل كاتبكم.. هل يحق لنا طلب محاكمة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)؟!.. نتساءل: كيف سمحت لنفسها بتقديم جائزة تقديرية إلى وزارة الزراعة والمياه على توسعها الزراعي المضر؟!

- هل كان هناك لعبة لم ندركها في حينه؟!.. لماذا لم تحذر من خطورة الاندفاع بدلاً من تقديم جائزة لوزارة الزراعة؟!

- جائزة زادت من عمى البصر والبصيرة.. سنظل نتساءل وبدون تحفظ.!.. ويستمر بعنوان آخر عن القمح وجوائز التلميع. ...

46

نتعجب كيف انهالت الجوائز على وزارة الزراعة والمياه.. كأن الإنجازات الزراعية لم يعد لها أرض غير أرضنا.. الزراعة العشوائية ليست إنجازاً، مهما بلغ مدى نجاحها.. زراعتنا للقمح كانت زراعة عشوائية.. زراعة مؤقتة لم تفصح عنها في حينه الوزارة.. لكنها كانت تعطي الانطباع بالتفوق والنجاح.. هل كانت رؤية الوزارة غير رشيدة؟!.. ولماذا؟!

هل كانت الجوائز لعبة تلميع بأهداف محددة؟!.. كاتبكم لا يسعى إلى الحصول على إجابة.. تاريخ مضى وانتهى.. لكن التساؤلات حق مشروع في هذه المواقف.. التساؤلات تعطي بعداً للتفكير والتأمل والتقصي.. التساؤلات ظاهرة صحية للبناء الجيد.. التساؤلات مجال لسبر غور الواقع للوقوف على الحقيقة.

الإنسان مؤتمن وقادر على الإتقان متى ما أراد السعي نحو مستقبل أفضل.. لماذا لم يفكر المندفعون في أمر زراعة أربعة ملايين هكتار في بلد جاف وصحراوي؟!.. كيف يمكن استدامة ريها؟!.. التساؤلات مهمة ومطلب ملح ومخلص.. لكن أن يكون هناك جوائز لا تأخذ في الحسبان استنزاف المياه الجوفية المحدودة.. فهذا يعني أن هذه الجوائز جزء من العبث والعشوائية والتلميع؟!

بجانب جائزة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، كانت هناك جوائز أخرى.. في عام (1409-1989) حصلت وزارة الزراعة والمياه، على جائزة أحسن وزارة زراعة في العالم العربي، كأفضل منتج عربي للقمح.. يا للهول.. من يضحك على من؟!.. ماذا حققت هذه الوزارات بطول وعرض العالم العربي؟!.. الجائزة دليل على وضع وزارات لا ترى المستقبل الزراعي العربي.

كانت الجوائز كابوساً، مثيراً للدهشة.. لأن إنجازنا في مجال القمح تحول إلى شوكة في نحورنا.. هل ترى هذه الوزارات المستقبل الزراعي في العالم العربي؟!

إنجازنا القمحي كان مشهداً تحول إلى أداة لاستنزاف المياه الجوفية.. الإنجاز الزراعي لا يستمر في غياب المعايير العلمية.. كنتيجة، توقفت زراعة القمح وغيره.. توقف التوسع الزراعي.. هذا يعني تعطل محركات المد الذي شجعته تلك الجوائز.. كانت فضائح بكل المعايير.

نسأل اليوم المنظمة العالمية (الفاو) لماذا لم تفكر في مياه المملكة الجوفية؟!.. لماذا لم تحذر، وعندها كل الخرائط الجغرافية؟!.. نطرح التساؤلات حتى على وزارات الزراعة العربية.. لا نريد إجابة من (الفاو) أو أي وزارة عربية.. ليس من حقنا أن نرمي بثقل خيبتنا على الآخرين.. لا نبحث عن شماعات نعلق عليها الأخطاء.

في ظل تجاهل خطط التنمية، هل نملك الشجاعة لمحاكمة أو مساءلة المتسببين في هذه الكارثة المائية، وهذا الوضع الزراعي الذي أصبح مهاجراً ظهيرة، مخلفاً وراءه الكثير من السلبيات والمشكلات والتحديات؟!

ماذا تعني نتائج الفشل؟!.. كيف يتم تفسيرها؟!.. الحقيقة تقول إن الريح هي التي كانت توجه شوكة الميزان الزراعي.. ولكن ما كنه هذه



الريح؟!.. وبغض النظر عن الإجابات، النتائج تشير إلى وجود خلل.

هل كان هذا الخلل بسبب السعي نحو الثراء السريع؟!.. هل كان هو السبب الذي أخل بكل النظريات العلمية المطروحة في مجال الاقتصاد والمجتمع والبيئة والجغرافيا وكل العلوم الأخرى؟!

بعد هبوط مستويات المياه ونضوبها، والذي ستتحمله أجيال المستقبل، كان هناك تحرك آخر مدهش وجديد.. بدأنا نسمع عن هجرة رجال الاستثمار الزراعي إلى الدول الخارجية.. ونسمع أيضاً عن تشجيعهم.. كل ذلك للبحث عند الآخرين عن مكان شاغر للاستثمار في مجال الزراعة والأسماك.

يا للهول، عقلية لا تحكم السيطرة على ما في يدها.. ثم تبحث عند الآخرين.

هل يستثمرون أموالهم الخاصة؟!.. أم أنهم مستمرون في استثمار تسهيلات الدولة أعزها الله؟!.. وماذا جنت الدولة من المشاريع الزراعية السابقة؟!.. هل لدى الوزارات المعنية إجابات مقبولة تلجم أفواهنا؟!

هل نستطيع القول: يتعلمون الحلاقة في رؤوس الأيتام؟!.. كيف يحصل هذا وهناك علماء سعوديون قادرون ومتمكنون؟!.. لماذا التغييب؟!

من التجارب السابقة نفهم مدى السعي الحثيث وراء استغلال وجمع المال الحكومي.. أستطيع القول إن جل المستثمرين كانوا يسعون بدافع مالي وليس وطنيّاً.. لأنه وبمجرد توقف التسهيلات الحكومية توقف نشاطهم.. ويستمر بعنوان آخر عن التشاؤم والتفاؤل في الزراعة الخارجية. ...

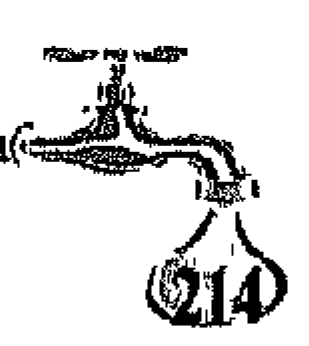
47

هل كاتبكم مع أو ضد الاستثمار الزراعي الخارجي؟!.. هذا موضوع آخر، يمكن الحديث عنه في مقالات أخرى.. لكن عندما يكون بعيداً عن مياهنا الجوفية، فهذا مكسب.. يذهبون إلى أي دولة يريدون.. (يبعثرون) الفلوس كما يريدون.. يستثمرون كما يريدون.. المهم تبقى مياهنا الجوفية بعيداً عن العبث الزراعي العشوائي.. وبعيداً عن شوارب المستثمرين الذين يضعون مصالحهم فوق مصلحة الوطن وأهله.

خسرنا الأموال، بسبب الاندفاع الزراعي غير المدروس.. ضخت الدولة، أيدها الله، أكثر من (120) مليار ريال للقطاع الزراعي.. كان نصيب القمح منها حوالي 70 مليار ريال.. أليس هذا مبلغاً يثير التساؤلات، ويثير الأطماع للدخول في مجال الاستثمار الزراعي؟!

الأهم، كم كان نصيب مزارعي الريف السعودي من هذه التسهيلات الحكومية؟! هل لدى الوزارة المعنية جواب؟!

خسرنا أيضاً ما هو أعز وأغلى.. خسرنا المياه الجوفية.. نختصر قضية المياه واستنزافها، بتوضيح مقدار المياه التي استنزفها القمح في موسم واحد.. وذلك عندما وصل الإنتاج إلى أربعة ملايين طن.. استنزف كميات تعادل إنتاج محطات التحلية لمدة (17) عاماً.. هذا



مؤشر يكفي لتوضيح فداحة استنزاف المياه الجوفية.

- مستثمرون، خلقتهم وزارة الزراعة، لشفط المياه الجوفية.. وأيضاً شفط أموال التسهيلات الحكومية.. من أجل زراعة غير مستدامة.. شركات، ومشاريع زراعية، وأفراد ليس لهم علاقة بالزراعة، يستنزفون المياه الجوفية، وفقاً لما يشاؤون، وفي أي وقت يشاؤون، ولأي غرض يشاؤون.

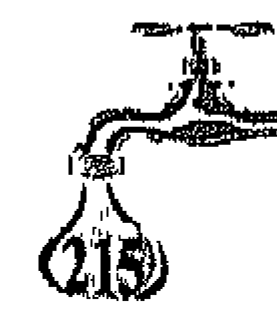
- عبث فاحش بفعل تأثير الجشع، والطمع، لاقتناص أسعار الضمان، التي يفترض أن تكون للمزارعين.. وللمزارعين فقط.

- لم تفكر الوزارة في المستقبل.. لم تفكر في استدامة الزراعة.. رغم أن وزارة التخطيط نادت منذ البداية.. [بعدم السماح بزيادة استعمال المياه في الأغراض الزراعية إلا إذا ثبت أن مثل هذه الزيادة تحقق المصلحة العامة على المدى الطويل].. نصّ واضح ومفهوم.. رؤية لم توظف حتى اليوم.. كان ذلك قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

- سلام تعظيم لوزارة التخطيط... وزارة حذرت عبر مسيرة خطط التنمية، التي تجاهلها أناس في وزارات، اعتقدوا أنهم فوق الجميع.. اندفعوا بقوة حتى تمكنوا من نقل المملكة إلى الترتيب السادس عالميّا في إنتاج القمح.. هل كانت وزارة الزراعة تعرف أنها تمشي في عكس التيار الجغرافي للمملكة؟!

- بعد النضوب، توقفت مسيرة زراعة القمح.. هكذا بكل بساطة مثل بدايتها.. وبدون أي مساءلة.. وبدون رؤية مستقبلية للوضع.. كأننا في حراج ابن قاسم الشهير في الرياض.

- بجانب القمح، هل ستتوقف أشياء أخرى؟!.. نحن بفعل التصرفات غير المسئولة، نمارس المثل الشعبي الذي عرفته في ربوع



قريتي.. التي كانت غنية بالموروث الزراعي الموزون، وقبل تلاشيه، مع نفخة، زراعة القمح والشعير والأعلاف.. يقول المثل.. [إما حبا.. وإلا برك.. وإلا نزا وكسره].

- عليك أن تأخذ ما تشاء من الخيارات المطروحة في هذا المثل.. ثلاثة خيارات كلها خيبة.. الخيار الأول أن تحبو مثل الطفل.. أو تبرك مثل الجمل، لا مشي ولا حراك.. الخيار الثالث أن تقفز بكامل جسمك على الشيء .. كنتيجة سيتهشم ويتكسر ويتفتت.. وزارة الزراعة أخذت بالخيار الثالث.. اندفعت وتبعثرت الأوراق ومجال الرؤية.

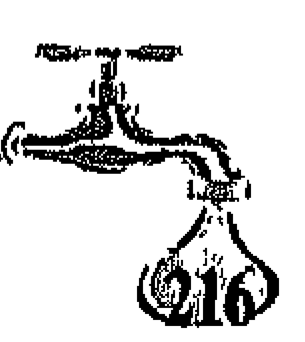
- كما ترون ثلاثة خيارات غير رشيدة.. المثل، عبارة عن محاضرة طويلة.. خلاصتها أن تختار الخيار الرشيد والسليم، بعيداً عن خيارات المحاذير الثلاثة.. وزارة الزراعة خلقت لنا كارثة مائية في مناطق الصخور الرسوبية وأيضاً في مناطق الدرع العربي.

- حالياً أمام المستثمرين مصدر مالي جديد يحمل (20) مليار ريال.. الباب مفتوح أمامهم للاستثمار في بعض الدول التي تم تحديدها والإعلان عنها.

- السؤال: كم سيكون نصيب الريف السعودي من هذه الأموال؟!

- نتساءل أيضاً، إذا كان الإخوة المستثمرون حازوا على جميع التسهيلات الحكومية، وغنموا الكثير من دعم الدولة حفظها الله.. ومع أول هبة، رفعوا أسعار منتجاتهم، وهي ناتج محلي، وبأموال حكومية.. فكيف سيكون عليه الأمر مستقبلاً وهم خارج الوطن؟!

- مجرد سؤال للتسلية.. ويستمر بعنوان آخر عن السعوديين وكارثة زراعة الأرز في أثيوبيا. ...



48

● مع مشكلات ارتفاع أسعار الغذاء.. خاصة محبوب الأمة (الأرز).. بدأت التوصيات تظهر من كل فم خائف ينشد الشبع.. حتى للحيوانات في البر والبيت وفوق السطوح.. البعض اقترح البحث عن البديل الأرخص والأقل جودة.. البعض اقترح تغيير عادات الأمة في طرق تغذيتها لنفسها.. البعض لم يشعر بأي تغيير، لأن غذاءه بالمجان، مثل قطط أحياء النخبة.

● انشغل الناس بهذا الهم اليومي.. حتى بعض الوزارات اهتزت أطناب خيامها.. تسابقت في تقديم التوصيات والاقتراحات والحلول.. منها وزارة الزراعة.. وهي اسم ليس على مسمى.. وزارة تخلت عن مساندة المزارعين وتمكينهم في الأرض.. استبدلت بهم الشركات والمشاريع الزراعية والموظفين.. أصبحت الأمة تحت رحمة هذه الشركات، وهذه المشاريع، وهؤلاء الموظفين.. وهذا مؤشر خطير.

● صمام الأمان الحقيقي يكمن في الزراعة كمهنة، لشريحة كبيرة من المواطنين.. نحن في خطر كبير إذا استمر الوضع.. نحن في خطر ما لم تتم إعادة توطين الزراعة كمهنة.. هذه آراء كاتبكم، هل يلتفت إليها الوضع؟!.. أم تتحول إلى مجرد كلام جرائد، في نظر أصحاب الكلام الذهبي، القادرين على تأمين أغذيتهم من النخب الأول المغلف بخيوط

الحرير والفضة.

توقفت زراعة القمح.. هكذا تدعي وزارة الزراعة.. وكان لا بد من البديل.. وخرج البديل يزف نفسه إلينا في صورة الاستثمار الزراعي الخارجي.

لست بصدد انتقاد أو مدح هذا التوجه.. له رجاله (المطرزون بالذهب) العارفون بطرق الغنائم.. لكن كاتبكم يتساءل ببراءة الأطفال.. من خلال مؤشرات تظهر أمام عينيه القرويتين.

من حق أي فرد أن يقرأ أي مشهد كما يرى.. وأن يفسره كما يريد.. وأن يعطيه الأبعاد التي يحب.. العبرة دائماً بالنتائج النهائية.. ولكن لكل خطوة قواعد علمية ومنطقية إذا تم تجاوزها بنظريات الحماس والاندفاع ستعطي نتائج عكسية.. حتى وإن طال الزمن.

من ضمن الدول المرشحة للاستثمار الزراعي الخارجي: تركيا، أوكرانيا، مصر، السودان، كازاخستان، الفلبين، فيتنام، وأثيوبيا.. لا نريد طرح التشاؤم، ونسأل عن ضمان عدم وجود (موغابي) آخر في هذه الدول.. بالمقابل لا نريد أيضاً إطلاق العنان للتفاؤل.

الحكمة تكمن في تحكيم العقل والمنطق.. في الزراعة يتم التعامل مع عوامل كثيرة ومتداخلة.. هناك عوامل مناخية.. هناك عوامل متعلقة بالإدارة، وأيضاً النبات، محور المشكلة.. هناك أصوات الإمكانيات المتاحة.. المال جزء منها.. أيضاً المهارات المستخدمة.. المعلومات الصحيحة.. التوجهات البشرية.. موارد المياه.. الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم.. كلها عوامل مؤثرة.. وهناك أيضاً ما هو أعقد وأكثر خطورة.

لا أدري هل سمع المستثمر السعودي في الزراعة الخارجية أبعاد



كل الأصوات؟!.. هناك تجارب عالمية فشلت.. ولها أسباب فشل سجلها العلماء، الذين أقصاهم الثراء والمال والطمع والجشع.. أصبحوا نكرة في عالم المستقبل.. أقرب هذه التجارب تجربة زراعة الأرز في تشاد.. آخرها زراعة القمح في المملكة.. وسطها زراعة الفراولة في الكويت.. كلها تجارب باركتها الفاو.. في النهاية هل نستطيع محاكمة الفاو.. تجارب فشلت في الصمود والاستمرار.

- هل بدء (الخويش) كما يقول ضحايا عربان الغنائم؟!

- هل يعقل أن يتقدم فرسان الاستثمار الزراعي السعودي إلى إدخال زراعة الأرز في أثيوبيا؟!.. أليس هذا تصرفاً يدعونا إلى القلق وسوء التقدير؟!

- يقول الخبر نصّاً كما ورد في الجرائد المحلية ومنها جريدة اليوم العدد (13010) الثلاثاء 1-2-1430 الموافق 27-1-2009 حيث قرر المستثمر السعودي:

- [المساهمة في سد الفجوة الغذائية لسلعة من أهم السلع الغذائية للمائدة السعودية وهي الأرز، وحرص على أن يكون من النوعية المرغوبة.. بدأ بزراعة أفخر أنواع الأرز.. حيث قام بالتعاقد مع المراكز البحثية للتعرف على مدى إمكانية استزراع الأنواع الممتازة في أثيوبيا.. وكانت النتائج إيجابية.. وتمت الزراعة الفعلية.. وتم ولله الحمد الحصاد الشهر الماضي].

- الخبر يعطي لكاتبكم مؤشرات خطيرة ذات أبعاد.. تنبئ بعواقب غير حميدة.. هل مهمة هذا المستثمر وأمثاله إدخال زراعة الأرز في أثيوبيا بالتعاقد مع مراكز بحثية؟!.. ويستمر بعنوان آخر عن المستثمر السعودي وحرصه على توطين الأرز في أثيوبيا تحت ظلال الفقر والمجاعة. ...

49

بداية.. نذكّر بالمصير الذي كنّا نأمل تجنبه.. كنّا نأمل في وضع أفضل.. كنّا نتوقع تنمية زراعية مستدامة، وفق رؤية علمية، وخارطة زراعية، للوطن بكامله.. التوسع الزراعي الفاحش في محاصيل محددة، قاد إلى نتائج سيئة.. هل هناك أسوأ من جفاف منابع المياه؟!.. هل هناك أسوأ من جفاف المياه الجوفية وهبوط مناسيبها؟!

جنت الزراعة على المياه الجوفية، بفعل اجتهادات وزارتها التي فقدت مؤشر البوصلة الزراعية والمائية للبلاد.. اعتقدنا أن خلف الزراعة والمياه وزارات برجال حريصين على مستقبل الأجيال القادمة، وعلى أمن البلد المائي.. أيها الرجال، كيف يتم إخضاع الوطن للاجتهاد؟!

الأمر كان وما زال وسيظل متعلقاً بالحياة والموت.. مع خيار الحياة أو الموت، يجب أن تكون حساباتنا دقيقة، واضحة.. بنتائج دقيقة واضحة.. سنظل نردد: لا مجال للأخطاء.. لا مجال للاجتهادات.. الأمر يتعلق بالماء.. يتعلق بحياتنا، وحياة أجيالنا على أرضنا.

النضوب عنوان تم تعميمه بواسطة زراعة عشوائية.. نضوب المياه الجوفية في جميع مناطق المملكة، ينبئ بكوارث قادمة.. هل نعيد التاريخ في دول أخرى وبطرق أخرى؟!.. عندها سيكون حساب المستثمر السعودي عسيراً وبغيضاً.

تصحر الوطن قادم.. أراه أمام عيني، بشواهد مخيفة.. هذه الزراعة المهاجرة، للبحث عن حياة عند الآخرين، إحدى النتائج البغيضة، لسوء التقدير، والتصرف.. ولسياسة الاندفاع، غير المبرر، في زراعة توسعت أكثر مما يجب.

المسئولون في الوزارات المعنية، يتخذون القرارات، ثم لا يحاسبهم عليها أحد، حتى وإن كانت النتائج كارثة.. هل سيستمر الوضع؟!.. هل ستكون هناك كوارث أخرى؟!.. ماذا عن الاستثمار الزراعي الخارجي؟!.. ماذا نتوقع؟!

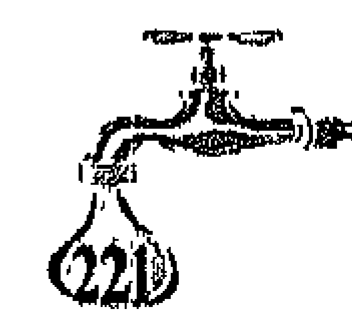
تجاهلت الوزارات المعنية جميع خطط التنمية.. ضربت بتوصياتها عرض الحائط... كنتيجة، أي شيء نرجوه من هذه الوزارات؟!.. لم يتم حتى مساءلتها، من باب وقف مسارب الاجتهادات على الأقل.

السؤال المهم حالياً: هل سيتم أيضاً تجاهل أبعاد رؤية مبادرة الملك عبد الله للاستثمار الزراعي السعودي في الخارج؟!

عدم تطبيق رؤية مبادرة الملك تجاهل بغيض.. هل سيأخذون بكلمة (استثمار)، ويتركون بقية الآفاق العظيمة لهذه المبادرة؟!.. التاريخ لا يعيد نفسه إلا على الأغبياء.. لكننا أمام معضلة وزارات لا ترى إلا جانباً من الصورة.. مصلحة الوطن يجب أن تكون فوق كل المصالح.

نعود إلى الحديث عن زراعة الأرز الذي تبناه مستثمرون سعوديون في أثيوبيا.. استثمار ضد المنطق.. ضد العقل.. هل يتفق مع مبادرة الملك؟!

يا للهول.. تجارب زراعة الأرز في بلد فقير يعاني أهله الجوع؟!.. نتساءل بألم، وحرقة، وأيضاً هاجس إنساني، هل يحق لنا أن نأكل من أرض لها أصحاب، في حاجة إلى إنتاجها الزراعي من أجل البقاء؟!..



بعضهم يموت جوعاً وعطشاً وفقراً ومعاناة.. ونحن نمارس عليهم تجارب زراعة الأرز.

إليكم آخر الأخبار التي روتها وكالة (رويترز) يوم الجمعة 4-2-1430 الموافق 30-1-2009 توضح الوكالة العالمية، أن حوالي (5) ملايين من سكان أثيوبيا سيحتاجون إلى مساعدات غذائية عاجلة خلال الشهور القادمة من عام 2009.. يقول الخبر إن ذلك بسبب الجفاف.

خبر يعطي مؤشراً عن حراك عشوائي يجري بين هؤلاء المستثمرين في أثيوبيا الموطن الأصلي للقمح.. مؤشر يخالف الواقع ويتعارض مع مبادرة خادم الحرمين الشريفين.

نسأل: هل يحق لنا أن نأكل ما نزرعه في أرض هؤلاء الجياع.. هل التجارب عندهم أهم من زراعة القمح؟!

هل وقف المستثمر السعودي على فشل زراعة الأرز في تشاد؟!.. أم أنهم مبهورون باقتناص تسهيلات الدولة في مجال الاستثمار الزراعي الخارجي؟!.. هل سيعيدون نفس التاريخ الداخلي؟!.. يمكن لهؤلاء المستثمرين معرفة النتائج.. جففت زراعة الأرز في تشاد نهراً كاملاً كان يمكن تلافي جفافه.

زراعة الأرز في أثيوبيا اجتهاد.. نعم اجتهاد.. وهذا يتعارض مع مبادرة الملك عبد الله للاستثمار الزراعي السعودي في الخارج.

مبادرة الملك تهدف إلى المساهمة في تحقيق الأمن الغذائي الوطني والعالمي.. كما ترون، العامل الإنساني هو المحور المحرك لهذه المبادرة.. ويستمر بعنوان آخر عن محاذير الاستثمار الزراعي في فيتنام....

50

هل سيستمر المستثمر السعودي في تجارب زراعة الأرز على الأرض الأثيوبية؟!.. ذاكرتنا اكتظت وأظلمت، من سماع كوارث الفقر والمجاعات والحروب في ربوعها.. كنتيجة، نترك أثيوبيا متجهين بالحديث إلى فيتنام، في جنوب شرق آسيا.. الصين وإندونيسيا جارتان من الشمال والغرب.

ورد اسم دولة (فيتنام) ضمن قائمة الدول المرشحة للاستثمار الزراعي السعودي في الخارج.. اسمها الرسمي [جمهورية فيتنام الاشتراكية].. اسم لا يعنينا في شيء.. لكن العرب يحبون الاختصار، وتسهيل الصعاب، وتيسير الأمور.

وعن فيتنام هناك أسئلة كثيرة.. اسم فيتنام يتردد مع كل هجوم غربي على العرب.. قالت العرب سيجعلون من العراق فيتنام ثانية.. وقد صدقوا.. ولكن هل تعرفون كيف؟!

عرفتم موقع فيتنام، وشكل خارطتها.. لكن هل تعرفون اسم عاصمتها؟!.. الجواب لا يهم.. المهم معرفة تاريخ فيتنام مع الحروب.. فيتنام أنتجت (هوشي منّه).. زعيم نحر كبرياء أمريكا.. نحرها دون تردد وبشجاعة وكبرياء فيتنامية.. نحرها بتوليفة بسيطة من الإرادة.. وقبل نحر كبرياء العدو، تحولت الأرض الفيتنامية إلى مستودع نفايات..

مستودع هائل لكل أنواع السموم والمبيدات، مع رفات (4) ملايين قتيل.

بعض الدول المرشحة للاستثمار الزراعي، تمر بمجاعة من سنين طويلة.. لكن الأهم، هو الحقيقة المرة والمرعبة في فيتنام.. دولة ذات سيادة، لكنها عالم آخر من المشكلات والمصائب المؤرقة، على الأقل لأمثالي.

فيتنام تعرضت لسيل جارف من الغارات الجوية في القرن الماضي.. التاريخ يحفظ الكثير من المعلومات عن نوع هذه الغارات وأهدافها.. التاريخ يحمل الأرقام المفجعة لكميات السموم والمبيدات وأنواعها.. العلم يوضح تأثيرها الضار الذي يمتد لسنوات طويلة.. سموم تغلغلت في التربة.. سموم اختلطت بالمياه.. أرض فيتنام مستودع هائل للسموم والمبيدات.. هل درس المستثمر السعودي هذا الوضع؟!

هل تعي الوزارات المعنية هذه الحقيقة.. هل هناك ضمان، لنا كمواطنين، على سلامة الإنتاج الغذائي من فيتنام؟!.. أم أن الجميع يتمتعون بحرية مطلقة، وعلينا كمواطنين، تجرع السم (الهاري)، من أجل عيون هؤلاء المستثمرين؟!.. هذه حقائق تثير الكثير من القلق والرعب.. والكثير من التساؤلات عن مثل هذا الاستثمار.

أمطرت الطائرات على الأرض الفيتنامية، كل أنواع السموم والمبيدات المعروفة وغير المعروفة.. حتى الغابات تم إبادتها وحرقها بكل أنواع السموم.. حتى الجنود الأمريكيون، الذين تعرضوا لهذه المواد عن طريق الخطأ، ما زالوا يعانون.

هذه حقائق، ليست تخيلات أطفال، أو حكايات عجائز في أسواقنا الشعبية.. التساؤلات تطفو، ويجب أن تطفو بقوة، حول الاستثمار الزراعي في فيتنام.. لا نريد أغذية تسبب الأمراض والمشكلات الصحية.. لا نتحدث عن أزمة ثقة فقط.. نتحدث عن أزمة

مراقبة.. أزمة غياب حماية المستهلك.. حماية غائبة وستظل على الأقل في المنظور القريب.. الدليل قائم بين أيدينا حالياً.

● هناك شركة كبيرة تسوق أسماكاً مستوردة من فيتنام على أنها (هامور).. ومكتوب على شرائح الأسماك: هامور فيتنامي.. هذه كذبة كبيرة.. هذه بجاحة شنيعة.. الشرائح ليست شرائح سمك (الهامور).. هي لنوع من الأسماك التي تعيش في المستنقعات والأنهار الفيتنامية التي كانت ساحة حرب ضارية.. يسمى (قرموط فيتنامي).

● يتم تسويقه أيضاً من شركة أخرى باسمه العلمي الذي لا يفهمه المستهلك.. وعندما يسأل عن نوعيته تكون الإجابة جاهزة: هذه شرائح سمك الهامور.

● السؤال الكبير.. السؤال المرعب، هل هذه الأسماك آمنة صحيّاً؟!.. هل هذه الأسماك خاضعة بالفعل لمعايير الجودة الصحية؟!.. إذا كانت الشركات السعودية تسوقه على أنه هامور، وهذا كذب علني، فكيف لنا أن نصدق أنه آمن صحيّاً؟!

● هذا يقودنا إلى محاذير الاستثمار الزراعي والسمكي في بعض الدول التي تعرضت لحروب تاريخية طويلة مثل فيتنام.. أرضها أصبحت مستودعاً للمبيدات والسموم المحرمة دوليّاً.. استخدمت بكثافة لحرق الأرض وإفسادها.

● حماية المستهلك السعودي أمر في غاية الأهمية في ظل الاستثمار الزراعي الخارجي.. الحماية لها قوالب متعددة.. هل هناك جهة تتحمل كافة النتائج، وتتحمل مسؤولية أي فشل، مثل حملها شرف أي نجاح يتحقق ويدوم؟!.. ويستمر المقال بالمزيد من التساؤلات.. وبعنوان آخر. ...

51

كان في قريتي، الرابضة على أحد سفوح جبال الدرع العربي، نسيج دقيق لحصاد الماء المنهمر من السماء.. اليوم تحول هذا النسيج كغيره، إلى خردة وخراب لا يلتفت إليه أحد.. لا يسأل عنه أحد.. اليوم، وفي ظل هذا الخراب، يحتفل كبار البشر باليوم العالمي للمياه.. هل انتشر الخراب وتوسع؟!

هل هناك أناس يعترفون بفضل الماء، وأهميته، أكثر من أهالي قريتي؟!.. هي نموذج للماضي، والحاضر، والمستقبل.. كل مرحلة برجال يختلفون في كل شيء.. حتى في تعريفهم للماء.

من الأقوى والأفضل، جيل يحمل تراكم موروث مهاري عبر التاريخ.. أم جيل ليس له أي موروث مهاري يسنده؟!.. هناك صياغة طلاسم الأشياء.. هل ستجدون الجواب، رغم وضوحه في طيات واقع العيش؟!

اليوم الأحد 22 مارس، اليوم العالمي للمياه.. ميعاد اتفق مع ميعاد إطلالة مقالي وصورتي القروية عليكم.. القرية منبع الكثير من القيم، أهمها الشهامة والنخوة، وإتقان إدارة الوقت والموارد، كجزء من أساسيات الحفاظ على البقاء.

اليوم العالمي للمياه، يمثل إعلان العجز العالمي.. إعلان التخاذل،

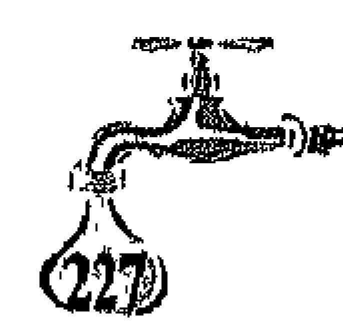
وانعدام المروءة في التعامل مع الماء.. اليوم العالمي للمياه ليس احتفالاً بالإنجاز، لكنه تذكير بالخيبة، والمصير الأسود، الذي ينتظر الجميع، جراء سوء التصرف مع الماء.. إنه يوم إدانة، لكنه يوم مناصرة الماء، ليظل في شبابه الدائم، متوفراً بدون لون، ورائحة، وطعم.. إنه أيضاً يوم عزاء للمناطق التي جف ماؤها.

الماء لا ينتمي لأمة.. لا ينتمي لديانة.. لا ينتمي لأرض بعينها.. الماء للجميع.. الناس فيه شركاء.. ولأهميته يتقاتل عليه البشر.. هل نعتبر اليوم العالمي للمياه يوم شؤم، ونحس في تاريخ مسيرة البشرية؟!.. يمكن، إذا اعتبرناه مؤشراً على خراب الكثير من جسم الأرض، بفعل الإنسان وأطماعه وجشعه الذي لم يتوقف.

أعود بذاكرتي إلى قريتي التي احتضنت كل رفات أجدادي.. أتساءل، كيف استطاعوا تحقيق ذلك البقاء في هذه القرية؟!.. جواب اليوم يأتي من أعماق تلك القرية..الماء هو المحور الذي جعلهم جزءاً من أمة باقية استطاعت أن تظل حية إلى اليوم.

لكن لماذا تذكرت الماضي؟!.. الجواب سهل.. لأن مستقبل الماء في قريتي غامض.. هكذا بكل بساطة.. المستقبل الغامض دليل وجود خلل.. عندما تسأل ويمتنع الجواب عن القدوم إليك مهرولاً، فهذا يعني، أن هناك مستقبلاً غامضاً.. ونسأل ما هو مستقبل المياه؟.. نجد جداراً لا يمكن اختراقه للبحث عن إجابة.

قريتي التي أعرف، هاجرت إلى مكان مجهول لا أعرف له طريقاً.. رغم أنه طريق واضح المعالم.. هل سمعتم عن أناس يتيهون وسط الطريق؟!.. هكذا كاتبكم، لكن بقيت ذكريات، في عقلي الذي تصدع هو الآخر، لكثرة المعاناة الشخصية من أجل الماء.. أصبح الماء عند كاتبكم قضية، يلوك في أجزائها يومياً، حتى مع الذكريات.



يأتي المطر إلى قريتي شحيحاً كعادته.. ولأنه نادر الزيارة يصبح ذا مكانة عالية عند الجميع.. يأتي المطر ويفرحون.. يأتي المطر وتستمر الحياة.. تصبح التهاني متداولة بين أفراد القرية.. يحمدون الله على نعمته.

قوم على علم ودراية بقنصه، وحجزه، وخزنه كمحصول لمواجهة أيام النضوب.. ممارسة نقية كنفوسهم.. أصبحت جزءاً من طقوس تاريخية مضت.. مهارات تجاهلتها الأجيال وأيضاً الوزارات المعنية.

تحول الأبناء إلى كومة من البشر.. لا يعرفون أهمية التعايش مع البيئة.. كومة بشرية تأخذ ولا تعطي.. كتلة بشرية لا تحمل فلسفة الحاجة.. بممارسات لا تحمل قيمة.

يتجاهلون أن الماء، والحفاظ عليه.. وخزنه في الأرض، عبارة عن إدارة، وإرادة...، حاجة وعلم.. عمل ورؤية.. حكمة، وصبر.. وقت وفن له جذور.

في قريتي جفت وتصدعت الآبار التي حفرها أهل القرية جيلاً بعد جيل.. كان في قريتي (كظامة) فلج يمتد عبر طول الوادي، يسقي المزارع المعلقة على سفوح الجبال التي تحيط بالوادي.. اليوم جفت هذه الآبار التاريخية.. جفت (الكظامة) التي كان يغذيها منابع المياه في أعلى الوادي.

كل هذا الجفاف تخلق كشيطان مارد خلال ثلاثة عقود.. ونسأل: أين ذهب الماء؟! ...اهـ

52

هل هناك أهم من الماء في حياتنا؟!.. سؤال قد يكون صدمة.. وقد لا يكون.. سؤال يعتمد على وعينا بأهمية الماء.. في هذه المناطق الجافة.. هل نحتاج إلى هزة قوية.. لنعرف أهمية الماء؟!

كاتبكم يؤمن بأن الناس لم تعد تدرك تلك الأهمية .. كنتيجة، الحديث عن الماء حاجة ملحة يجب أن تستمر.. يجب أن يكون هناك وعي ينمو ولا يضمحل.. وعي يزداد كمّاً وكيفاً.. وعي لا يتآكل أو يغيب.

الماء في الصيف هو الماء في الشتاء.. هو الماء في كل زمان ومكان.. قوة الأمم تكمن في كميات المياه التي تملكها.. الماء يسهل الحياة ويمنحها الاستمرار.. الماء محور الحضارات الإنسانية، على مدى التاريخ وسيظل.

العنوان سؤال مهم.. ماذا تتوقعون أنتم؟!.. كاتبكم لديه إجابات.. لا تدعي علم الغيب.. لا تدعي القدرة على التنجيم.. إجابات كاتبكم تعتمد على المؤشرات، وعلى الحقائق.

يمكن الحكم على المستقبل.. من خلال مؤشرات نراها.. نقرأ معها المستقبل.. لكن الله على كل شيء قدير.. علينا الاتكال على الله.. نعم.. لكن اعقلها وتوكل.. فهل تقومون بتطبيق هذا الحديث الشريف؟!

ما المؤشرات، التي يمكن لنا الاحتكام إليها، عند الحكم على مستقبل المياه في المملكة؟!.. سؤال مهم للحياة.. يقودنا إلى الوقوف على هذه المؤشرات كمعايير.. لا غنى عنها.. أيضاً يمكن أن يقود إلى التنبه، للكثير من المؤشرات، التي يمكن الاحتكام إليها.. كمعيار للحكم على المستقبل.. الأمر متروك لنا.. الأمر كما ترون في أيدينا.. ملك إرادتنا ومقدرتنا.

نحن مطالبون بالتأمل والتدبر والتفكر.. هذه مطالب موجودة في القرآن الكريم.. وبقدر تفعيل هذه المطالب، بقدر ما نحقق الكثير من النجاحات.. في مستوى توقعاتنا.. ومستوى حياتنا على جميع الأصعدة.. حتى بعد الممات.

الحيوان فقط هو الذي يعيش حياة اللحظة.. لكن هذه اللحظة ليس لها قراءة في المستقبل.. كنتيجة كانت في الحيوان منافع شتى للناس أجمعين.

الإنسان هو محور الحياة.. هو خليفة الله في الأرض.. هو المستأمن عليها.. لقد رضي الإنسان بهذه الأمانة كمهمة حياة.. وبهذا أصبح الإنسان ظلوماً لنفسه بتقبله هذه المسؤولية.

ويظل الإنسان كذلك، مع تقبله حمل مهام أي مسؤولية أخرى.. مهما كانت صغيرة.. حتى في وظائفنا وأعمالنا.. ومع أهلنا ومجتمعنا وبلادنا.

فهل أدينا الأمانة وحملنا المسؤولية على أكمل وجه؟!.. سؤال كبير.. يقودنا إلى استنتاج أننا لم نرث الأرض.. لكننا مستأمنون عليها.. ويجب أن نسلمها للأجيال من بعدنا سليمة.. ومضافاً إليها بناء جديد.. لتسهيل حياة الأجيال القادمة.. هذا واجب حتى على مستوى الدين.

الإفساد في الأرض تخريب.. والتخريب يتحقق بإحداث خلل في توازن الأشياء على الأرض.. وعلى مر العصور.. التعايش مع البيئة جزء من متطلبات الحياة المستمرة.. وجزء من نجاح تعمير الأرض.. وبقاء الإنسان.. حتى في أقسى أنواع البيئات.. ومنها البيئات القاحلة.. معظم البيئة العربية ينتمي إلى هذه البيئة القاسية.

يتوقع كاتبكم مستقبلاً (غير مريح) للماء في المملكة.. هذا حكم في كلمات.. لا تدخل الرعب والفزع في القلوب.. رغم أن الوضع أكثر رعباً من سماع الانفجار النووي.

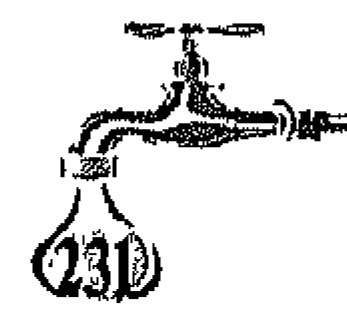
نقول (غير مريح).. وهي كلمة مطاطة، يمكن بناء الكثير من التوقعات الصحيحة.. في مجال تعريفها.. بعبارة أخرى.. يتوقع كاتبكم لمياه المملكة في ظل المؤشرات القائمة الكثير الذي لا يصدّق.

أولاً : أتوقع لها المزيد من (سوء الاستخدام).. يعني أن الماء يعاني هذا (المرض) الذي لم نستطع السيطرة عليه.. تغلبنا وسيطرنا على كثير من الأمراض التي منها شلل الأطفال والجدري.. سيطرنا أيضاً على حمى الوادي المتصدع.. وعلى نفوق الجمال في مضارب البلاد.. أيضاً على (زكمة) الطيور.. وغيرها كثير.

فلماذا نجحنا في السيطرة على تلك الأمراض المعدية.. ولم نستطع السيطرة على مرض (سوء استخدام الماء)؟!

إذا كنتم تملكون الإجابة.. أرجو إرسالها إلى كاتبكم.. فتبادل المعلومات عن الماء مهم.. وأيضاً ضرورة.. فهل أنتم فاعلون؟!

افعلوها هذه المرة .. لا بد أن تكون لآرائكم فوائد جمة. ...



53

● تحدثنا عن سوء استخدام الماء.. أول مؤشر على ماذا سيكون عليه مستقبل الماء في المملكة.. طلبنا رأيكم حول أسباب سوء الاستخدام.. ما زال كاتبكم ينتظر.. لكن ماذا نعني بكلمتي (سوء) و (استخدام).. الأمر سهل.

● هل تمارس سوء استخدام الماء؟!.. إذا كنت كذلك، ما هو التصرف الذي (يردعك) ويوقف ممارساتك السيئة مع الماء؟! تقول العرب : العاقل خصيم نفسه.. هل تستطيع الحكم على تصرفاتك مع الماء؟!

● البعض لا يعطي بالاً لتصرفاته، فهل نطالبه بإحكام التصرف الرشيد مع الماء؟!.. نعم بقوة القانون والتشريعات التي تحمي الماء وتحافظ عليه.. وترشد استخدامه.. الأهم، هل تمارس سوء استخدام الماء؟!.. إذا كنت تعرف فتلك مصيبة.. وإذا كنت لا تعرف فهذه مصيبة الوزارات المعنية.

● ثاني مؤشر: نتوقع للمياه المزيد من الاستنزاف الجائر.. ماذا نعني؟!.. عندما تملأ كوباً بالماء.. ثم تشرب نصف الماء.. وتتخلص من النصف الباقي.. فأنت هنا تمارس شيئين مختلفين.. الشيء الأول أنك قمت بتعبئة الكوب بالماء.. وهذا استنزاف من المصدر.

- إذا أخذت قدر احتياجك فهذا هو المتوقع.. وهو الأمر المحمود.. تصرف رشيد.. لكن إذا أخذت زيادة على حاجتك.. فأنت تمارس عملية الاستنزاف وقد يكون جائراً.. تأخذ أكثر من حاجتك.. كنتيجة يتناقص حجم الماء في المصدر.

- بجانب هذا الاستنزاف، أنت تمارس عملاً آخر، وسيئاً.. أنت تمارس في نفس الوقت (سوء الاستخدام).. لم تقم باستخدام كامل كمية الماء التي استنزفتها بغرض الشرب.. شربت النصف.. ثم سكبت النصف الآخر.. هذا هو الاستخدام السيئ للماء.. يمكن أن تحدث هذه الممارسة مع أي استخدام للماء.. من عمليات الري إلى غسيل الطناجر.. إلى استعمال الفرشة مع (فاشق) كل يوم.

- حتى النبات له احتياجات محددة من الماء.. إذا أضفت الماء بكمية أكثر من حاجته. فأنت تمارس سوء الاستخدام وتمارس الاستنزاف.. هذا هو الري الجائر المنهي عنه في مثل ظروف المملكة.

- الاستنزاف وسوء الاستخدام وجهان لعملة واحدة.. ممارسات مضرة.. وغير مبررة.. ممارسات ترتقي إلى أعالي قمم الإفساد والتبذير الذي يجب تجنبه.. بل وفرض تجنبه حتى بقوة القانون إن تطلب الأمر.

- الاستنزاف الجائر مرض في جميع مناحي الحياة.. خطورته ليست وقفاً على الماء.. الأموال يمكن أن تصاب بهذا المرض العضال.. حتى الصحة يمكن أن تستنزف بشكل جائر.. وحتى استعمال السيارات والأدوات.

- كل شيء يمكن أن يتعرض للاستنزاف الجائر ومنها الكهرباء.. هكذا يقودنا التفكير إلى الخوض في جوانب أخرى.. وينسحب هذا مع

الاستخدام السيئ للأشياء.. ويبقى الماء محور الحديث الأهم.

الاستنزاف يتعاظم بشكلٍ خطير مع الماء.. أصبحت المملكة واحدة من أكثر الدول استنزافاً للماء على مستوى العالم.. حققت مركزاً متقدماً في هذا المجال.. أصبحت من الدول العشر الأكثر استنزافاً للمياه الجوفية على مستوى العالم.. وهذا أمر مؤسف يدعو إلى التأمل.. يدعو إلى التفكر والتعقل.. يدعو إلى ربط الأحزمة قبل الإقلاع إلى المريخ.. يدعو إلى فرض قيود صارمة تحد من الاستنزاف وسوء الاستخدام.. وتطبق على الجميع.

أصبحت المملكة من الدول التي بلغ استنزافها للماء حدّاً يفوق كميات التعويض بواسطة الأمطار.. الأمر مخيف للعقلاء.. ولكل صاحب حس وذهنية صافية تفكر في أبعاد ممارساتنا الضارة مع الماء.. هناك من يعيش يومه.. يعيش اللحظة.. لا يقدر العواقب.. رغم امتلاك عقل يحلل ويستنتج ويتخذ القرار.. لكنه عقل غير مهتم.

لو أن هناك جوائز عالمية في مجال استنزاف المياه الجوفية.. لكانت جميع الجوائز من نصيبنا.. هناك جوائز عالمية للأسوأ.. أقترح أن يدخل الماء ضمن هذه المسابقات.. ليس بهدف التشهير.. لكن بهدف معرفة موقع الماء من الإعراب في المملكة.

أقترح أن تكون هناك جائزة على مستوى العالم العربي في المريخ.. يطلق عليها جائزة الجفاف والتجفيف.

بالتأكيد ستكون من نصيب وزاراتنا المعنية.. أيضاً سيحصدون درع (الاستنزاف الجائر).. ودرع (سوء الاستخدام).. والبقية تأتي.

هل يكفي الوعي لتبني ممارسات حكيمة لتعظيم الحفاظ على الماء؟! هل لديكم جواب. ...

54

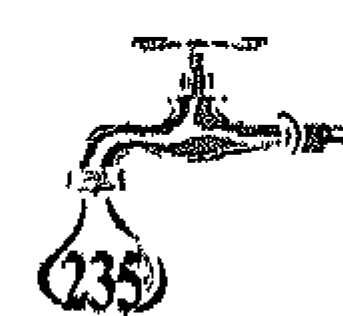
هذا المقال الثالث، يواصل الحديث عن توقعات مستقبل المياه في المملكة .. في المقالين السابقين تحدث كاتبكم عن أمور ذات أبعاد موجعة .. تطرق الحديث إلى معايير يمكن الاحتكام إليها عند الحكم على مستقبل الماء.

سوء استخدام الماء، كان المعيار الأول.. وكان الثاني استنزاف الماء الجائر.. اليوم نتحدث عن المعيار الثالث.. بداية، يسعى كاتبكم إلى حثكم، لإصدار الحكم على هذا المستقبل.. من خلال هذه المعايير وغيرها مما تلاحظون.

اطلاعكم على الممارسات التي نعامل بها مورد الماء.. يعطيكم مساحة أفضل.. لرؤية أبعاد القضية.. وأيضاً يعطي مساحة لرؤية مفيدة.. لإصدار حكم عادل وصائب ومفيد.. نحن فيه الخصم والحكم.

المعيار الثالث هو سوء الإدارة.. مرض خطير.. وقاتل على المدى الطويل.. ماذا نعني بمصطلح مرض (سوء الإدارة)؟!.. هناك أكثر من تعريف حسب التخصصات الزراعية.. بعضها تحصر إدارة المياه في العلاقة بين الماء والنبات والتربة.. بعض التخصصات تضيف عاملاً رابعاً هو المناخ.

ربط هذه العناصر بعضها مع بعض يهدف إلى تعظيم استخدام



مياه الري بصورة رشيدة.. هدفها تحديد الاحتياجات المائية للنبات بدقة متناهية.. لا يمكن تحقيق ذلك.. إلا من خلال توظيف تلك العناصر مجتمعة.

هذا التعريف لإدارة الماء، لا يأخذ إدارة الماء كمورد في حساباته.. لكنها التخصصات بعضها يسند بعضاً.. كنتيجة، الأفضل عند مناقشة أي مشكلة تتعلق بالماء.. أن يكون هناك فريق عمل من تخصصات مختلفة.. لتحقيق أقصى فائدة علمية.

هناك تعريف آخر اقتصادي لمرض سوء الإدارة.. لكنه في النهاية يعتمد على التعريف الأول ونتائجه.. هناك تعريف مهم آخر يغيب عن كثير من المتخصصين في كليات الزراعة.. وهو الإنسان نفسه.. إذا كان الماء مورداً فهذا يعني أنه لا يختلف عن أي مورد آخر.

يمكن لأي شركة إشهار إفلاسها بسبب سوء الإدارة.. الماء لا يختلف.. الإدارة غير الفاعلة.. والإدارة غير الحكيمة في إدارة الماء كمورد.. تسبب الكوارث المائية.. تقود إلى نضوب الماء.

لفهم الموضوع.. نعود إلى المثال الذي ورد في المقال الثاني.. شرب نصف الكوب.. وإهدار النصف الثاني.. يعني أن هناك سوء استنزاف وأيضاً سوء استخدام.. لكنه يعني بعداً ثالثاً.. هو سوء الإدارة.

الإدارة الرشيدة لا تسمح بالاستنزاف من المصدر إلا بمقدار الاحتياج الفعلي.. وفي غيابها يتم الإهدار والاستنزاف.. وهذا ما نعني بسوء الإدارة.. خير مثال.. ما كان يمارس في مشروع الري والصرف بالأحساء.. كان الماء يعاني من سوء الاستخدام.. ومن الاستنزاف الجائر.. وأيضاً من سوء الإدارة.. هل ما زال الوضع قائماً؟!

مشروع متخصص له علاقة بالماء مباشرة.. مع ذلك، أصبح

أداة لضياع المياه الجوفية منذ تأسيسه في سبعينيات القرن الماضي.. والسبب، سوء الإدارة.. إدارات لم تحقق أهداف المشروع أو أنها فشلت في تحقيقها.

يمكن لنا تصور ما يجري من ممارسات أخرى مع الماء في حقول الشركات الزراعية.. وأيضاً من ممارسات على مستوى المزرعة.. والمنزل.. والفرد.. وعلى مستوى الوزارات المعنية.

سوء الإدارة يعني أن الماء ليس له صاحب يحميه.. سوء الإدارة يعني أن الماء في خدمة الموظفين والمسئولين عنه.. وليس العكس.. سوء الإدارة يعني لا رقيب ولا حسيب.. سوء الإدارة يعني أن الماء سائب.

الإدارة، في النهاية، قرار.. يجب أن يكون القرار صحيحاً.. ولكي يكون صحيحاً، لا بد أن يبنى على معطيات صحيحة وجمة ودقيقة.. يبنى القرار على حقائق علمية.. وليس خواطر واجتهادات.. كنتيجة، هل يعقل أن تصبح المملكة.. يوماً.. سادس دولة في العالم في إنتاج القمح وهي بلد صحراوي يفتقر لوجود مياه سطحية.. وأيضاً يتميز بندرة نزول الأمطار؟!

هذه الممارسات مع الماء.. أقرب إلى الانتحار منها إلى البناء والحياة.. حتى تكلفة إنتاج القمح في مثل هذه الظروف الصحراوية غير مجدية.. تكلفة الإنتاج عالية بشكل خرافي مقارنة بالسعر العالمي المطروح في الأسواق.

هذا جزء من سوء الإدارة الذي أتحدث عنه.. ومن سوء الإدارة أن يصبح الماء ضحية الفساد والإفساد. ...

55

تحدث كاتبكم في مقالات سابقة عن الاستثمار الزراعي الخارجي.. لكن، هل هو مطلب مهم؟!.. هل له هيئة للمراقبة والمتابعة والتقويم ؟!.. هل هناك معايير لردع أصحاب الجشع، والأطماع والاجتهادات والعشوائية؟!.. هل يتحول إلى مجازفة في غياب المعايير التي تضمن الاستمرار؟!

هل هناك اتفاقات دولية ترعاها هيئة الأمم المتحدة.. وتحميها من عبث العابثين؟!.. ماذا عن حماية رأس المال السعودي؟!.. ماذا عن حماية سكان هذه الدول.. من الجشع والأطماع.. والتجاوزات الاستثمارية؟!

الاستثمار الزراعي السعودي الخارجي رؤية حضارية.. مشروع يختلف عن أي مشروع وطني آخر.. تحتاج المبادرة إلى فريق عمل على مستوىً عالٍ من المسؤولية.. يضعون مصالح الوطن فوق كل اعتبار.. بعيداً عن المصالح الشخصية والآنية.. بعيداً عن الاستخفاف بمصالح شعوب الدول الأخرى.

الاستثمار الزراعي السعودي الخارجي.. مبادرة من الملك عبد الله (حفظه الله).. تأتي بعد فشل وزارة الزراعة.. في تحقيق الكثير من التطلعات.. والأماني.. في تحقيق زراعة مستدامة.. فشل ولّد الخوف والرهبة.. وأعطى انطباعاً بعشوائية عمل الوزارة.. وعدم

تحقيق المصالح.

- الفشل في تأسيس زراعة مستدامة على أرضنا.. يعطي نتائج متشائمة للاستثمار الزراعي الخارجي.. وإذا كان عنصر الماء هو الشماعة التي تتحمل عار الفشل الذي يحاك.. دون الالتفاف إلى تنمية المياه الجوفية.. فهذا يعني أن الجميع مصابون بالتعامي عن الحقائق.. يطمرونها تحت التراب.. ويعبرون دون خوف.

- هل قامت أي جهة.. وعلى رأسها وزارتا المياه والزراعة.. بعمل وطني لتغذية المياه الجوفية؟!.. عن الموضوع، هناك مقالات قادمة لكاتبكم ستتناول هذا الجانب مستقبلاً.. الكل يبحث عن مصادر جديدة لاستنزاف المزيد من المياه.. حتى وصل بنا الأمر إلى تهجير جهودنا الزراعية إلى الخارج.

- الأهم.. إلى ماذا تهدف مبادرة الملك عبد الله للاستثمار الزراعي السعودي في الخارج؟!.. (تهدف إلى المساهمة في تحقيق الأمن الغذائي الوطني والعالمي).. كما ترون، هذا محور إنساني مهم.. يمكن التوقف كثيراً عند شرح أبعاده.. هو رسالة سلام إنسانية لكل شعوب العالم.

- هل تستطيع الوزارات المعنية ترجمة تلك الرؤية إلى واقع محسوس ومفيد لنا ولغيرنا في جميع أنحاء العالم؟!.. هذا الهدف لا يتعارض مع استمرار التنمية الزراعية المستدامة داخل المملكة.. أرجو ألا يفهم كذلك من قبل الوزارات المعنية.

- الهدف الثاني.. يمثل رؤية خادم الحرمين الشريفين حول الوسيلة لتحقيق الهدف الأول.. ويتمثل في: (بناء شراكات تكاملية مع عدد من الدول في مختلف أنحاء العالم ذات مقومات وإمكانات زراعية عالية لتنمية وإدارة الاستثمارات الزراعية في عدد من المحاصيل الزراعية الاستراتيجية بكميات كافية وأسعار مستقرة إضافة إلى ضمان استدامتها).

هذا الهدف أيضاً لا يتعارض مع استمرار التنمية الزراعية المستدامة داخل المملكة.. أرجو ألا يفهم كذلك من قبل الوزارات المعنية.

بهذه الرؤية أسس الملك عبد الله (حفظه الله) مفهوماً عالميّاً جديداً.. لا يختلف في أهميته عن بداية ظهور الديانات على البشرية.. تلك الرؤية للملك فكر جديد يخدم الإنسانية ويعزز نصرتها.

الزراعة الإنسانية.. عنوان لمرحلة قادمة من التعاون والتكامل الدولي.. الزراعة الإنسانية دعوة خير.. يمكن أن تقضي على الفقر والجوع في جميع أنحاء العالم.. رؤية لنشر الخير.. هل تستطيع الوزارات المعنية ترجمتها وتفعيلها عالميّاً؟!

ركّز هذا الهدف على شرط وجود إمكانيات زراعية عالية في الدول التي سيتم الاستثمار على أراضيها.. هنا يجب أن نعرف معنى إمكانيات زراعية عالية.. وهي تعني بُعداً آخر غير الإمكانيات المادية.. هي دعوة للتعاون بين الإمكانيات المادية والإمكانيات الزراعية المتعلقة بالأرض والماء والمناخ والإنسان.. الجميل في الموضوع هو طرح شرط الاستدامة وهذا يتطلب الكثير.

الأهم هو بناء شركات وصفتها المبادرة بكلمة (تكاملية).. هذا يعني الكثير أيضاً.. الهدفان الأول والثاني يعبران عن رؤية سعودية جديدة زاخرة بالمعاني الإنسانية وزاهية في هيكلها الإنساني لمصلحة البشرية.

هل تنجح الوزارات المعنية في تحقيق هذه الرؤية الإنسانية عالميّاً.. هل تنجح في إصدار قانون دولي يعطيها حق الاستمرار والتعاون والحماية لمصلحة جميع دول العالم؟! ...

56

أصبح الحديث عن الزراعة يأخذ مساراً خارجيّاً.. يجب أن يظل أيضاً بمسارات داخلية.. كان وما زال هناك تجاهل من وزارة الزراعة.. لكل ما يكتب ويطرح.. تجاهل يعطي مؤشرات.. يقود إلى استنتاجات.. ثم أصبحت وزارة المياه في مسار وزارة الزراعة.. التجاهل والتعتيم ليس حكمة.. تجاهل المياه الجوفية مصيبة.

لهذا التجاهل أسباب ودوافع نجهلها.. التجاهل كارثة وزارية.. حدودها الفشل.. ونتائجها قسوة وخيبة.. وزارة ليست عاجزة عن الرد.. والتوضيح.. ما هي أبعاد سياستها الزراعية والمائية.. ماذا يعني هذا الغياب والتعتيم؟!

أدعو إلى فرض مرحلة تصحيح زراعية ومائية.. مرحلة.. تدخل الزراعة فيها إلى غرفة الإنعاش.. يجب استئصال.. مع بتر.. كل أذرع المخاطر.. مرحلة تصحيح تعيد الأشياء إلى طبيعتها.. ولن تعود أبداً.. لكن زوال الخطر مهم.

زوال الخطر عن المستقبل جزء من وظائف مرحلة التصحيح.. نحن في مرحلة يجب اقتناص حراكها وإمكانياتها.. اقتناص وميضها العلمي.. تأجيل العمليات الجراحية الزراعية خطير على المستقبل.. والأجيال القادمة.. التباهي بالإنجازات المضرة هو الضرر الأعمق..

يجب تفاديه في حسابات وقت وجهد مسيرة الوطن.

مرحلة التصحيح في مجال المياه والزراعة مطلب ملحّ.. هو جزء من قوة استمرار حياتنا على هذه الأرض المباركة.. حتى فصل المياه عن وزارة الزراعة.. لا يعني تحقيق حماية الماء.. ولن يعني ذلك.. حتى وإن رغبنا.. أقترح أن تسمى «وزارة الزراعة والبيئة».. وأن تكون المياه الجوفية جزءاً من محاور هذه الوزارة.

مسؤولية المياه الجوفية يجب أن تظل مرتبطة بالزراعة.. كجزء من مرحلة التصحيح.. وحتى يكون الأمر مناطاً بجهة واحدة.. الزراعة والمياه لصيقان لا يفترقان.. وحتى يكون هناك توازن سهل السيطرة.. وسهل تحقيقه.. وفق رؤية موحدة بين الزراعة والمياه.. كجزء من بيئة لها خصوصية.

من إيجابيات مرحلة التصحيح.. فصل مياه التحلية عن بقية الموارد المائية الأخرى.. مياه التحلية صناعة تظل مرتبطة بوزارة الكهرباء.. أو تخصص لها وزارة مستقلة.. لأهمية هذا المصدر لحياة الأمة ومستقبلها.

من إيجابيات التصحيح.. الاهتمام بتغذية المياه الجوفية.. لمواجهة احتياجات المستقبل من المياه.. يحمل كاتبكم رؤية لتغذية المياه الجوفية وقد تجاهلتها الوزارات المعنية.. يسعى كاتبكم إلى توثيقها في كتاب.

أتمنى أن يرى النور قبل الممات.. رؤية ستكون أساساً لمشروع وطني كبير.. حتى وإن كان على الورق.. في حال تنفيذه.. أدعي أنه سيكون لمصلحة البيئة.. وتغذية المياه الجوفية.. مشروع لن يقل شأناً عن بناء سور الصين العظيم.. وعن بناء الأهرامات.. سيكون أعظم الإنجازات الإنسانية في شبه الجزيرة العربية.. عطاؤه سرمدي لكل الأجيال.

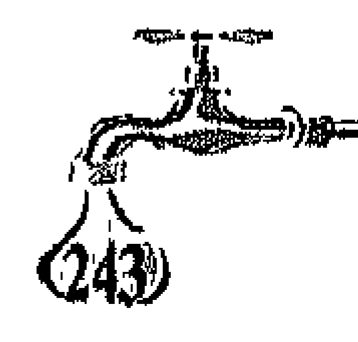
• يمكن الاعتماد على أرضنا.. وإن كانت جافة.. الزراعة الجافة علم محلي مارسه الآباء.. ليس من حقنا التفريط في هذا العلم ونتائجه.. وخبراته التراكمية.. موت أهله دون توثيق لخبراتهم.. أشبه بمكتبات تحترق.. هناك مهارات تراثية تعطي حلولاً سهلة ونابعة من البيئة.. ما علينا سوى البحث والتوثيق.. قبلها.. القناعة بهذا الموروث كأساس لحل رشيد.

• مرحلة التصحيح تحتاج إلى فرق علمية متخصصة.. تشخّص المشكلات.. تحدد الاحتياجات.. تطرح الحلول وفق رؤية واضحة للبناء والتحدي.. مع القناعة بأن الميئوس منه يمكن التعامل والتعايش معه.. على وزارة الزراعة الخروج برأيها ورؤيتها واستراتيجيتها وخططها وبرامجها.. رؤية الوزارة غير واضحة.. نسأل: ما استراتيجية وزارة الزراعة؟!

• أهم خطوات التصحيح جعل الجامعات السعودية جزءاً من مرحلة التصحيح.. الجامعات قادرة على حل كل المشكلات من خلال البحث العلمي.. الجامعات هي مصدر العلم والتغيير.. لا يمكن أن تنجح وزارة الزراعة إذا حاولت أخذ دور الجامعات وضمه تحت مظلتها.. الجامعات.. خاصة الكليات المعنية.. يجب أن تكون مسئولة عن مرحلة التصحيح.. وبدور فاعل في التغيير.

• يبقى دور وزارة الزراعة في التمويل والمراقبة والإشراف على بقاء الرؤية.. وتنفيذ الاستراتيجيات المرسومة.. عن طريق خطط وبرامج تنفذها الجامعات.. وأن تصبح هياكل الإرشاد الزراعي.. تابعة للجامعات.. وجزءاً من دورها لخدمة المجتمع.

• هناك كلام كثير.. أغلى من الذهب.. لكن، لن يكون أغلى من الماء. ...



57

♦ الحديث مستمر عن المعايير.. التي يمكن الاتكاء عليها.. للمساعدة.. في إصدار حكم على مستقبل المياه في المملكة.. المعايير متعددة.. يعرفها البعض ويجهلها آخرون.. هناك أيضاً من يتجاهلها.. لزيادة المعاناة عنوة أو غفلة.. هذه المعايير مؤشرات توحي وتقول.. مؤشرات يمكن أن يعول عليها.. لا تختلف عن ارتفاع درجة حرارة الجسم.. حيث تصبح مؤشراً على وجوب معرفة الخلل.. كنتيجة لا بد من العمل لزوال الخطر.

♦ تحدث كاتبكم عنٍ الاستنزاف الجائر.. تحدث عن سوء الاستخدام .. تحدث أيضاً عن سوء الإدارة.. وقال: إن المياه تتعرض لسوء الإدارة على مستوى المشاريع المائية.. مشروع الري والصرف بالأحساء نموذج لما جرى للمياه من سوء إدارة.. ينسحب ذلك على جميع المشاريع الزراعية.

♦ ومن سوء إدارة الماء.. تصدير المنتجات الزراعية إلى الخارج.. وهذا بمثابة تصدير الماء بثمن بخس.. ومن سوء إدارة الماء زيادة الإنتاج الزراعي.. لدرجة تفوق كميات الاستهلاك المحلي.. ومن سوء إدارة الماء تركيز استنزاف الماء في مناطق محددة.. ومن سوء إدارة الماء أن يصبح ضحية صاحبه.

اليوم يشير كاتبكم إلى المعيار أو المؤشر الرابع.. مؤشر يتجسد في التلوث.. يصبح الماء غير صالح للاستعمال إذا اختلط بالملوثات.. يصبح فاسداً ضارّاً.. يصبح خطراً على الإنسان وعلى الزراعة والحيوان.. يصبح وجوده كعدمه.. يصبح سمّاً وسقماً بفعل أيدينا.

هناك تجاوزات.. وممارسات غير مسئولة.. تعمل على تلوث المياه الجوفية دون اكتراث.. دون وعي.. ودون مسؤولية.. من هذه الملوثات.. اختلاط المياه الجوفية بمياه الصرف الصحي.. خاصة التي يتم حقنها.. عنوة ومجاهرة.. بواسطة الأنابيب إلى جوف الأرض.

تطرق كاتبكم في أحد المقالات السابقة إلى ما جرى.. ويجري في مدينة جدة.. كمثال.. من حقن مياه الصرف الصحي إلى بطن الأرض.. كشفت بعض الدراسات.. أنه نتيجة لهذا الحقن.. تلوثت المياه الجوفية بمياه الصرف الصحي.. حتى على بعد (100) كلم خارج مدينة جدة.

هناك أيضاً التلوث الذي تخلّفه محطات البترول في كثير من المواقع.. ظهر في الأحساء اختلاط المحروقات بالمياه الجوفية.. كان ذلك نتيجة لحفر آبار خاصة بالمحطات البترولية.. تصبح (مكبّاً) سريّاً للتخلص من الزيوت المستعملة بشتى أنواعها.

التلوث موضوع واسع.. لن يكون له نهاية.. في ظل غياب التشريعات التي تحمي البيئة وتردع كل مخالف.. التلوث يؤثر ليس فقط على المياه ولكن أيضاً على الإنسان.. هناك ملوثات غازية.. وهناك ملوثات سائلة وأخرى صلبة.. ويظل الخطر قائماً في غياب التشريعات التي تخلق الوعي وتحميه وتحافظ عليه.

هذه حزمة من المؤشرات.. أصبحت مشكلات يعاني منها الماء في

المملكة.. مع هذه المشكلات لا بد أن يكون الوضع المائي مريضاً لدرجة الخطورة.. مياه المملكة نادرة جدّاً.. أي نقطة ماء تفسد أو تفقد بدون مبرر هي خسارة لا يمكن تعويضها.

• مياه المملكة يعاني أهلها الذين لا يعطون قيمة لهذه المياه.. لا يعطون وزناً لهذه المياه.. رفع كاتبكم شعاراً قبل أكثر من عقدين لشرح واقع الحال.. يقول الشعار: الماء أرخص موجود وأغلى مفقود.. وما زال الحال قائماً.

• إذا توافر الماء كنّا أكثر المسرفين.. وإذا نقص الماء كنّا أكثر الشاكين.. الماء نعمة لا تقدّر بثمن.. من أجل شربة ماء يتخلى الإنسان عن كل ما يملك.. الحياة أهم من المال والعرض والأرض.. هل يتّعظ المسئول ويتعظ المواطن؟!

• معدل استهلاك الفرد الواحد في المملكة يفوق معدل استهلاك الدول الغنية بالمياه.. وأيضاً الأكثر تمدناً وحضارة مثل أمريكا وبعض الدول الأوروبية.. يصل معدل استهلاك الفرد إلى حوالي (300) لتر في اليوم.. ناهيك عن الاستخدامات الزراعية التي تستنزف المياه الجوفية بكميات تفوق احتياجات النبات الفعلية بمعدلات مرتفعة.

• نحن قوم نبحث عن المزيد من المياه لاستنزافها بشكل غير مبرر.. نحن قوم لا نهتم بالحفاظ على المياه المتوافرة.. نحن قوم غير مهتمين بترشيد استخدام المياه.. الأكثر خطورة، غير مهتمين بتنميتها.

• حتى اليوم، لا يوجد مشروع واحد على مستوى المملكة لتنمية المياه الجوفية. ...✍

58

في هذا المقال الأخير عن مستقبل الماء في المملكة.. نتساءل عن كيفية خلق القناعات عن الماء؟!.. القناعات عجين المستقبل لمواجهة أي أمر كان.. نتساءل ما هي القناعات التي تخلقها تلك المؤشرات عن الماء.. والتي تحدثنا عنها في المقالات السابقة.. وهي سوء الاستخدام.. والاستنزاف الجائر.. وسوء الإدارة.. والتلوث؟!

على أي أساس تبنى القناعات؟!.. هل تكونت لدينا كأفراد ومسئولين قناعات بخطورة نتائج تلك المؤشرات؟!.. هل الاتجاهات التي نكونها موجهة لمصلحة الماء والحفاظ عليه؟!.. السؤال الأهم ما العوامل التي تشكل اتجاهاتنا تجاه الماء؟!

الاتجاهات تعني المواقف السابقة من الأشياء.. وعليكم استعراض قناعاتكم الشخصية عن كل شيء.. هل يتحكم المال في اتجاهاتنا؟!.. إذا كان الأمر كذلك.. فهذا هو الجشع.. والطمع.. والدمار بعينه.. البيئة تتعرض للاستنزاف والتخريب.. يأخذون دون عطاء وتعويض.

إذا كنّا حتى اليوم بدون خطة وطنية للماء.. فكيف يمكن أن نفكر في مستقبل الماء؟!.. كيف يمكن أن ننادي بعدم التوسع الزراعي.. أو الدعوة إلى التوسع الزراعي؟!.. على أي شيء يتم توجيه دعوة التوقف من عدمها؟!.. هل القناعة جزء من الواقع المفروض؟!

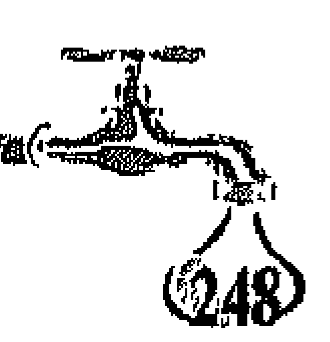
كاتبكم يعتقد أن الجميع ما زال يعتمد على قناعات التخبط.. والتجاهل.. والمكابرة والعشوائية.. الكل يتاجر بالماء.. لبناء أمجاد شخصية.. ابتداء من المظهر الشخصي.. حتى الوصول إلى بناء أكبر مزارع التباهي والترفيه وشفط المزيد من المياه الجوفية.

مستقبل الماء في المملكة غير مريح.. ومع ذلك، الكل غير مكترث.. الكل يعمل لخلق مستقبل غير واعد للماء.. الممارسات تختلف عن التصريحات والجمل (الطنّانة).. في إعلانات الوهم.. وتصريحات الوعود والأماني.

أهمية الماء لا تنحصر في الشرب.. كما يتخيل البعض.. وهذه حقيقة مرّة.. أصبحت المدن مثل (الأحواش).. ويجلب الماء للشرب؟!.. هكذا يبدو الوضع.. الحياة لها متطلبات أخرى.. النشاط الإنساني يتوقف على الماء.

كيف يمكن تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية في غياب الماء؟!.. أصبح الماء مصدر تهديد وسيظل في ظل (الطنبشة) وتجاهل الحقائق.. أصبحت تحلية مياه البحر خياراً استراتيجيّاً.. لماذا؟!.. وهل هو مصدر آمن؟!

المياه الجوفية هي الأكثر أمناً.. هي صمام الأمان الحقيقي.. هي الحضارة على وجه الأرض.. وقف الاستنزاف الجائر يعني التخلص من المزارع القائمة التي يملكها أفراد بغرض التباهي وزيادة الأموال.. مزارع للترفيه والإنتاج غير المبرر لأصحابها.. مزارع الموظفين ورجال الأعمال والشركات.. يجب التخلص من كل هذه الأنشطة الزراعية غير المبررة مع التركيز على الزراعة كمهنة للمواطنين الذين ليس لهم دخل آخر.. اعتمادهم وعائلاتهم على الزراعة فقط... وهذا جزء بسيط من الحل.



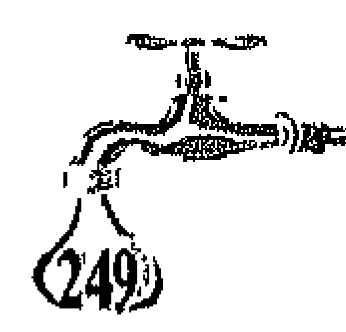
إذا لم يتم استشعار خطورة المستقبل في ظل تلك المؤشرات.. فإن قناعاتنا ستقود إلى الندم ولو بعد حين.. المؤشرات توحي إلى كاتبكم بحدوث كارثة مائية في المستقبل لا محالة.. موجة من العطش تنتظر البلاد.. ونتائجها قاسية.

الأسوأ قادم في ظل المؤشرات الحالية.. التفريط في المياه الجوفية بمثابة التفريط في الروح والحياة والوطن.. ومع زيادة عدد السكان.. الذي سيصل إلى أكثر من (40) مليون نسمة بحلول (2025).. الأمر يتطلب جدية وصرامة عند التعامل مع الماء.

لا يوجد لدينا أنهار أو بحيرات.. نحن بلد لا نملك إلا ما ينزل علينا من السماء.. وما في جوف الأرض من مياه تجمعت عبر آلاف السنين.. يجب علينا إتقان فنون التعامل مع هذه الحقيقة وهذا الواقع المؤلم.. وهذه أوضاع الجفاف في مناطق الدرع العربي تدعونا إلى موقف واضح في تعاملنا وممارساتنا مع البيئة ومع الماء.

كل الممارسات تبحث عن المزيد من الموارد المائية.. لكنها لا تبحث في تنمية وتغذية المياه الجوفية.. وهذه معضلة ليس لها حل غير بتر الجزء المريض من الجسم.. لماذا كل هذا الجفاف.. وكل هذه الممارسات التي تقود إلى التصحر؟!.. لماذا كل هذا التخبط والعشوائية؟.

المستقبل بأيدينا.. نحن الذين نرسم مؤشراته.. ممارساتنا عمياء تقود إلى هلاك البيئة.. عندما نستيقظ، سيكون الأمر أكثر تعقيداً. ...



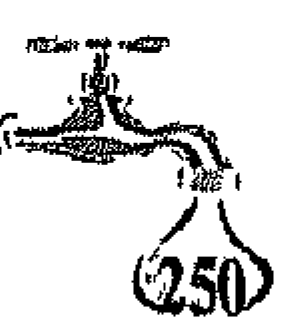
59

[الأسوأ قادم ويتمثل أيضاً في فيضانات عارمة ستجتاح الكثير من المناطق.. فيضانات مدمرة.. فيضانات لن يمر على البلاد مثلها من قبل.. هذه الفيضانات نتيجة لتصرفات لا تراعي المتطلبات البيئية التي يمارسها البعض في هذا الوقت].. هل تصدقون؟!.. تحذير، كان لكاتبكم قبل أكثر من ستة أشهر.

التحذير السابق ورد في مقابلة لكاتبكم في جريدة (المدينة).. وهكذا كان.. لكن، هل ما زال الأسوأ قادماً؟!.. نعم، ليس فقط في مدينة جدة.. لكن في كل مناطق الدرع العربي.. علينا مواجهة، وتحمل تطاولنا السافر، على البيئة.

البيئة ليست جزءاً من ممتلكاتنا.. نحنٍ مستأمنون عليها.. البيئة قوة يجب فهمها.. مع ضرورة التعايش وفقاً لمتطلباتها.. التي يتوجب علينا تفهمها أولاً.. حذار، البيئة ليست لعبة.

البيئة جزء من الحياة.. يجب التعامل معها بحذر شديد، وذكي.. وفق تعايش يحترم ويقدر البيئة.. البيئة توازن يجب الحفاظ عليه.. البيئة كائن يجب عدم تشويهه.. أو العمل على إعاقته.. أو نشر الفوضى في ملامحه.. البيئة هيبة.. البيئة كيان مستقل.. البيئة قدرة تدميرية.. كما أنها قوة عطاء لمن يحترمها.



- ذلك التحذير، كان جزءاً من حوار طويل مع كاتبكم عن مشكلات المياه.. موضوع الماء أصبح عند كاتبكم قضية.. مشكلة المياه مشكلة بيئية كبيرة وخطيرة .. الفيضانات مياه غاضبة.. لها صوت مرتفع، هو الخراب الذي تحدثه.

- المياه نعمة.. لكنها تتحول إلى نقمة.. إذا لم نستطع التعامل معها بذكاء.. وكان آباؤنا يفعلون.. حتى ديننا الحنيف، يحث على احترام البيئة.. احترامها يصل إلى حد التوجيه بعدم النوم في بطون الأودية والشعاب.. أو حتى بناء المساكن في طرق المياه ومجاري السيول.

- ولأهمية ذلك الحوار، خاصة بعد كارثة فيضانات مدينة جدة، أرجو أن أعرض عليكم مستقبلاً أجزاء في المقالات التالية.. بهدف أن تعم الفائدة.. ونقف على حقيقة ما جرى ويجري.. من تخريب للبيئة.. وتعدٍّ وإهمال وتجاهل.

- بالتأكيد لم أتوقع وقت فيضانات مدينة جدة.. كنت وما زلت أتوقع حدوث فيضانات في جميع مناطق الدرع العربي.. هذا التوقع ليس ضرباً من التنجيم.. هناك مؤشرات علمية.. يمكن أن يبني عليها الإنسان الكثير من التوقعات.. غالباً ما تكون هذه التوقعات صحيحة حتى وإن تأخر حدوثها.

- الكثير من كوارث فيضانات المياه ستحل لا محالة.. المسألة مسألة وقت.. إن لم تحصل هذا العام.. فستحصل في العام الذي يليه.. أو بعد حين.. يتوقف على كمية هطول الأمطار في مواسمها.

- منطقة الدرع العربي معرضة لكوارث الفيضانات بشكل مرعب وخطير.. ليس لأن الأمطار في زيادة.. لكن لأن الإنسان أهمل البيئة.. فقد الإحساس بقيمتها.. تجاهل قوتها ودورها في الحياة.. وهذه المناطق

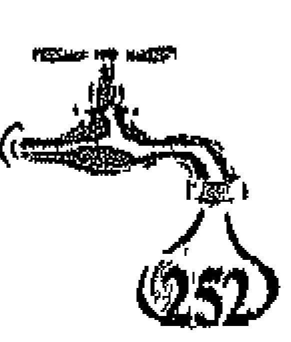
هي: الباحة، عسير، جيزان، نجران، مكة المكرمة، المدينة المنورة.

لا محالة، وفي ظل استمرار التطاول على البيئة، ستتعرض هذه المناطق إلى كوارث مخيفة.. بسبب سوء التخطيط البيئي.. بسبب الجشع والطمع.. بسبب الإهمال.. بسبب انهيار النظم الزراعية التقليدية.. بسبب الفساد والإفساد.. وبسبب تجاهل دور العلماء في التخطيط البيئي.

الخسائر لن تكون بسيطة.. هناك خسائر في الأرواح.. وستكون هناك خسائر في الممتلكات.. خسائر الأرواح ستكون في مدن مناطق الدرع العربي.. وبعض الأحياء الجديدة في تلك المناطق.. هناك أحياء بنيت في بطون الأودية ومجاري السيول.. لم نتعظ حتى اليوم، مما حصل في المدينة المنورة، في الثمانينيات من القرن الماضي.

هناك أيضاً خسائر في الممتلكات.. منها الطرق.. والحقول الزراعية.. وأيضاً الكباري.. أي إن نتائجها تخريب البيئة المشيدة.. التخريب يمثل صوتها الغاضب الهادر، لمن لا يحترمها.. سيؤدي التخريب إلى فقدان التربة الزراعية بشكل نهائي.. وإلى الأبد.. في مناطق حدوثها.. هذا يعني، التصحر وضياع مياه الأمطار.. البيئة تقف مع من يقف معها.. ولكنها تدمر من يعاندها.

سوء التخطيط البيئي.. والتعديات البيئة.. تنم عن جهل وجشع وأطماع عمياء.. كانت الأمطار فيما مضى تنزل، دون كوارث، وبغزارة أكثر مما هي عليه اليوم .. كانت البيئة آمنة ولها حقوق.. ويستمر المقال. ...



60

● البيئة لها متطلبات.. تجاهلها ناتج عن فساد وجهل وتطاول.. وسيدفع الجميع الثمن، ولو بعد حين.. كارثة (جدة) كانت نتيجة لهطول أمطار أقل بكثير مما كانت عليه في السابق.. ثم حدث ما حدث.. لماذا؟!.. هل ستستمر كوارث الفيضانات والسيول؟!.. تجاهلوا التحذيرات العلمية وهذا فساد.

● يتحدثون عن إنشاء شبكة لمصارف السيول داخل المدن.. هل ستحل مشكلة الفيضانات؟!.. شبكة المصارف تحل مشكلات السيول التي تتجمع في شوارع المدن، نتيجة لهطول الأمطار على المدينة نفسها.. لكن أن تكون هناك فيضانات قادمة من خارج المدينة.. فلن تجدي معها أي شبكة صرف.. تحتاج إلى حلول أخرى.. قادرة على التعامل مع البيئة بشكل ذكي ورشيد.

● المشكلة تكمن في عدم إعطاء البيئة حقها من الاهتمام.. يجب أن تعطى البيئة ومكوناتها نفس الاهتمام الذي تحظى به المكونات الأخرى.. والحديث يطول.. لكن أن يتحمل المواطن وزر كل شيء.. فهذه جريمة أخرى.. يلقون باللوم علانية.. المواطن بريء.

● الحديث عن المناطق العشوائية.. جزء من الفساد الظالم المتفشي.. يعتبرون المواطن شماعة لتبرير التقصير.. والتخاذل في

خدمته.. الفساد منتشر لا يسمع إلا صوته.

فيضانات (جدة) فضحت.. على الذين يلقون باللوم على الأحياء العشوائية.. أن يتوقفوا عن اتهاماتهم الموجهة للمواطنين.. يجب قطع لسان كل مسئول يلقي باللوم على المواطنين.. يقطن المناطق العشوائية، أكثر من مليون فرد.. ماذا عساهم أن يفعلوا؟!.. هل تريدونهم أن يفترشوا شوارع المدينة؟!.. أن يسكنوا تحت الأشجار؟!.. ماذا تريدونهم أن يفعلوا في ظل التقصير الواضح من الجهات المسئولة عبر السنين؟!

للمواطن كرامة وعزة نفس.. يجب الحفاظ عليها.. هذا دور الأجهزة الحكومية ورجالها.. عيب أن يتعرض أبناء البلد للإهمال.. عيب أن يتركوا لاجتهادات فاسدة.. اجتهادات كلها تقصير وتقاعس.. اجتهادات تقود الناس إلى بناء أحياء عشوائية.. في ظل وجود أجهزة حكومية مقصرة.. عيب أن يترك هؤلاء المواطنون لجشع البعض وأطماعهم.

عيب أن تصبح الأراضي بهذا الغلاء الفاحش.. لا يستطيع المواطن تحمله.. عيب أن يعيش أبناء البلد فقر المسكن.. عيب أن يتحملوا أخطاء الجهات الحكومية.. مواطنون بسطاء يبحثون عن حياة شريفة وسط هوامير الفساد والجشع.. من يحمي المواطن ويحافظ عليه؟!.. من ينتشله من براثن غلاء الأراضي الذي يدل على الفساد؟!.. غلاء الأراضي السكنية مؤشر عظيم على انتشار الفساد في البلاد.

الأحياء العشوائية مؤشر على الفساد.. وعلى تقاعس الجهات المسئولة.. عندما يأخذ المواطن حقه بذراعه، فهذا مؤشر أيضاً على الفساد، والتقصير، والتقاعس، والترهل الذي تعيشه الأجهزة المسئولة.

نعم، ما زال تحذير كاتبكم قبل شهور في جريدة (المدينة) قائماً وسيظل.. [الأسوأ قادم ويتمثل أيضاً في فيضانات عارمة ستجتاح

الكثير من المناطق.. فيضانات مدمرة.. فيضانات لن يمر على البلاد مثلها من قبل.. هذه الفيضانات نتيجة لتصرفات لا تراعي المتطلبات البيئية التي يمارسها البعض في هذا الوقت].

- الأحياء العشوائية في مدينة جدة.. أصبحت جزءاً من معالم المدينة.. أصبحت جزءاً من مسؤوليات الأجهزة الحكومية.. أصبحت واقعاً.. لماذا يتم إلقاء اللوم على المواطنين مع كل مشكلة.

- الكهرباء متوافرة في هذه الأحياء.. المدارس.. البلديات.. الشرطة موجودة.. كل شيء يتم تحت إشراف الأجهزة الحكومية.. لماذا إلقاء اللوم على المواطنين.. يزداد العجب، عندما نعرف أن الإهمال يطال حتى الأحياء التي يتم تخطيطها واعتمادها من قبل الجهات المعنية.

- كل الأحياء في مدينة جدة، وغيرها، معرضة لكوارث الفيضانات.. باستثناء تلك التي تقع في هضاب المدينة المرتفعة بفعل المصادفة فقط.

- الأمر لا يتوقف عند هذا الحد.. لكن هناك مشكلات كثيرة.. لم تتم السيطرة عليها.. تتفاقم يوماً بعد يوم.. مشكلات تتوالد.. تخلق مشكلات أخرى جديدة، وهكذا.. نحن نتحرك حركة السلحفاة.. كل قوانا متجهة نحو تحميل المواطن كل تقصير وتخاذل.

- سوء التخطيط البيئي.. والتعديات البيئة.. تتم عن جهل وجشع وأطماع عمياء.. كانت الأمطار فيما مضى تنزل، دون كوارث، وبغزارة أكثر مما هي عليه اليوم .. كانت البيئة آمنة ولها حقوق.. ويستمر المقال. ...

61

منطقة الدرع العربي معرضة لكوارث الفيضانات بشكل مرعب وخطير.. ليس لأن الأمطار في زيادة.. لكن لأن الإنسان أهمل البيئة.. فقد الإحساس بقيمتها.. تجاهل قوتها ودورها في الحياة.. وهذه المناطق هي: الباحة، عسير، جيزان، نجران، مكة المكرمة، المدينة المنورة.

ذلك مقطع من مقال كاتبكم الذي تم نشره يوم الخميس الماضي (16-12-1430) الموافق (3 ديسمبر 2009).. في جريدة اليوم العدد.. (13320).. كنتيجة، تلقى كاتبكم الكثير من الأسئلة.. لكن تكرر السؤال التالي: ماذا تعني بالدرع العربي؟!

مصطلحات جيولوجية.. أصبحت جزءاً من ثقافة متخصصة.. تبحث عن شعبية.. وتتحقق شعبيتها، نتيجة لسعي الإنسان، إلى البحث عن أجوبة تحقق رغباته المعرفية.. وهذا وعي فائق الجودة، حتى في مجال الكوارث.

لكي تفهم معنى الدرع العربي.. لا بد أن تفهم وضعاً جيولوجيّاً سائداً في البلاد.. طبعاً الهدف من الأسئلة المطروحة محاولة فهم القراء الكرام، لسبب وضع الطرح السابق عن الفيضانات التي حذر كاتبكم وما زال يحذر من حدوثها ونتائجها المهلكة.

تتكون المملكة جيولوجيّاً من جزءين.. جزء يسمى الصخور

الرسوبية.. وجزء آخر يسمى الصخور النارية أو الأصلية.. مناطق الصخور الرسوبية تشكل ثلثي مساحة المملكة، منها المنطقة الشرقية ومنطقة الرياض.

مناطق الصخور النارية أو مناطق الصخور الأصلية.. هي التي تسمى بالدرع العربي.. وهي مناطق صخور صلدة صلبة صماء.. هذه المناطق هي جيزان، ونجران، وعسير، والباحة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة.. وهي تقع في نطاق سلسلة الجبال الغربية على الساحل الغربي للمملكة وتمثل ثلث مساحة المملكة.

أود توضيح أن الصخور الرسوبية هي في الأصل صخور نارية.. تفتتت بفعل الكثير من العوامل.. ثم في مرحلة أخرى، وبفعل عوامل أخرى، منها الحرارة والضغط، تماسكت هذه الأجزاء مرة أخرى.. ولكن اختلط معها بقايا مواد عضوية.. كنتيجة تسمى الصخور الرسوبية.

مساحة الصخور الرسوبية بكاملها، كانت بحراً ضحلاً فيما مضى.. وعبر ملايين السنين.. كان هناك ترسبات.. في أزمنة مختلفة.. هي العصور الجيولوجية.. وكل عصر له خصائص مختلفة بصخور رسوبية محددة.. ومختلفة عن العصر الذي قبله والعصر الذي يليه.

انتهى هذا الترسيب بالوضع الحالي للقشرة الأرضية.. قبل حوالي مليوني عام.. هذه الطبقات الرسوبية تحتوي على أحواض مياه جوفية عذبة تجمعت في العصور المطيرة.. وهذا ما يميز هذه المناطق عن مناطق الدرع العربي.

الدرع العربي يعتمد على المياه الجوفية المتجددة بفعل نزول الأمطار وهذا أمر هام.. بالمقابل نجد مناطق الصخور الرسوبية غنية بالمياه الجوفية التي لا تتجدد.. ولا يمكن تعويض المياه المسحوبة من

هذه الأحواض المائية الأحفورية التي تشبه البترول.. فهي مياه محدودة ويمكن أن تنتهي بفعل السحب الجائر.

❢هذه المنطقة الرسوبية تبلغ سماكتها حوالي (5) كلم في المنطقة الشرقية.. تحوي البترول والمياه التي بدأت تنضب في هذه الصخور الرسوبية.

❢مناطق الدرع العربي هي سلسلة جبال السراة التي تمتد على طول البحر الأحمر من جنوبه إلى شماله.. وهي مكونة من صخور صلدة صماء تفترش كامل قاع المملكة ولكنها تأخذ في العلو والارتفاع جهة الغرب إلى أن يصل ارتفاعها إلى أكثر من (2000) متر فوق سطح البحر.. ونجدها في المنطقة الشرقية على بعد حوالي (5000) متر تحت سطح الأرض.

❢مناطق الدرع العربي عبارة عن جبال شاهقة ولها انحداران، شرقي وآخر غربي.. وهي مناطق تكثر عليها الأمطار وخاصة الجبال التي تتلقى السحب المحملة بالأمطار والقادمة من جهة البحر.. تتكاثف هذه السحب نتيجة لعوامل كثيرة وتنزل في شكل أمطار على هذه الجبال.

❢تتميز مناطق الدرع العربي بوجود أودية كثيرة ومتشعبة بعضها يغذي بعضاً.. إلى أن تصبح مياه السيول فيضانات مندفعة بشكل قوي وجارف.. متجهة إما شرقاً أو غرباً جهة البحر الأحمر.. وهذا ما حصل أخيراً في جدة.. كيف غابت عن العقلاء هذه الحقائق؟!

❢تجاهل الحقائق المتصلة بطبيعة تكوين مناطق الدرع العربي وتضاريسه يدل على سطحية يعيشها المسئول.. الذي يخطط للمستقبل في هذه المناطق.. ويستمر المقال. ...✍

62

الحقائق العلمية المتصلة بالبيئة ثابتة عبر السنين.. وقد نجح الإنسان في التحكم في كل شيء.. إلا المناخ الذي تتحكم فيه البيئة.. وبقدر خدمة الإنسان هذه البيئة، بقدر ما يكون المناخ برداً وسلاماً على الإنسان.

تجاهل الحقائق البيئية المتصلة بطبيعة تكوين مناطق الدرع العربية وتضاريسها.. يدل على سطحية تفكير المسئول الذي يخطط للمستقبل في هذه المناطق.. هل هناك من يتعامى بشكل متعمد؟!

مناطق الدرع العربية جبلية، وشاهقة.. لها سفوح جهة الشرق، ولها انكسار فجائي عميق جهة الغرب.. هذه الجبال مكان ثري لصيد مياه الأمطار.. لكن خطورتها تكمن في جريانها على المنحدرات.. تتجمع وتشكل جسماً مائيّاً ضخماً، مندفعاً بشكل عشوائي.. في المساحات المفتوحة.. تسمى الأودية.

هناك أودية شرقية وأخرى غربية.. وادي جيزان من أشهر الأودية الغربية.. وادي بيشة من أشهر الأودية الشرقية.

ولأن هطول الأمطار على مناطق الدرع العربية، أكثر منه في مناطق الصخور الرسوبية.. نجد أن عاصمة المملكة السكانية نقطة تقع قرب مدينة الباحة قبل فترة السبعينيات من القرن الماضي، لأن

مياه الأمطار تعوض السحب من الآبار.

ومن المهم ملاحظة أن الاستيطان البشري في هذه المناطق يقع على شريط لا يتعدى عرضه (3) كم.. على طول قمم جبال السراة المحاذية للبحر.. هذا الشريط هو الأكثر في (الهواطل).. وبعد هذه المسافة، تتلاشى السحب في السماء وتقل فرص نزول المطر والهواطل في المساحات الداخلية.

استطاع أهالي هذه المناطق عبر السنين، إيجاد إدارة مائية متقدمة.. وأيضاً حققوا إدارة بيئية ناجحة.. وحققوا إنجازاً علميّاً في مجال صيد وتجميع واستخدام مياه الأمطار.. حتى مدينة (جدة) كان لها شبكة من الصهاريج.. كجزء من هذه المنظومة التي لم يعد لها وجود.

كانت البيئة جزءاً من حياتهم.. تعادل الروح.. ممنوع إيذاؤها بقوانين وأنظمة، يعاقب عليها كل متجاوز.. كل فرد عبارة عن عين تحمي وتراقب سلامة البيئة.. حاليّاً، ومع البناء العشوائي والتنمية العشوائية، أصبحت البيئة دون راع وحام.

مع أي مشروع، يجب أن يكون لدينا كم هائل من المعلومات عن المناخ في الفترات السابقة التي تزيد على القرن.. نعلم أنه لا توجد معلومات موثقة، لكن لدينا أجيال كبيرة في السن.. كان يمكن الاعتماد عليها في تسجيل الكثير من المعلومات التاريخية، عن البيئة ومناخها.. ماتوا.. كأنهم مكتبات تحترق.

الأمر حاليّاً، وبرمته، عبارة عن مهزلة تاريخية.. وإلا كيف تتم تنمية مدينة جدة والتوسع في أحيائها.. في جميع الاتجاهات دون النظر إلى خطورة الأودية التاريخية التي تنقل مياه المنحدرات الغربية إلى البحر؟! شيء مخيف.. شيء مرعب.. أن يتم تعريض مدينة وأهلها

للخراب والهلاك والدمار؟!

- تقع مدينة جدة على الساحل الغربي.. وهذا معروف حتى للجن.. هي مدينة تهامية.. تقع في وادي تهامة المشهور الذي يمتد من شمال المملكة إلى جنوبها.. بمحاذاة البحر الأحمر تسمى سهول تهامة.. لأنها أكثر من واد وأكثر من مجرى للسيول.

- هذه السهول، أودية واسعة، وعريضة.. تتلقى جميع مياه السيول من المناطق والسفوح والمنحدرات الجبلية الغربية، وهذه المنحدرات عبارة عن انكسار فجائي في الجبال، حيث تلتقي بسهول تهامة في زاوية شبه قائمة.. وارتفاعات قد تتجاوز (2000) متر عن سطح الأودية تعرف محليّاً بـ (الشفا)، بينما تتدرج هذه السفوح الجبلية شرقاً إلى أن تلتقي برمال الصحراء.

- تقذف هذه السفوح مياه الأمطار المتجمعة على أرضيتها الصلدة.. إلى بطون الأودية التي تنقلها إلى البحر كنتيجة تسمى سيولاً منقولة.. نزلت الأمطار على سفوح الجبال الغربية.. وتجمعت مياه الأمطار ثم انتقلت إلى أماكن أبعد في طريقها إلى المصب النهائي.

- نسأل: كم عدد الأودية التي كانت موجودة في منطقة جدة؟!.. لماذا البناء في هذه السهول دون الاكتراث بنتائج وخطورة هذا التصرف؟!

- هناك أجوبة كثيرة، لكن هل هناك فساد وإفساد متعمدان.. عملا على إقصاء أهل العلم والمعرفة والغيرة والإخلاص لمصلحة الطمع والجشع والمصالح المادية؟!.. تغييب الحقائق العلمية منهج ضعفاء النفوس. ...

63

هناك جيل لا يعرف ما السيل؟!.. وأيضاً ما السيل المنقول؟!.. جيل ولد في زمن القحط والجفاف.. جيل تربى في مدن معلبة.. معالمها شوارع متيبسة.. كرتونية المظهر.. جامدة الملامح.. محاطة بأرصفة صلدة.. خاوية من توازنات الحياة.. بيئة صنعها البشر.. ولها أسباب.

البيئة لم تعد معروفة من خلال مشاهد المدن.. والخطوط الطويلة السريعة بينها.. أصبحت الطرق غابات بمحطات البترول والسيارات.. لم يعد هناك جيل يعرف أسرار البيئة.. أو يهمه معرفتها.. جيل جديد في بيئة جديدة.. جيل ينتمي إلى بيئة مشيدة.. غنية أو فقيرة.

ضاعت معالم.. ظهرت معالم أخرى.. البيئة أصبحت تعريفاً لما يحيط بك كفرد.. هنا المشكلة.. هنا الحل.

لا نطلب من الأجيال أن تعرف السيول أو السيول المنقولة.. أو حتى تصفها.. أو تحدد خطورتها.. لكن نطالب المسئول بأن يعرف.. ويعرف أيضاً حزمة أخرى من المعلومات.. منها معرفة الخطأ والصواب.. معرفة حدود إمكانياته.. معرفة خطورة التجاوزات على العباد والبلاد.. معرفة أن البيئة أعم وأشمل من تقاسيم ومساحة ثوبه الذي يلبسه.

عاش كاتبكم فترة السيول حتى المنقولة.. شاهدها بعينيه

العسليتين.. تبلل جسمه الحنطي بمياه غدرانها.. الغدير بقايا مياه السيول في الأودية.. وقف بجانب السيول، شاهداً على زحفها.. عرف لونها البني الفاتح.. كأنها قهوة العرب السمراء.

أمواج مياه تزحف على الأرض.. شيء يدب ليست له أطراف.. لا ترى بدايته ولا نهايته.. الأرض المبسوطة أمامه في قبضته.. كلها طريق ودرب لزحفه نحو الأمام.. وهناك زبد تراه على سطح السيل.. زبد يتولد.. كأن السيل يخطب في الأرض والإنسان.. بأشياء لا نسمعها.. نعرف تأثيرها على الحياة.

السيول مياه أمطار.. السيول محصول السحب العابرة.. محصول يتم هدره دون خوف، أو خشية.. محصول ليس له صاحب.. محصول للجميع.. وعلى الجميع العمل من أجل استثماره.

السيول قطرات مياه.. تنزل بدون لون أو رائحة.. لكن تأخذ لون غبار وحبيبات التربة الناعمة.. تربة تجرفها معها من سفوح الجبال وبطون الأودية.. تنقلها إلى أماكن أخرى لا نراها.

هكذا تنحر مياه الأمطار في تربة الجبال.. تفتتها.. تجرفها.. تنقلها.. وعبر السنين، تصبح الجبال أخاديد موحشة.. خالية من الحياة.. مثلها مثل الإنسان عندما يشيخ ويهرم.

حتى الجبال تشيخ وتهرم بفعل الفاعلين.. لكنها تظل شابة مع اعتناء الإنسان.. من لا يهتم لا يعتني.. من لا يقلق على شيء لا يعرف قيمته.. هكذا نحن حتى مع أرواحنا في الشوارع.. تذهب (فطيسة) في حوادث.. هي نوع من الكوارث البشرية.

قريتي الرابضة على أحد سفوح جبال السراة، تحضن وادياً عظيماً.. يخترقه طريق السيل.. وعلى ضفاف طريق السيل ترى

الحدائق المعلقة على سفوح الوادي الطويل.. واد يستقبل سيول الأودية الأخرى.. تأتي إليه من جهات عديدة.. عبر أوديةٍ فرعية.. لها امتداد طولي.. في مساحات قرى مجاورة وبعيدة.

في وادي قريتي تتجمع مياه السيول.. تلتقي.. تلتحم.. تندفع إلى الأمام.. تسلك طريقاً لا نعرف له نهاية.

نقف في تجمعات حول حافة الوادي.. كأننا نستقبل هذا السيل من جهة.. ثم نودّعه فوراً من الجهة الأخرى.. نرى قوة الله في هذا السيل الذي لا يتحدث.. سيل لا يعرف إلا الطريق فقط.. لا يكترث بوجودنا.. منشغل بحاله.. سيل مسالم.. لا تضع نفسك في طريقه فتهلك.. تلك كل الحكاية.

لا شيء يقف في وجه السيل.. عليه أن يصل إلى مصبه الذي اختاره الله.. برّاً أو بحراً.. عندما أتذكر الماضي مع السيول.. أستشعر الخطر.. مياه متجمعة.. أصبح لها جسم بارتفاع يزيد على (4) أمتار.. وبعرض يزيد على (5) أمتار.. وبطول يصعب تحديده.

أين تشاهد مثل هذا الوصف؟!.. باعدت الحياة المدنية بين الإنسان والبيئة.. الهجر قاس حتى على البيئة.. كان هناك حوار، بلغة واضحة، بين الإنسان وبيئته.. مات جيل كان يحترم البيئة.. بقيت البيئة تنزف.. موتها في تصحرها.. حتى في وجود المطر.. هل تصحرت العقول أيضاً؟!.. ويستمر المقال. ...

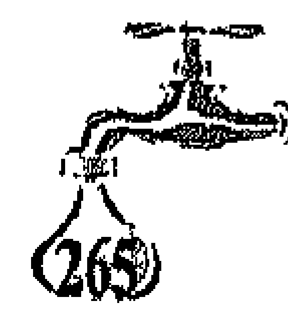
64

قرية صغيرة.. لكنها صنعت أول، وأقوى قانون في العالم للمياه.. من هو القادر على إثبات عكس ذلك؟!.. قرية صغيرة، لكنها كبيرة.. بقوانينها.. وبروتوكولاتها في مجال البيئة.. قرية شكلت حضارة ذاتية لمقومات البقاء.. قرية مع قرى أخرى شكلت نسيج جسم منطقة امتدت حياتها لقرون.. نسيج تجاهلته حتى جامعات البلد.

في غفلة زمن، جاءت حضارة المادة.. طغت على المعارف السابقة.. وهي مساحة قرون من تراكم المهارات والخبرة البيئية.. حضارة استهلاك ورفاهية مزيفة.. عملت على نسخها إلى الأبد.. في خطوة لم يتم حسابها بطريقة علمية.. نقلت الجميع إلى رحلة غير مدروسة.. رحلة ضياع واضح.. انفلتت الأجيال بحثاً عن بريق لا يمكن وضعه في قبضة اليد.

حتى تلك القرى، بكل مقومات الحياة التي كانت تحتويها، رحلت إلى غير رجعة.. كنتيجة، يدفع المواطن حالياً ثمن تلك الرحلة.. البعض يدفع حياته ثمناً.. البعض يدفع صحته البدنية والنفسية.. البعض لا يعلم أنه يدفع حتى عقله ثمناً لما يجري.

هل ضحايا المعرفة، اليوم، أكثر من ضحايا الجهل الذي كان؟!.. الجهل في عقولنا وليس في عقول أجيال تلك القرى التي مضت إلى



ربما.. ينزاح الجهل من العقول مع إتقان أي مهنة.. وإتقان الدور الصحيح في الحياة.. تزداد مساحة هذا الدور مع العلم وتطبيقاته المتجددة، المناسبة للبيئة.. والنابعة منها.. كانت تصب في مصلحة البيئة.

كل قرية كانت شجرة من العلوم.. ترتفع في السماء.. يستظل بظلها كل الأجيال.. يغذيها أبناؤها جيلاً بعد آخر.. بخبرة ومهارات ومراس حياة.. بقوانين وأعراف وتقاليد علمية.. تضمن الحياة حتى في أدنى مستوياتها.

كان للبيئة منابر خطابية.. للإعلان عن وجودها.. احترام هذا الوجود كان مطلباً.. هذا قبل تهتك العقل البيئي في مراحل التغيير.

وقبل الطفرة، وفي قريتي.. حتى السيول كان لها ممتلكات خاصة.. هل تصدقون ذلك القول؟!.. ليس هذا فقط، لكن كان الاعتداء على طريق السيل جريمة يعاقب عليها قانون المياه في القرية.. قانون صاغوه في عقولهم أولاً.. ليس في سجلاتهم الرسمية.. للغبار والأتربة والتجاوزات والفساد والتباهي.

كان للبيئة بشكلها العام قانون أشمل وأعم.. لكن كانت هناك قوانين لحماية تكوينات البيئة.. كل على حدة.. بجانب قانون السيول، كان هناك قانون للغابات.. وقانون للمراعي.. وقانون للأرض.. وقانون للطريق.. وقانون حتى لـ (سرب) الماء على ظهر البيت.

كان لكل شيء في القرية قانون دقيق غير مكتوب.. حتى ملكيات الأرض عبارة عن كلمة يتم نطقها.. ويلتزم الجميع بما تعنيه.. لم تكن سجل كلام في ورقة صفراء.. كل فرد مسئول عن تنفيذ وتطبيق وحماية وصيانة القانون غير المكتوب.. كانت هناك رقابة ذاتية.. كان هناك خوف من الله.. وكان هناك أيضاً العقاب الجماعي لمن يتجاوز.

هكذا استمرت حياة القرية لأكثر من ألفي عام.. شامخة بأجيالها.. كانوا علماء بدون شهادات.. دورنا اليوم يتلخص في إعطاء تفسير علمي لممارساتهم.. حتى في هذا الأمر سجلنا فشلاً لا يغتفر.

ليت بعض الجهات المسئولة تذهب إلى قريتي للتنقيب والبحث عن هذه القوانين.. بعد أن تم ردمها مع عقولها.. في مقبرة القرية.. بقيت المعالم.. نهشها الإهمال.. وفوضى الفهم.. وجهل أهل العلم.. هل نعيش مرحلة تنظير جديدة؟!.. مرحلة عدم تطبيق العلم بعد التخلي عن الموروث.

نعيش فوضى تغييب الموروث المهاري.. أمام بريق زائل.. لم نحسن حتى استثماره.. فوضى غيبت الكثير من الحقائق.. فوضى قادت إلى مرحلة المعاناة من كل شيء.. فوضى جيل أناني بكل المعاني والمقاييس.. جيل كان يجب عقابه.. جيل ورّث الأجيال الكثير من الكوارث.

أصبح هناك من يدعون أنهم خبراء.. نراهم في براويز مختلفة.. وضعوا أنفسهم بداخلها.. لم يضعهم العلم.. أو الجدارة.. أو الحكمة.. لا يعرفون من الأشياء إلا أسماءها.. لكنهم خبراء مصالح.. وشطب.. وتجاوزات.. وحرمان.. وإهدار حتى في الحقوق.. كانت تلك الحقوق مفروضة عبر التاريخ.. إنها حقوق السيل في طريق ثابت ليس له شريك فيه.. ويستمر المقال. ...

مقالات 2010

دلالات عميقة

65

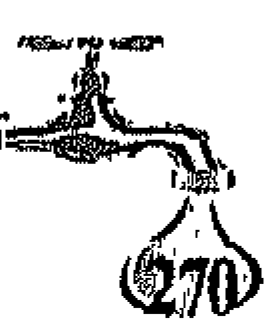
أصبح التوسع العشوائي الزراعي.. مصيدة خطيرة للمياه الجوفية.. هل تعلّمنا من دروس زراعة القمح.. والشعير.. والأعلاف.. ومحاصيل أخرى.. أكثر ضرراً؟!.. نواصل الزراعة العشوائية.. بالتوسع في زراعات.. تفيض بإنتاجها.. عن استهلاكنا المحلي.. لماذا؟!

هناك أجوبة.. وفقاً لنوع الاستنتاج.. وزارة الزراعة ما زالت صامتة.. هل ستظل كذلك؟!.. ليس هناك أجوبة لمشكلات الواقع الزراعي.. أهمها استنزاف المياه بشكل يؤذي المستقبل.. هل (ورّطت) وزارة الزراعة البلد.. بخيار توزيع الأراضي البور؟!.. وبشكل ارتجالي.. في غياب خطة زراعية رشيدة؟!

حتى النخل أصبح أداة لإهدار واستنزاف المياه الجوفية.. وهذا عبث توسع زراعته.. وصل العدد إلى أكثر من (24) مليون نخلة لجميع المناطق.. نطرح سؤالاً مهمّاً في الشأن الزراعي المحلي.. هل تملك وزارة الزراعة خطوطاً حمراء.. لا يمكن تجاوزها زراعيّاً؟!

في منطقة جغرافية صحراوية وجافة مثل المملكة.. لا بد أن يكون هناك خطوط حمراء.. لتحقيق حماية الموارد المائية.. هذا هو الوضع الطبيعي الذي يجب أن يكون عليه الحال.

إذا كان فائض الإنتاج الزراعي.. يمثل مكسباً.. عند دول غنية



بالمياه.. فإنه في بلادنا.. يمثل كارثة.. يتوقف حجمها.. على حجم استنزاف المياه الجوفية المحدودة.

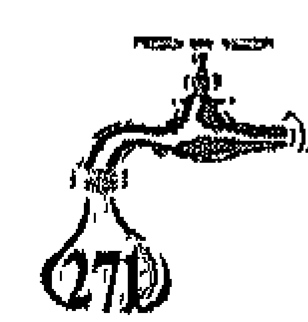
● هل تملك وزارة الزراعة أهدافاً واضحة تحترم الماء؟!.. أو أهدافاً محددة لرسم المستقبل الزراعي.. وفقاً لمعطيات المياه؟!.. هل تملك رؤية علمية تعتمد على حقيقة ندرة المياه؟!.. هل تملك إستراتيجية زراعية معتمدة.. ولها معايير؟!

● في ظل غياب الاستراتيجيات.. لن يكون هناك خطوط حمراء.. الخطوط الحمراء تظهر.. فقط .. مع وجود الخطط الإستراتيجية التي تعطي الرؤية الصحيحة والتطلعات المدروسة.

● لإثبات الادعاء.. نرجع إلى زراعة القمح.. حيث غابت الخطوط الحمراء.. في الوقت الذي كان الاستهلاك المحلي من القمح لا يتجاوز المليون طن.. كانت المملكة تنتج (4) ملايين طن.. بزيادة على الاحتياجات المحلية تصل إلى (3) ملايين طن.. مع هذا الفعل.. أين الخطوط الحمراء لوزارة الزراعة؟!

● الزيادة لم تأت فجأة.. كانت متدرجة سنة بعد أخرى.. إلى أن وصلت إلى هذه الكمية من الإنتاج.. ارتقت بنا إلى المرتبة السادسة عالمياً في إنتاج القمح.. لو أن هناك خطوطاً حمراء.. لكان الوضع الزراعي أفضل.. لمصلحة المياه الجوفية.. ومصلحة زراعة مستدامة.. تحترم المياه الجوفية وتحافظ عليها.

● وهذا النخل.. في هذه المرحلة.. خير شاهد على غياب الخطوط الحمراء في وزارة الزراعة.. زادت النخيل المزروعة في المملكة.. من (21) مليون نخلة عام (2003) إلى (24) مليون نخلة عام (2009).. وصلت الزيادة إلى (3) ملايين نخلة.



- أيضاً الزيادة لم تكن بشكل مفاجئ.. أتت بالتدريج سنويّاً.. وفي ظل اعتراف من وزارة الزراعة بارتفاع تكاليف الزراعة.. ولمواجهة هذا الأمر.. عمدت إلى تأسيس مصنع التمور بالأحساء.. لمساعدة المزارعين كما تدعي سجلات هذه الوزارة.

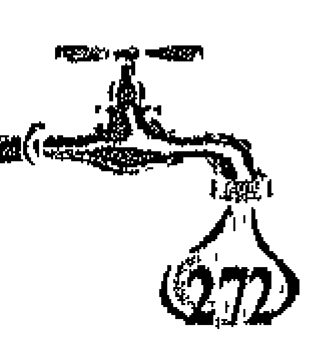
- وحتى إنتاج هذا المصنع.. يُرسل للخارج كهبات.. فهل هناك خطوط حمراء لدى الوزارة مع هذه التصرفات؟!.. استنزاف المياه الجوفية يؤثر سلباً على مستقبل الوضع الزراعي برمته.

- وحتى على مستوى المناطق.. هل توجد خطوط حمراء؟!.. كمثال، وصل عدد النخل في المنطقة الوسطى.. (الرياض والقصيم).. إلى (8) ملايين نخلة عام (2003).. ثم زاد العدد إلى (11) مليون نخلة في عام (2009).. بزيادة بلغت (3) ملايين نخلة.. هل كان هذا التوسع مدروساً؟!

- بجانب تساؤلاتنا أيضاً عن الإنتاج والتسويق.. هناك انطباع بأن الزراعة أصبحت جزءاً من التفاخر الشخصي المضر.. لتحقيق مكاسب نفسية وأمجاد مؤقتة.. حملها ثقيل.. ستكون وبالاً على البلاد في مستقبل الأيام.. هناك نفوس مريضة بالعقد.. يجب علاجها.. رحمة بالمياه الجوفية.

- غياب الخطوط الحمراء يدل على عشوائية.. وارتجال.. يجانب الصواب.. يقود للتهلكة.. على وزارة الزراعة شدّ الحزام.. إن لم يتحقق فعليها إقفال أبوابها.. الناس في وجودها.. وبهذا الوضع.. تفعل ما تشاء.. في غيابها قد يدرك الناس أن العرض والطلب خير مقياس.. بدلاً من أسعار الضمان التي تتبنّاها وزارة الزراعة.

- عندما نتساءل عن إنتاج هذه النخل من التمر.. فنحن نتساءل



عن المياه التي يستنزفها محصول التمر.

تشير آخر إحصائيات وزارة الزراعة إلى أن المحصول اقترب من المليون طن.. أي إن نصيب كل فرد (50) كجم.. هل تأكل.. (كفرد).. كل هذه الكمية سنوياً؟! في ظل غياب الخطوط الحمراء.. أين يذهب الفائض؟!

من يحمي المياه الجوفية من عبث الزراعة العشوائية؟!.. ويحميها من تطلعات غامضة.. لوزارة غامضة.. وصامتة؟! ...

66

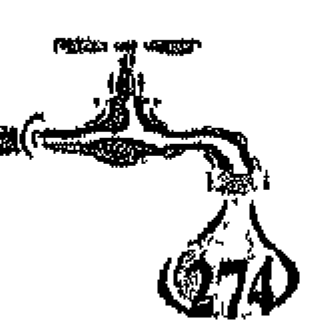
حاجتنا إلى قانون وطني للمياه.. ضرورة ملحة وعاجلة.. القوانين تعطي للأشياء قيمة.. وشخصية ذات اعتبار.. تعطي تعريفات محددة واضحة.. معها يمكن الفهم السليم.. والحماية المطلوبة.. والتنمية المستدامة.. والنمو العلمي المرغوب.. بجانب قهر الرغبات المضرة.

القوانين تعطي أيضاً الحق والحقوق حتى للسيول ومجاريها على الأرض.. ولكن، هل فكرتم في تعريف السيل؟!.. هو الاسم النهائي.. لكافة تجمع قطرات مياه الأمطار على مساحة من الأرض.

السيل لا ينزل كجسم مائي دفعة واحدة.. كلنا يعرف ذلك.. هل نستفيد من هذه المعلومة؟!.. السيل تجمع قطرات.. في نهاية المطاف.. تصبح مياه الأمطار سيلاً جارفاً.. هذا قانون يمكن تفعيله حتى مع البشر والبيئة.. كجزء من قانون الحياة في جميع ساحاتها.. البعض لا يعيره أي اهتمام.

هل سألتم لماذا تتكون السيول؟!.. قد يراه البعض سؤالاً عابراً.. لكن الجواب يعطي مفاتيح لمشكلات.. تنخر في العظم البيئي برمته.. هناك جواب.. قد يرى النور في مقالات قادمة.. وحتى يأتي ذلك الوقت.. الذي قد لا يأتي.. عليكم البحث عن إجابة.

قانون القرية للمياه.. حقق نجاح عدم تكون السيل نهائيّاً في



مواقع مختارة.. وهذا موضوع مهم لمقالات قادمة.. لكن قانون المياه وضع طريقاً ثابتاً ومعروفاً للسيل.. تتوارث الأجيال احترامه.. الاعتداء عليه جريمة.. الاستيلاء عليه منكر.. طريق السيل لا يمكن أن يصبح ملكاً لأي فرد.

في منظومة قانون المياه في القرية.. هناك سواقٍ (طريق للمياه) بأحجام مختلفة.. السواقي عصب النظام المائي وقوته.. تنقل تجمعات المياه من ساقية إلى أخرى.. حتى تصل تجمعات هذه المياه.. إلى مجرى السيل الأكبر.. حيث يتشكل جسم مياه الأمطار النهائي.

هو السيل يزحف.. لا يبالي.. يعبر في كبرياء.. شامخ المظهر.. يصبح شخصية مقروءة.. لها أبعاد ومجال وتأثير.. كأن السيل زعيم.. يقوم بزيارة تفقدية لمناطق حدوده.. معها يكافئ أو يعاقب.. البعض يسجن هذا الزعيم خلف سد خرساني ظالم للبيئة وللحياة.

وبعد أن أصبح كاتبكم عالماً.. ينتمي لجامعة تأسست عام (1696).. عالماً خارج تلك القرية.. يحاور نفسه أكثر من أي شيء آخر.. يقف احتراماً، لقوة إدارة القرية، لهذا النظام الدقيق.. يزداد العجب مساحة.. مع وجود هذا النظام المائي أصلاً في القرية.

نظام يدير ماء وتجمعات مياه الأمطار.. نظام يعمل أيضاً على حصادها مباشرة في بعض المواقع.. يزداد العجب مع عجز الأجهزة المعنية.. بكل إمكانيتها.. عن فهم البيئة.

كارثة جدة نموذج.. وهناك كوارث أخرى قادمة لا محالة، في ظل التعامي عن الحقائق العلمية ومؤشراتها.

الساقية مربط القوة.. ومحور النظام المائي.. هي القلب النابض لنظام المياه برمته.. كنتيجة، أصبح لكل ساقية اسم محدد.. لكل

ساقية مكان محدد.. معروف للجميع بداية ونهاية.. للساقية عرض وارتفاع ثابتان.. بأحجام مختلفة.. صغير.. وسط.. كبير.

- السواقي تشبه تفرعات جذور الشجرة.. كل التفرعات الجذرية تغذي الساق.. بدوره يغذي بقية جسم الشجرة.. وللسواقي نظام صيانة سنوية.. السواقي تخضع لملكية جماعية.. ليس من حق أي فرد امتلاكها.. حتى وإن كانت تخترق أملاك ذلك الفرد.. مهما بلغ شأنه ومكانته الاقتصادية، أو الاجتماعية.

- أين نحن من قانون المياه هذا.. مع أجهزة كان يجب عليها إدراك دورها.. بتسهيل حياة الناس من خلال فهم كامل للبيئة؟!

- في قانون الماء عند أهل قريتي.. يجب أن تظل طريق السيل مراقبة.. لنجاح نقل ماء المطر المتجمع إلى المصب.. كل ساقية لها مصب.. وتغذي بعضها بعضاً.. من أهدافها حماية القرية وممتلكاتها من خطورة السيول.. هذا القانون المائي يفرض احتراماً غير محدد.. لقنوات السيول والسواقي.. كانت جزءاً من متطلبات الحياة الناجحة مع البيئة.. أين نحن اليوم؟!

- هل هناك قانون للمياه في المملكة؟!.. قانون يحمي حقوق المياه في البيئة.. حقوق السيول.. حقوق المياه التي تنزل من السماء.

- نحتاج إلى تعريفات علمية لكل وحدة بيئية، متعلقة بمياه الأمطار.

- يجب استرداد ملكية مجاري وطرق السيول والسواقي.. مالكها الحقيقي هو الماء وليس البشر. ...

67

التفريط في المياه الجوفية بمثابة تفريط في الحياة.. استنزافها وإهدارها تهلكة.. كاتبكم فقد الأمل في إصلاح ما أفسده الطمع والجشع وعدم المبالاة.. وعن المياه في الأحساء.. نالت اهتمام ورعاية الدولة.. لكن تمت إدارتها بطريقة منكرة.. أفضت إلى إهدارها ونضوب منابعها.. مشروع الري والصرف أحد الإنجازات.. لكنه تحول إلى أداة لضياع مياه الأحساء.

وعبر تاريخ المشروع.. منذ (1975).. لم يحقق أهدافه المرسومة.. أصبح الماء في خدمة الموظفين بدلاً من أن يكونوا في خدمة الماء.. أصبح الوضع معكوساً.

يتعجب طلابي أثناء زياراتهم للمشروع.. وعندما يرد اسمي من خلال أسئلتهم.. يعلق بعض منسوبيه قائلين: (دكتوركم يتكلم من فراغ).. الطلاب يملكون معايير للحكم.. كنتيجة، يتساءلون.. لماذا كل هذا الجهل والتجاهل؟!

لا يهم كاتبكم ما يقال عن شخصه.. الأهم، هي المغالطات التي تحاك.. وأيضاً رسم التقارير التي تشير إلى عكس الواقع.. وأيضاً المكابرة في الاعتراف بعجز المشروع عن تحقيق أهدافه.

ما زال الإهدار والاستنزاف يمارس إلى درجة توحي بأن هناك

تخبطاً.. ومع استنزاف المياه الجوفية في جميع مناطق المملكة.. يتساءل كاتبكم هل المياه الجوفية معرضة لاستنزاف مقصود.. بهدف تجفيف البلاد؟!

تاريخيّاً.. اشتهرت الأحساء بوفرة المياه الفوارة.. لكنها اليوم تعيش وضعاً مائيّاً حرجاً.. مستقبلها يواجه تحدياً مرّاً وبائساً.. تحدياً لم يكن على بال التاريخ.

الأحساء تواجه التصحر بعد أن نضبت المياه الجوفية إلى مستويات مقلقة.. جفت جميع عيونها الفوارة.. كانت تفيض بملايين الأمتار المكعبة سنويّاً.. ومع ذلك هناك إهمال وعدم اكتراث.

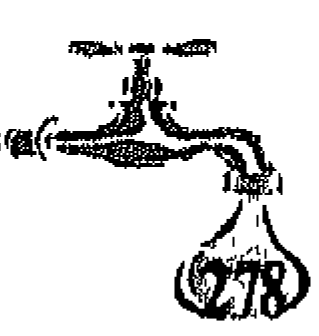
أتعجب من سوء التفكير والتقدير.. وسوء التعامل مع هذه الثروة.. حتى في ظل شبح النضوب.. ما زالت مياه الأحساء تهدر بشكل علني.. وخير شاهد على جريمة هذا الإهدار (بحيرة الأصفر).

بحيرة يتغنى بها البعض.. يطالبون بجعلها معلماً سياحيّاً.. فهل تتحول بحيرة الأصفر إلى شاهد على سوء تعاملنا مع المياه؟!.. وشاهد على جريمة إهدار المياه؟!.. وشاهد على خواء العقول؟!

بحيرة الأصفر مؤشر على جريمة إهدار المياه الجوفية في المملكة.. مؤشر على تخبط غير مبرر.. مؤشر على إهدار متعمد للمياه.. كيف نسمح بإهدار المياه دون مساءلة؟!.. دون تساؤل؟!.. دون محاسبة وحتى محاكمة؟!

بحيرة الأصفر هدفها تجميع مياه الصرف الناتج عن الري الجائر.. يسعون إلى تبخير المياه.. طريقة منكرة علميّاً.. هي عار واضح.. فضيحة ليس لها مبرر.

نتساءل: مياه صرف في منطقة مستصلحة من آلاف السنين..



لماذا؟!.. واقع يتنافى مع العلم وشح المياه.

- نسحب المياه من جوف الأرض ثم نبخرها.. يحدث هذا في منطقة تعتمد كلياً على المياه الجوفية.. ربّاه.. أي عقول نحمل؟!.. وكيف نفكر؟!

- لم نتساءل عن مبررات وجود بحيرة الأصفر.. أكثر من ثلاثة عقود، ولم نسأل عن المياه التي يتم إهدارها في هذه البحيرة.. مياه جوفية غالية الثمن.. لا يمكن تعويضها.. نحن مصابون بلوثة مرضية.. سواء في طريقة التفكير.. أو في طرح الحلول لمشكلاتنا.. لوثة تقودنا إلى تبني حلول غير منطقية وغير مقبولة بيئياً.

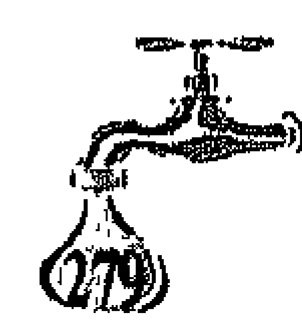
- مياه البحيرة نتاج الري الجائر.. دراسات أثبتت أن كفاءة الري في إحدى مراحل تشغيل المشروع.. لم تتجاوز (15%).. كنتيجة، أكثر من (85%) من مياه الري تذهب هدراً في المصارف.. ثم إلى بحيرة الأصفر وغيرها.. وما زالت البحيرة تتلقى المزيد من المياه المهدرة.. وأيضاً تتلقى التمجيد والإشادة.. وبعضهم يوصي باستثمارها.

- إهدار مياه الأحساء قصة مستمرة.. جفت جميع العيون.. أصبح الماء غوراً.. ثم وصلنا إلى مرحلة الاستعانة بمياه الصرف الصحي المعالج لأغراض الري.. لتظل البحيرة حية شاهدة على سوء تصرفنا مع المياه.

- نفكر فقط في البحث عن المزيد من الموارد المائية لمواصلة الإهدار والهبل الإداري لهذه المياه.

- في ظل ظروفنا البيئية كان يجب منذ بداية مشروع الري والصرف عدم ضياع أي قطرة ماء.. ثم يقولون كاتبكم يتكلم من فراغ.. ويبقى مشروع الري والصرف أداة لاستنزاف المياه الجوفية وإهدارها.

- كان يجب تجفيف هذه البحيرة، بوضع حد نهائي لإهدار مياه



الري.. يجب التوجه إلى مساءلة الجهات المعنية ومحاسبتها على استنزاف المياه الجوفية وإهدارها.

- كاتبكم سيواصل الدفاع عن المياه الجوفية.. استنزافها انتحار.. وهذه كارثة تجفيف الأحساء ظاهرة للعيان.

- وهذا مشروع الري والصرف.. جعل من الصحاري أنهاراً وجداول.

- فكروا في نتائج الإهدار والاستنزاف الجائر للمياه الجوفية.. فكروا في تأثيرها السلبي على مستقبل الأجيال. ....

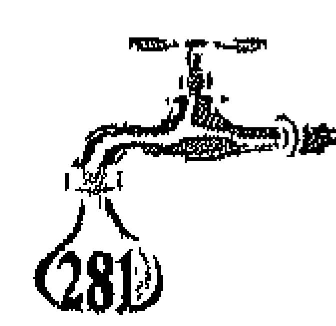
68

بكرة.. يحل اليوم العالمي للمياه.. بكرة.. 22 مارس 2010.. هكذا، يفتخر العالم.. يفتخرون بإهمالهم وتفريطهم.. وإهدارهم الجائر للماء.. وأيضاً تلويثه.. حتى بدماء الشعوب المحتلة.. ومنها دماء العرب في فلسطين والعراق.. ومواقع أخرى خالية من الرحمة والعطف الإنساني.

لا أدري بماذا يحتفل العالم؟!.. بالتأكيد ليس احتفالاً.. لكنه نذير شؤم.. يذكر بغباء يمارس على البيئة.. في مظاهر من الفساد والإفساد.. جشع وأطماع.. (تهاويل) ليس لها مثيل، مع قبضة المال الظالمة.

يعتقدون أنهم يملكون الحياة نفسها.. بعضهم يدعي في هذا الزمان، أنه رسول الرب.. لتطهير الأرض من الأشرار، خاصة العرب.

بالتأكيد.. لم يسمع العرب عن اليوم العالمي للمياه.. لا يعترفون إلا بيومهم.. لا يعترفون بشيء اسمه المستقبل.. يرددون : (عش ليومك).. يقولون: (خذ بيوم السعد حدّه).. ويغنون: (طنّش.. تعش.. تنتعش).. وهناك أشياء، أخجل من ذكرها.. احتراماً للمستقبل.. واحتراماً



لـ(اليوم العالمي للمياه).

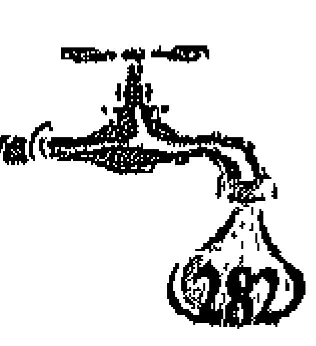
هل تعرّض الماء العربي لـ (مؤامرة) كبيرة؟!.. نعم، هناك أطراف لها معتقدات مريضة.. تسعى إلى جعل العالم العربي يلهث عطشاً.. ويموت متيبساً من الجفاف.. كاتبكم يعتقد ذلك وبشدّة.. هناك مؤامرة واضحة لاستنزاف المياه الجوفية العربية.. مؤامرة لنحر العرب عن طريق تعطيشهم.. مؤامرة لمصلحة جهات تكره العرب.. ولغة العرب.. وثقافة العرب.. ودين العرب.. ورسالة العرب.. يكرهون حتى سحنتهم الحنطية.

ما جرى خلال العقود الماضية من سحب جائر للمياه الجوفية.. وإهدار في موارد المياه.. وتحت مسميات: التنمية.. التطور الحضاري.. الثورة الخضراء.. يدل على أن العقل العربي مشلول عن التفكير.. مدفوع بطريقة ما.. لتجفيف الأرض العربية من المياه.. تنويم مغناطيسي.. شل حركة وتفكير وتحليل العقل.. لمصلحة الجفاف والتعطيش.

المؤامرة موجودة.. مؤامرة مكشوفة واضحة.. هذا ما أستطيع تقبله.. لتفسير ما جرى ويجري على المياه العربية.. إلا إذا كان العرب قد أصابهم مس من الجن.. وإذا كان هذا حصل بالفعل.. فمن الذي قادهم إلى هذا الجنون؟!

مع كل فتح باب لتفسير جديد.. أجد أمامي شبح المؤامرة.. لا أدري من له مصلحة في وجود مثل هذه الأوضاع المرّة والصعبة؟!.. هل تعرفون؟!

ما زلنا ننتظر.. لم يظهر لنا من الجمل إلا (أذناه).. باقي



الجسم لم يظهر بعد.. هل تستطيعون قراءة صور جسم المستقبل على ضوء معطيات ومؤشرات الحاضر؟!

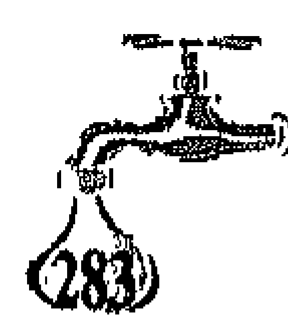
العرب مصابون بإعاقة.. لا يريدون أن يعرفوا أكثر مما يعيشونه.. العرب لا يعقلونها ولا يتوكلون على الله إلا مع موتاهم.. قوم يزحفون نحو حتفهم غير مبالين.. كل جيل يؤسس لفشل الجيل الذي يليه.. ويا قلب لا تحزن في اليوم العالمي للمياه.

يحتفل العرب بطريقتهم.. في مظاهر تزيد الاستنزاف والإهدار للمياه العربية.. خاصة مياه الوجه التي لم تعد لها قيمة.. بعد استنزافهم المياه الجوفية الثمينة.

لا (أدري) لماذا يحتفل العرب بهذا اليوم؟!.. ولماذا الاهتمام؟!.. ذابت الثلوج العربية في القضايا الساخنة التي يواجهونها رغم أنفهم.. يشاركون أيضاً في سخونة قضاياهم.. ويساهمون في صنعها طواعية.. وصلوا إلى مرحلة تبخير المياه الجوفية ظهيرة.

نعرف أن معظم الدول العربية تواجه مصائب المياه.. وهناك أناس أمثالي يغردون خارج السرب.. يسمون أنفسهم مهتمين بالماء.. يكتبون.. يحللون.. يستنتجون.. ويتعرضون لسخرية الجميع .. عندما يرون المياه تهدر، في وضع لا يختلف عن ظروف إهدار الدماء العربية في قضايا عبثية.. ليس لها ما يبررها.. مثل الماء الذي يسيل هو الآخر دون أدنى مسؤولية.

الماء في جميع أنحاء الأرض العربية الجافة.. يتمتع بوزارات مسئولة عن هذه المياه.. لـ(الماء) وزراء كبار.. وموظفون..



وميزانيات.. ومستودعات ضخمة من الأنظمة والقوانين.. وشعارات من (الخزعبلات).. يتشدقون بها في تصريحاتهم ومؤتمراتهم.. حفاظاً على هذه الثروة.. وهم مهرجون.. كاذبون بعرض العالم العربي وطوله.. في واقعهم يقولون شيئاً.. ويعملون أشياء أخرى مخجلة بحق الماء.. هكذا العرب.. مع كل الثروات.. ومنها الماء.

أيها العرب.. ألقوا بكامل جسم وزارات المياه العربية في النّار.. ألقوا بها في نار الإهدار ونار الاستنزاف الجائر.. فإما أن نطفئ نيرانها أو نزيد لهيبها.. لم تعد هناك حاجة لهذه الوزارات مع تباعد المسافات.

في اليوم العالمي للمياه.. هل أدعو العرب إلى الهجرة رغم غناهم وعنتريتهم؟!.. هجرة إلى الأراضي الغنية بالمياه.. هجرة قبل الموت عطشاً.. لكن هل سيسمح المتربصون؟!.. حافظوا على مياهكم أيها العرب.. هذا خياركم الوحيد.. أمام خيار الحياة أو الموت. ...

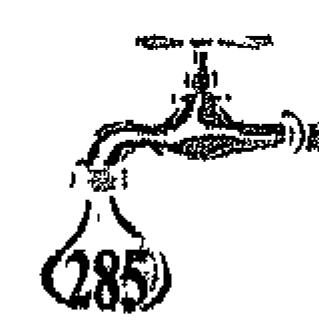
69

مع الحياة المدنية.. ابتعد الإنسان عن تفاعله مع البيئة.. ازداد الجهل بالبيئة ومتطلباتها.. وباحتياجاتها ومشكلاتها.. التباعد يولّد الجفاء.. يهتك الود.. يقلص التفاعل.. كنتيجة، يغيب عن الفرد الكثير من الحقائق البيئية.. وتخسر البيئة وأهلها.

التفاعل مع البيئة جزء من بناء الحياة وازدهارها.. أصبح غائباً مع تغيُّر أنماط الحياة.. ويظل الإنسان محور التفاعل.. يجمع حوله مكونات الحياة.. لكنه يتحوَّل إلى محور هدم.. إذا أخلَّ بالتوازن.. ولكي نحافظ على التوازن المطلوب والضروري.. يتطلب الأمر فرض قوانين.. تحمي وتصون.. تحفظ للجميع الحقوق.

تزدهر العلاقة بين الأشياء في وجود قوانين.. تحدِّد نجاح العلاقة بين المكونات.. هذا يعني فرض حدود.. بتقاسيم واضحة.. تحدّد العلاقة بين الإنسان والبيئة.. قوانين مفهومة.. بقراءة سهلة وبسيطة.. قوانين ملزمة للجميع.. قوانين تحمي البيئة وترعاها.

نحن معنيُّون حتى بمجاري مياه الأمطار.. يجب سنّ قوانين تحفظ حقوقها.. خاصة في مناطق الدرع العربي.. يجب الحفاظ على



حدودها قائمة على الأرض.. يجب منع التطاول.. والاعتداء عليها.. يجب فرض احترام هذه القوانين.. وأن تكون ملزمة للجميع.. بهدف حماية الأرواح والممتلكات والبيئة.

- تراخي الإنسان عند التعامل مع البيئة يحمل أضراراً مؤثرة سلباً.. ومن نتائج هذا التراخي.. انهيار النظم الزراعية التقليدية.. والاستنزاف الجائر للموارد.. وسوء الإدارة، وسوء الاستخدام.. والتلوث.. وهذا هو الفساد والإفساد.. يخل بالتوازن البيئي.. ويقود إلى التصحُّر.. وعلى الإنسان أن يواجه العواقب ومنها الفقر والتشرُّد والموت بؤساً.

- في غياب القوانين تتدهور العلاقة بين الإنسان والبيئة.. ويعمل الإنسان في النهاية.. على استباحة البيئة.. تحت وطأة الجشع والطمع.. والجهل والفساد.. هذا ما حصل مع المياه الجوفية في المملكة.. حيث طغى الاستنزاف الجائر على مصالح الوطن والمواطنين.

- وبالمقارنة، كارثة استنزاف المياه الجوفية في المملكة أعمق وأكبر من كارثة جدة.. وكان يجب محاسبة كل المتسببين.. كانت.. وما زالت.. وستظل كارثة يعاني من نتائجها الوطن والمواطنون.. والأجيال القادمة.

- تظل البيئة ممسكة بمفتاح تغيير نوعيَّة وجودة الحياة.. تتجرد من الرحمة إذا أساء الإنسان التعامل معها.. البيئة تحدد وتختار ما يناسبها وفقاً لنوع التعامل معها.

- يُصاب البعض بداء التعامي.. وسوء التقدير.. تطغى المصالح

في غياب المساءلة.. كنتيجة، لا خوف من النظام.. وأيضاً لا هيبة له.. مع هذا الوضع، هل الدعوة إلى احترام البيئة فاعلة حتى في ظل القوانين؟!.. في هذا الشأن، رأى كاتبكم أراضي سكنية ممنوحة لمواطنين في بطون الأودية.. وبصكوك شرعية.. أعرف بعض هذه البيئات.. قبل دخولها نفق المخططات.. التي لا ترى إلا بعين واحدة.

كيف سيعبر السيل، وفي طريقه بيت قائم؟!.. ما هو مصير البيت وأهل البيت؟!.. هل نحن مجانين؟!.. من المسئول؟!.. البلديات أم المواطن؟!.. إذا كان هذا يحدث تحت إشراف أجهزة حكومية، فهو مؤشر على أمور كثيرة.. المجال غير كاف للحديث في مسبباتها.. لكن تظل إثارتها إنارة في الدروب التي جعلناها مظلمة.

حتى المحاكم الشرعية.. التي ترسم الصكوك.. تظل جزءاً من المشكلة.. وقبل إصدار أي صك.. يجب التعهُّد من الجهات المعنية.. بأن الأرض السكنية وغيرها.. لا تقع في بطن وادٍ.. أو في طريق سيل.. أو تقطع ساقية مهما بلغ صغر حجمها.. وهكذا مع كل المنافع التنموية.. بجانب إجراء مراجعة شاملة للماضي الذي مضى وهو قائم.. أو على الأقل حفظ حقوقها في الصكّ.. وجود هذه الضمانات جزء من حماية الأرواح والممتلكات.. ومنها ممتلكات السيول قبل البشر.. وهذا يعزز احترام البيئة التي تحضن الجميع.

البيئة ثوبنا الذي نلبسه.. هل تريدونه غير لائق وغير مناسب؟!.. تدمير البيئة أشبه بمن يدمّر نفسه علانية.. وكما أن للبشر حق الحياة، فإن لكل مكونات البيئة حق الحياة أيضاً.. ومنها السيول التي يجب أن يكون لها جزء قوي من قانون المياه الذي أدعو

إلى رسمه في أقرب وقت.. قانون سيكون جزءاً من حماية البيئة.. وأيضاً حماية الإنسان وممتلكاته.. من تداعيات بطش الإنسان.. بطش مضر بالبيئة.

كل شيء في البيئة له حق.. حتى البحر له حق في السيول.. بما يحمله من مكونات غذائية مختلفة.. كائنات البحر الحية لها منافع في السيول.

البيئة عالم جميل.. لها حكاية.. تمنح الراحة والسعادة.. هناك أشياء نراها ونحسها.. هناك أشياء أخرى مفيدة لا نحسُّها ولا نراها.. احترامنا للمرئي من البيئة.. يعزز دور ذلك الذي لا نراه.

...

70

في حملة وزارة المياه والكهرباء الإرشادية.. اتهام للمواطن بالجهل.. يستأجرون صفحات كاملة.. لتأكيد ذلك.. وبطلاء أزرق.. يرمز للماء المهدر.. والسماء الملوثة.. في أجواء عقول.. تتطلع للمزيد من الموارد المائية.. لإهدارها بدون خجل.

في أعلى الصفحة.. شعار يحمل.. (سلكين) كما تقول الاستنتاجات.. غير مبرومين.. يحتضنان قطرة.. يدعونها قطرة ماء.. الحقيقة، أن (الأسلاك) لا تلامس حواف القطرة.. شعار جاهز للانفجار بمجرد التلامس.. كانا بلون أحمر.. هل اللون يمثل الحرارة.. أم يمثل شحنة الكهرباء؟!.. كيف توصلوا إلى لون شحنة غير مرئية؟!.. هل كانوا يسعون إلى إرشادنا إلى لون معدن الأسلاك؟!.. يمكن.. في وسط الصفحة العلوي.. هناك تساؤل.. جعلوه كبيراً.. لجذب انتباه المواطن.. لا يرى إلا من خلال بنط كبير.. هكذا يعتقدون.

وجهوا السؤال التالي للمواطن: (هل تعلم؟).. استبدلوا بالنقطة تحت علامة الاستفهام.. قطرة ماء بيضاء.. وضعوا بداخلها

شكل إنسان.. نصفه الأسفل أزرق.. والأعلى حنطي.. يعني عربي أحرقته المعاناة.. ثم علّقوا أمامه.. وفي الهواء الطلق.. صنبور ماء.. أمام منتصف الجسم.. يقذف ماء على دائرة زرقاء.. دعوة لمزيد من الإهدار.. إيحاء بأن الماء ينزل في وجود المحبس.

تحت سؤالهم (هل تعلم؟).. كانت الفضيحة التالية: (أنّ إنتاج كيلو غرام واحد من القمح محليّاً.. يستهلك أكثر من (1800) لتر من الماء)... ولأن المواطنين جهلة بقياس الأحجام.. وضعوا بين قوسين معلومة.. تشرح للمواطن معنى (اللتر).. افترضوا أن المواطن جاهل.. ولكن هل المواطنون علماء في معرفة الاصطلاحات الأخرى بالإعلان.. مثل المياه الجوفية غير المتجددة؟!

شرحوا لهذا المواطن الجاهل أن: (1800 لتر تعني 1800 كيلو غرام من الماء).. أليس هذا انحداراً عظيماً في التفكير وفي العقلية؟!.. الجميع يعرف أن (اللتر) يختلف عن (الكيلو غرام).. هذا يعني إيمانهم.. بأنهم يتعاملون مع جهلة لا يفهمون.. وإذا كان هذا اعتقادهم.. فكيف يطلبون من الجهلة.. قراءة إعلان في جريدة؟!.. استعلاء وعنجهية.

المعلومات التي وردت في الإعلان.. تدين الوزارات المعنية.. تدينهم بالجهل.. وأيضاً بالتطاول على مستقبل البلاد والعباد.. وتدينهم باستنزاف المياه الجوفية بشكل متعمد.. يرتقي إلى ممارسة تخريب مستقبل الأجيال القادمة.. يقول إعلانهم الفضيحة.. الذي يدينهم: (استيراد القمح بدلاً من زراعته يوفر خمسة بلايين متر مكعب من المياه الجوفية غير المتجددة سنويّاً.. وهو ما يعادل ضعف

استهلاكنا البلدي من المياه).. انتهى الإعلان الفضيحة.. وهذا ما قلناه لهذه الوزارات منذ أكثر من عقدين.

تعرفون هذه المعلومات.. ثم تستنزفون مياه البلاد الجوفية.. لماذا؟!.. وصل إنتاجكم من القمح إلى أكثر من (4) ملايين طن/ سنة.. في الوقت الذي كان استهلاك البلد حوالي المليون طن فقط؟!.. نسأل.. لتوضيح مدى التهريج.. والتدليس الذي يمارس على المواطن.. وعلى الوطن.. وعلى الأجيال القادمة.. تهريج من وزارات.. لا تسمع إلا صوتها.. جعلتم البلد الصحراوي يحتل سادس دولة في العالم في إنتاج القمح.. قمة التهور والاستخفاف.. علّموا أنفسكم.. أرشدوا أنفسكم.. حاسبوا أنفسكم.. وجهوا إعلاناتكم إلى أنفسكم.. المواطن لا يحتاج إلى هذه المعلومات.. تجاهلتم وبشكل صارخ.. جميع ما ورد في خطط التنمية من محاذير.. ثم تأتون اليوم.. وبشكل (عنتري).. تلقون على المواطن معلومات تجاهلتموها وأنتم تعلمون.

في عام (1981) كتبت مقالاً عن خطورة التوسع في زراعة القمح.. واصلت الكتابة.. وحتى اليوم، لا أرى أي بادرة خير قادمة من الوزارات المعنية.. لمصلحة المياه الجوفية.. حتى منع زراعة القمح.. لم يتحقق.. إلا بعد خسارة المياه الجوفية غير المتجددة.. خسارة لا يمكن تعويضها.. ومرت دون محاسبة.. ما زال الاستنزاف قائماً بمحاصيل ليس لزراعتها ضرورة.. ورد.. وبطاطس.. وتصدير إلى هولندا.. حليب.. وحبحب.. وتمر.. وأشياء أخرى.. حتى إلى اليابان.

نشرتم.. وتملكون أيضاً.. مزارع الترفيه.. لمزيد من الاستنزاف الجائر.. (يا مطبب طبب نفسك).. حتى لو عرف المواطن



هذه الحقائق.. نتساءل عن مدى تأثيرها في الحفاظ على المياه الجوفية؟!.. معلومات تجعل المواطن يدينكم ظهيرة.. معلوماتكم تدينكم في الوزارات المعنية.. أكثر من (70) مليار ريال.. تم صرفها على زراعة القمح فقط.. أليس هذا مغرياً لكل (الهوامير) للحصول على جزء من الكعكة؟!.. كان ذلك على حساب تجفيف البلاد.. وعلى حساب المزارع الحقيقي الذي لم يجد حتى الفتات.. جعلتموه جزءاً من جسم الفقر في البلد.

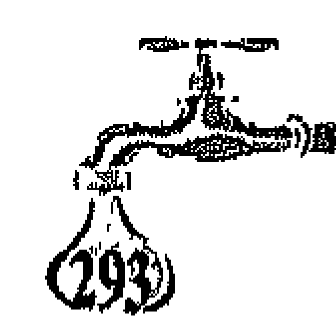
وزارات تسببت في ذلك.. وزارات سمحت بذلك.. وما زالت.. وبطرق شتى.. ماذا ستقولون لربكم.. وللأجيال القادمة؟! ...

71

♦ استلم كاتبكم الرسالة المقتضبة.. التالية: (د.محمد لقد تحاملت كثيراً على وزارة المياه بطريقة استفزازيه غير بناءة في مقال اليوم في جريدة اليوم).. وبالمقابل استلمت أيضاً الرسالة المقتضبة التالية: (شكراً على هذا المقال والعنوان الصحيح).. كان ذلك تعليقاً على مقال الأحد الماضي بعنوان: (تخبط وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية).. بتاريخ (25-5-1431) الموافق (9-5-2010) العدد (13477).

♦ كما ترون.. رأي.. ورأي آخر.. لا يهم ذكر الأسماء.. قد تكون صحيحة.. قد تكون مستعارة.. المهم ما ورد في تلك الرسائل من ملامح الاختلاف والتنافر.. في الرسالة الثانية كلمة (شكراً).. ثم طرح الرأي.. في الرسالة الأولى طرح الرأي مباشرة.. دون سلام وتحيات.. يعني أن كاتبكم أمام شخصيتين بملامح استنتاجية مختلفة.. كل واحد في موقع مختلف.. رغم كونهما على ظهر قارب واحد.. سأترك الرسالة الثانية.. لن أتحدث عنها.. واضحة في أبعادها.. لكن الرسالة الأولى تمثل صورة نمطية لحياتنا الفكرية.. حيث يتم طرح الرأي الآخر في كبسولة كلمات معدودة.. استنتاجات لا يتم توضيحها لدعم الرأي الآخر.

♦ ما هي دلائل التحامل التي يقصدون.. وأيضاً لم يوضحوا نقاط



الاستفزاز.. ثم قالوا إن المقال غير بنّاء.. كيف توصلوا إلى هذه التوليفة العربية.. لماذا لم يطرحوا براهين هادفة لدعم رأيهم؟!

طرح الرأي مهم.. الجميع يتعلم من الجميع.. سواء اتفقت أو اختلفت مع الرأي.. الرسالة الثانية كما ترون كان طرحها إيجابيّاً مع المقال المذكور.. لكن الرسالة الأولى تحتاج إلى وقفة.. لديه رأي آخر.. أعطى فرصة أخرى لكاتبكم لمواصلة المرافعة دفاعاً عن المياه الجوفية.

هل يمثل رأي آخرين أحجموا عن الإفصاح؟!.. الهدف من إثارة الموضوع ليس إقناعهم.. ولكن لتوضيح جزء من معالم مدينة مفقودة.. مدينة غابت عن نظر البعض.. خلف تلال تطبيل الإنجازات الزراعية.. هكذا تلاشت مع الريح.. هل شخصية صاحب الرسالة الأولى.. تعطي أحكاماً وفقاً لقانون الانطباع؟!.. شخصية تتهم.. ثم تحلل لنفسها ما تحرمه على الآخرين.. شخصية تتأثر بردة الفعل.. وتتوقف دون مرافعة.. وهذا نهج حياة عند البعض.. شخصية ترى الملامح خالية من الأخطاء.. ولها أيضاً حق أن تخطئ كما تشاء.. وليس من حق الآخرين مقاطعة خط بهرها الكاذب.

مثل هذه الشخصية.. وهذا سلوكها ونمط حياتها.. تنقاد خلف قوالب وجدت نفسها تبحر في موجة.. تقول ذلك القول.. ليس لأنها غير ناضجة.. وليس لأنها غير مسئولة.. وليس لأنها غير شريفة.. وليس لأنها فاسدة.. وليس لأنها جاهلة.. ولكنها شخصية لا ترى إلا بعين واحدة.. تفرض اتجاه الرؤية.. عين مفروضة.. يجب تصديق توجهاتها.

تقول الرسالة: (د.محمد لقد تحاملت كثيراً على وزارة المياه).. لا أدري ماذا يقصد بالتحامل الذي وصفه بـ(الكثير).. هل هذا بسبب دفاع كاتبكم عن المياه الجوفية؟!.. كاتب تلك الرسالة.. (شاف)

المقال.. لكن هل استوعبه؟!.. المهم هل يعرف أفعالهم مع المياه الجوفية؟!.. وزارات الاستنزاف والإهدار والزراعة العشوائية تحاملت (كثيراً) على البلد.. وليس كاتبكم المتهم.. تحاملوا على المياه الجوفية وعلى الأجيال القادمة.. هذه الوزارات استنزفت مياه البلد الجوفية بشكل عشوائي وجائر.. وما زالوا.. هذه الوزارات تتعامل مع المياه الجوفية.. وبدون خطط علمية.. وكأنها جزء من موجودات حراج ابن قاسم الشهير بالرياض.. موجودات (خردة) ليس لها قيمة.. الحقائق تقول ذلك.

• بجهودهم غير المسبوقة.. ولأسباب أصبحت معروفة.. أصبحت المساحة المزروعة في المملكة تفوق المساحة المزروعة في مصر هبة النيل.. هل اعتقدوا أنهم بالمال سيشترون البيئة وعوامل المناخ؟!.. كانوا يعرفون أن البلد صحراوي.. كل الخرائط المحلية والعالمية.. تقول بذلك.. وأيضاً ماضيهم القريب.. وحتى جيناتهم المحلية تعرف ذلك.. تصرفهم هذا أكبر بكثير من معنى التحامل على البلد.. هو فعل.. وليس قولاً.. هل هو جريمة؟!

• وصلوا بإنتاج القمح إلى مصاف (4) ملايين طن في موسم واحد.. في وقت كان البلد يستهلك حوالي المليون طن فقط.. نسأل: هناك فائض بلغ (3) ملايين طن.. لماذا؟!.. أليست هذه الكمية مياهاً جوفية مهدرة؟!.. تصرفهم هذا أكبر بكثير من معنى التحامل على البلد.. هو فعل.. وليس قولاً.. هل هو جريمة؟!

• ثم يأتون اليوم وبعد جفاف مياه الأرض الجوفية.. ليعطوا لنا دروساً وعظات.. لإقناعنا برفض ما فرضوه علينا.. لإقناعنا بحقائق علمية تجاهلوها.. لإقناعنا بأنهم أبرياء ومخلصون.. يريدون أن ينسلّوا.. كالشعرة من العجين. ...✍

72

بحسابات وزارة المياه والكهرباء.. نجد العجائب.. أرقام يصعب على العقل البشري تخيلها.. وتحليلها.. واستيعابها.. حتى الحاسبات الإلكترونية تنفصم أعصابها.. وتقف عاجزة حائرة.. عن إيجاد تفسير لها.. ينشرون معلومات.. كلها إرباك وقلق غير حميد.

كمثال: الحقيقة أن كمية إنتاج (القمح) الفائض عن استهلاك البلد بلغ في إحدى المراحل (3) ملايين طن.. هذا الفائض استهلك من المياه الجوفية أكثر من (5) مليارات متر مكعب.. رقم فلكي.. يمثل ضياعاً للمياه الجوفية النادرة والشحيحة.. هل كان ذلك بسبب أسعار الضمان.. أم فورة الإخلاص؟!

لكن بحسابات وزارة المياه.. نقف على رأس هرم العجائب والإرباك.. فهي تقول إن استهلاك الكيلو جرام من القمح يصل إلى (1800) لتر من المياه الجوفية.. وإذا كان سعر لتر (قنّينة) الماء في أقرب (دكان) أمامك.. يساوي ريالاً واحداً .. فإن هذا يعني أن تكلفة المياه التي استهلكتها تلك الكمية الفائضة من القمح تعادل (5000) مليار ريال.. مع هذا الرقم، هل لدينا القدرة على لجم الأعصاب؟!

لكم أن تحسبوا نصيب كل مواطن من هذا المبلغ الفلكي.. هكذا

ذهبت ضحية لقمح فائض عن احتياجنا.. وفي موسم واحد.. ضرب من الجنون غير المباح.. اليوم يفصحون عن اهتمام بدون فعل.. وبعناوين تثير التساؤلات والعجب.. مسكين هذا المواطن.

هل هذا ما تريد توضيحه وزارة المياه؟!.. عند التعامل مع الزراعة تسقط حسابات الوزارة تلك.. وسيشرح كاتبكم السبب في مقال قادم.. على وزارة المياه منع هذا التهريج في إعلاناتها الإرشادية.. ثم يأتي من يقول إن الكاتب متحامل على الوزارة.

انظروا تاريخياً إلى ماذا كانت تقول وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية: [تبين الأرقام مدى نجاح وزارة الزراعة والمياه.. في تحقيق.. الاكتفاء الذاتي من القمح.. والذي اعتبر بحق تجربة رائدة.. استحقت عليها المملكة بجدارة.. تقدير دول العالم.. ممثلة في منظمة الأغذية والزراعة الدولية].

يتحدثون هنا عن الاكتفاء الذاتي.. فلماذا كل تلك الزيادة المفجعة؟!.. لاحظوا الكلمات: (بجدارة).. (تقدير).. [تجربة رائدة].. هكذا كانوا يصفون أنفسهم.. أما (تقدير دول العالم) فتلك حكاية أخرى.. شبعنا من ترويجها.. يا غافل لك الله.

أقنعوا الكثيرين أنهم أهل للتشجيع والاهتمام.. لكن هناك سؤال بسيط.. لماذا أخضعتم البلد.. ومصالحه.. ومستقبله.. للتجربة؟!.. أي ضمير هذا الذي يخضع بلداً للتجربة؟!.. هل كنتم في (حراج) أم في وزارات؟!

كان يجب أن تكون كل الخطوات محسوبة.. وفقاً لاستراتيجيات.. وخطط.. وبرامج.. تضمن تحقيق الأهداف واستدامتها وسلامتها..

جيلاً بعد آخر.

تناسيتم وتجاهلتم خطط التنمية.. لجأتم إلى منظمة الأغذية والزراعة (الفاو).. لماذا؟!.. هل لأنكم تعرفون أن توجهاتكم اجتهادات وتجاوزات وتجارب؟!.. هل كنتم تبحثون عن غطاء يجيز لكم اندفاعكم المحموم؟!.. هل (الفاو) على الطلب؟!.. منحتكم التشجيع.. والتبريكات.. والدروع.. ولكن هل فكرت (الفاو) في مستقبل ومصير مياه البلد الجوفية؟!

هكذا استظلت وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية بظل (الفاو).. تجاهلت وبشكل صارخ خطط التنمية.. تجاهلوا مستقبل البلد.. هل ما زلتم تستظلون بالظل المشبوه لـ(الفاو) و(طقتها).. أطالب بمحاكمتها.. إلا إذا كان هناك ثمن.. مقبوض.. من أجل إعطاء وصفة انتحار.. وتلك كارثة أخرى.

بالتأكيد، لديهم خرائط الحقائق البيئية والمناخية.. لا نريد الآن معرفة موقف المنظمة العالمية بعد جفاف المياه الجوفية.. وبعد توقف زراعة القمح الذي كلف الدولة أكثر من (70) مليار ريال.. (بخلاف (أثمان المياه الجوفية الخرافي.

لا نريد معرفة رأيهم.. أكلنا المقلب والخسائر.. (بلّينا) شهاداتهم في الماء وشربناها.. أليس تصرف هذه الوزارات أكبر بكثير من معنى التحامل على البلد.. هو فعل.. وليس قولاً.. هل هو جريمة؟!

في مرحلة من مراحل الاندفاع العشوائي وصل استهلاك محاصيل القمح والشعير والأعلاف إلى أكثر من (17) مليار متر مكعب من المياه الجوفية غير المتجددة سنويّاً.. وكتبت عن ذلك الاستنزاف

الجائر.. ولكن صوت المصالح.. طغى على صوت أكاديمي نكرة في عالم الحيتان.. يقولون: ما عنده سالفة.. وما زالوا.

الأدهى والأمر.. أن الخطة الثانية عام.. (1975) نادت بعدم السماح بزيادة استعمال المياه في الأغراض الزراعية.. إلا إذا ثبت أن مثل هذه الزيادة تحقق المصلحة العامة على المدى الطويل.

هكذا قالت بكل وضوح.. لماذا تجاهلت وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية خطة التنمية الثانية؟!.. ما زالوا يتجاهلون.. ثم يأتي من يقول إن الكاتب متحامل على هذه الوزارات. ...

73

في أول تسعينيات القرن الماضي.. وبصوت عال.. وضّح كاتبكم أن استهلاك القمح من المياه.. وفي موسم واحد.. فاق ما تنتجه محطات التحلية لمدة تزيد على (17) سنة.. ومع ذلك.. أذن طين وأخرى عجين.. حتى وإن لم يصل الصوت.. هناك أساسيات واضحة تم تغييبها.. وهناك أصوات أخرى كانت تنادي.. أهمها استغاثة المياه المهدرة.

هل ما زلتم تتهمون الكاتب بالتحامل.. والاستفزاز؟!.. وزارات غيبت خطط التنمية.. دون خوف ورهبة من سوء الخاتمة.. جعلوا البلد يعاني هبوطاً حادّاً.. في مستوى مخزون المياه الجوفية.. ثم يدعون أن هناك تحاملاً واستفزازاً في مقال كاتبكم.. ويضيفون أنه غير بنّاء.. ذلك كان رأيهم.. لكن ما حكمهم على تجاهل خطة التنمية الثانية (1975)؟!.. نادت: (بعدم السماح بزيادة استعمال المياه في الأغراض الزراعية.. إلا إذا ثبت أن مثل هذه الزيادة تحقق المصلحة العامة على المدى الطويل).. هل من تفسير لتجاهل وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية؟!

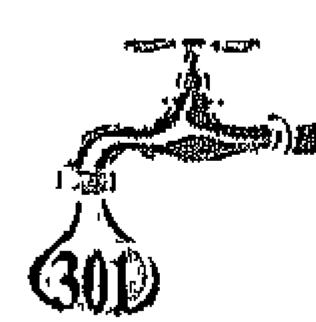
لم تترك الخطة الأمر عائماً في الفراغ.. لكنها ولتحقيق ذلك طالبت: (بضرورة إعداد خطة وطنية للمياه).. هل من تفسير لتجاهلهم المستمر حتى اليوم؟!.. تجاهلت الوزارات المعنية التحذيرات



والخطوط الحمراء.. وحتى اليوم لم تعمل هذه الوزارات على تحقيق حماية المياه الجوفية.. أليس تصرفهم أكبر بكثير من معنى التحامل على البلد؟!.. هو فعل.. وليس قولاً.. هل هو جريمة؟!

دعت خطة التنمية الثالثة (1980).. إلى المحافظة على المياه الجوفية.. ولكن العكس هو الذي حصل.. حيث زادت مساحات القمح المزروع من (200) ألف هكتار مع بداية الخطة إلى (600) ألف هكتار في نهاية الخطة.. لماذا؟!.. ليت الأمر توقف عند ذلك الحد.. إلى خطة التنمية الرابعة (1985).. حيث نبهت إلى أن معدلات استهلاك طبقات المياه وصلت إلى مستويات حرجة.. وطالبت باتخاذ إجراءات فورية.. ومع ذلك، استمر الاندفاع العشوائي.. لتصل مساحة القمح مع نهاية الخطة.. (1990).. إلى أكثر من مليون هكتار.. لماذا؟!.. هذه حقائق.. ليست ضرباً من ضروب التحامل.. هذه التصرفات أكبر بكثير من مجرد التحامل على البلد.. وهذه الحقائق أمامكم.. ليس فقط مع القمح.. هل ما زال البعض يعتقد أن كاتبكم متحامل على وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية؟!.. القمح مثال فقط.. وهناك شواهد أخرى.

مقال الأحد بتاريخ (25-5-1431) الموافق (9-5-2010) العدد (13477).. بعنوان: (تخبط وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية).. وصفوه بأنه استفزازي وغير بنّاء.. الحقائق التي وردت في المقالات.. توضح أن تصرف هذه الوزارات.. أكثر من استفزازي.. فهل كان تصرفهم بنّاء؟!.. بالتأكيد تصرفات وزارات الاستنزاف والإهدار ليست موجهة لفرد محدد.. لكنه استفزاز موجه لبلد.. موجه لأجيال.. موجه لمستقبل.. موجه لأمة.. تصرفات تلك الوزارات لطمة مستمرة على خد كل مواطن.. وجرح لا يستحقه الوطن.. وندبة مؤلمة في وجه المستقبل.. أمّا الحكم بأن المقالة غير



بنّاءة.. فهذا يعود إلى قواعد وبيانات اللعبة عند هذه الوزارات وعند المطبلين.. سواء بحسن نية.. أو سوء نية.. لمصالح تفرض التحامل على الحقائق.. ليس من حق كاتبكم مناقشة حكمهم.. الحكم ليس رأياً.. الرأي يناقش.. الأحكام ماضية للتنفيذ.. وقد حكمتم بأن المقال غير بنّاء.. في ظل كل المؤشرات والحقائق.

هكذا تعمل عوامل التعرية.. ومع ذلك يرى البعض أن نتائج نحتها.. فن ذو قيمة عالية.. حتى وإن كان هذا النحت في جسد البلد والبشر ومشاعرهم.. وأيضاً في مستقبل الأجيال.. لكاتبكم حق إعادة دفة سؤالهم إليهم.. هل تصرف وزارات استنزاف وإهدار المياه الجوفية بنّاء؟!.. ما الإجراءات التي اتخذتها هذه الوزارات لحماية مياه البلد الجوفية؟!.. ما المشاريع التي تبنتها لتغذية المياه الجوفية؟!.. هل أصبحت (شغلتهم) البحث عن المزيد من الموارد المائية؟!.. لماذا لا يحافظون على الموارد المائية المتوفرة؟!

لا نطلب من الوزارات المعنية المستحيل.. نعرف أن كل شيء أصبح من الماضي.. ولا يمكن استرجاع المياه التي تم استنزافها وإهدارها.. نعرف ذلك.. ونعرف أن البلد تعرض للخسائر المالية أيضاً.. ونعرف أن مشاريع القمح كانت مهزلة.. وأيضاً جميع مشاريع الاستثمار الزراعي.

نعرف أن التاريخ عبر ودرس.. كنتيجة، لا بد من الوقوف على ملامح الماضي.. ليس بهدف البكاء.. ولكن بهدف التصحيح.. والتغيير.. والمحاسبة.. الوقوف على ملامح الماضي.. بجانب الضمير الحي.. يحمي الحاضر.. ويعزز المستقبل.. ويظل مستقبلنا مرتبطاً بالحفاظ على المياه الجوفية. ...

74

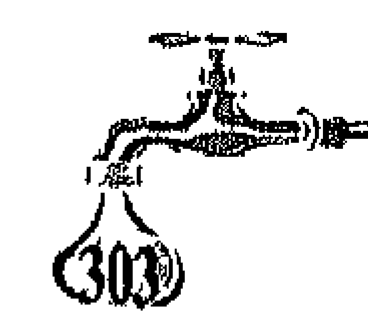
في كل يوم.. يتم اكتشاف خيط.. في مسلسل استنزاف وإهدار المياه الجوفية.. أسسوا لجسم غريب يطلقون عليه.. اللجنة الوطنية الزراعية بمجلس الغرف السعودية.. هل من مهامها الدفاع عن استنزاف وإهدار المياه الجوفية؟!.. مصالحها أولاً.. مصالح المواطن والوطن ليست من اختصاصها.. رغم التشدق بالعزف على هذه النغمة البائسة.

في خبر جريدة اليوم.. بالملحق الاقتصادي.. تاريخ (5-7-1431) الموافق (17-6-2010).. العدد.. (13516).. ما يوحي ببدء مرحلة جديدة.. من الحرب ضد وزارة المياه.. فقط لأن الوزارة سعت إلى توعية المواطن بفحش ما يفعلون.

نعرف أن وزارة المياه ورثت حملاً ثقيلاً من الوزارة السابقة.. وما زالت تعاني من هذا الحمل الجائر.

رجال أعمال وظيفتهم استنزاف وإهدار المياه الجوفية.. هل وزارة المياه عاجزة عن ردعهم؟!

المشكلة أن وزارة الزراعة ما زالت تقوم بدور سلبي.. لا يعطي للمياه الجوفية أي قيمة وشأن.. وهي التي تحمي.. وتلمّع.. وتدعم نشاطهم الخطير.. رسمتهم دون مسؤولية وخوف.



- هل حان الوقت لإيقاف تهور وزارة الزراعة و(مجموعتها) مع المياه الجوفية؟!

- انظروا إلى ماذا يقولون في بيانهم.. لا يخلو من المغالطة.. والتحدي.. والغطرسة.. وحب الذات.. البيان فضيحة بكل المعايير التي تعمل لغير مصلحة المياه الجوفية.. ولغير مصلحة الوطن والمواطن.

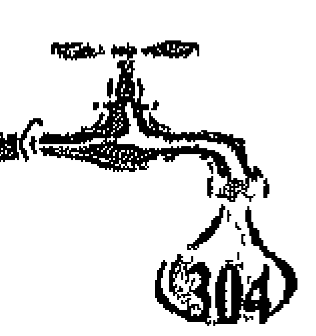
- جعلوا الزراعة كمهنة تتقلص.. وتنتهي في بعض المناطق.. هاجر المزارعون إلى القطاعات الأخرى.. للبحث عن حياة أفضل.. في ظل تجاهل الوزارة الواضح.. من بقي منهم في القطاع الزراعي.. ما زال كما كان قبل نصف قرن.. بمعاناته وقلة حيلته.. ومكابدته.

- نحن لم نرث الأرض.. نحن مستأمنون عليها.. لكن وزارة الزراعة قامت بتوريث الأرض والمياه الجوفية لحفنة من رجال الأعمال.. متناسية خطورة هذا التوريث.. أصبحوا جسماً شاذّاً لاستنزاف المياه الجوفية وإهدارها.. جسماً يكتنفه الطمع والجشع على حساب المياه الجوفية.

- اليوم يتنادون في لجنتهم.. لحماية أنفسهم.. متناسين نتائج أعمالهم.. واستثماراتهم السلبية على المياه الجوفية.. وعلى مستقبل الوطن والمواطنين.. صحيح اللي اختشوا ماتوا.

- هؤلاء المستثمرون في القطاع الزراعي كانوا يدركون.. أن وجودهم في القطاع الزراعي يشكل خطراً على المياه الجوفية.. وأن بقاءهم يتوقف على حماية وزارة الزراعة.. كنتيجة تنادوا.. أسسوا لجنة لحماية نشاطهم الزراعي.. هي اللجنة الوطنية الزراعية بمجلس الغرف السعودية.. هل تتحول إلى مخلب؟!

- انظروا إلى ماذا يقولون في اجتماعهم الأخير في الرياض..



(لاحظت وجود حملة إعلانية مكثفة تتبنى فكرتها ورعايتها إحدى الجهات المختصة تركز على مسألة الاستهلاك الزراعي بشقيه النباتي والحيواني للمياه).

هكذا وبكل بجاحة.. يعترضون على الحملات الوطنية الإرشادية التي تحاول تعريف المواطن بأبعاد ما جنته وزارة الزراعة.. ومجموعتها من رجال الأعمال.

تخيلوا الاستهجان وهم يقولون: (إحدى الجهات المختصة).. تجاهلوا ذكر وزارة المياه.

واصل بيان اللجنة الوطنية الزراعية التحدي للوزارة وللمواطنين.. (إن اللجنة ترى أن مثل هذه الإعلانات قد تؤدي لنتائج سلبية تؤثر على المواطن وتثير مخاوفه على مستقبل المياه بشكل مبالغ فيه وربما تدفعه عن غير قصد لشراء المنتجات الغذائية المستوردة وهو ما يتعارض مع مصلحة الاقتصاد والوطن والمواطنين).

أنتم آخر من يتحدث عن مصلحة الاقتصاد والوطن والمواطنين.. أنتم لا تعرفون إلا مصالحكم.. هكذا يقول بيانكم المتطاول على وزارة المياه.. وعلى المواطنين.. وعلى الوطن.. وعلى الأجيال القادمة.. أنتم أداة استنزاف وإهدار للمياه الجوفية.

يطالبون الجميع بالسكوت.. والخضوع.. والخنوع.. من أجل مصالح يرونها فوق مصلحة الوطن والمواطنين.. هذه من نتائج أفعال وزارة الزراعة. ...

75

♦ كتبت أكثر من مائة مقال علمي عن المياه.. وسأظل أكتب عن خطورة الاستنزاف الجائر.. سواء على المياه الجوفية غير المتجددة.. أو المياه الجوفية المتجددة.. في مناطق الدرع العربي.. ولكن نظرية (زامر الحي لا يطرب).. تطغى على كل قول.

♦ وهناك أصحاب الحل والربط في قضايا المياه العربية.. يؤثرون في قوة وصلابة (صواميل) العقل والمنطق.. وأيضًا العلم النافع.. هل يرونه عاهة؟!.. هل وضعوه خلف الظهر؟!.. تجاهلوا أن نهاية التجاوزات فشل وندم ولو بعد حين.

♦ ليس هذا هجومًا على أحد.. لكنه أحد أنواع الدفاع عن مياهنا الجوفية الثمينة.. كاتبكم يطرح رأيًا في كلام.. وكل رسائلي كلام واضح.. يعبر عن رأي.. وهدفه النداء لمن يترجم الكلام إلى معنى مفهوم وأيضًا واضح: المياه الجوفية بحاجة إلى حماية.

♦ الذي تقرؤونه الآن عبارة عن حروف عربية.. (كتابة).. هي رموز (شفرة).. يسهل عليكم كعرب، تحويلها إلى معنى ومعلومات واضحة ومفيدة.. إلا إذا كان هناك إعاقة عقلية تقف مانعًا حيال التحليل

والاستنتاج المفيد.

البعض لا يرى أهمية الحديث عن المياه الجوفية.. لا يتفاعل مع الكتابة عنها.. يرون أن هناك أمورًا أهم من المياه.. ومع ذلك لا يستطيع أي فرد أن يستغني عن (كوب) ماء عند العطش.. ولا حتى بيعه بأغلى الأثمان.. تناقض عجيب.. لا يدل على وجود حكمة عند هذا البعض.. وللتأكيد لم أمل.. ولن.. أملّ الحديث عن الماء.

أدعوكم للتفكير بجدية في عواقب استنزاف مياهنا الجوفية.. التفكير في مصيرها.. في ندرتها.. في أهميتها.. في استنزافها الجائر.. في سوء إدارتها واستعمالها.. في تلويثها وفي إهدارها دون مسؤولية.

هل وصلنا إلى هذا الحد من اللامبالاة عند التعامل مع هذه الثروة الطبيعية العظيمة النادرة؟!.. السؤال المهم.. لمن يكتب كاتبكم؟!.. ومن يطرب لكتاباته عن المياه؟!

يطرب للكتابة عن الماء أناس لهم شأن مختلف.. مفهوم مختلف.. لهم حسابات مختلفة.. بعيدًا عن حسابات لعبة (البلوت).. في مجالس النخبة المتربعة على منصّات أوراق اللعبة.. ترى ما لا نراه.. وتعرف ما نجهله.. والمؤسف أن لكل لاعب حساباته الخاصة في اللعبة.. ويظل اللاعب جزءًا من اللعبة.

في مجال الماء، هل يرون ما لا يراه الواقع ؟!.. هل يرون أنهم فوق المنطق وحسابات العلم والبيئة؟!.. هل يرون أن كل شيء خارج مجال رأيهم وفكرهم، ليس بذي شأن؟!.. هل يرون كتابات كاتبكم عن الماء زوبعة في (فنجان)؟!

يرون الكتابة عن المياه (هرطقة).. لعقل يتهمونه.. لا يفهم في مجال رسم مصالح الوطن كما يرونها.. ويضيفون.. أنه لا يعي أبعاد نتائج الأشياء من وجهة نظرهم.. في النهاية أقول للجميع: لا يصح إلا الصحيح ولكن بعد خسائر كبيرة.. ومع ذلك لديهم تبريرات لكل شيء.. لكل نتيجة.. ولكل مؤشر فاضح.

هناك بشر يعتقدون أنهم نادرو الوجود.. منحهم الله الحكمة.. والإخلاص.. والتضحية.. والرؤية الصحيحة.. يعتقدون أن قدراتهم ساعدت على استنزاف المياه الجوفية العميقة.. يرون أنهم استخرجوها من باطن الأرض.. وكانت بعيدة المنال على (شنبات) المواطن.. فلماذا الضجر؟!.. هكذا قناعتهم؟!

يرون أن لهم الفضل والمنّة.. خاصة في ثراء وغنى البعض من خلال استنزافهم للمياه الجوفية.. لا ننكر ادعاءهم.. ادعاء يعبر عن أهميتهم عند أنفسهم.. لكن كاتبكم يؤكد أن أصحاب هذه النظرة يشكلون خطورة على هذه الثروة المهمة في هذه البلاد الصحراوية الجافة.. ويشكلون تهديدًا مفزعًا لمستقبل الأجيال القادمة.

كاتبكم يرى ذلك الاستنزاف جزءًا من فساد كبير خارج عن المألوف.. خارج عن قوانين الطبيعة وتوازناتها.. فهل تستطيع الوزارات المعنية أن تشرح لنا أين ذهبت المياه الجوفية خلال السنوات الماضية القريبة؟!

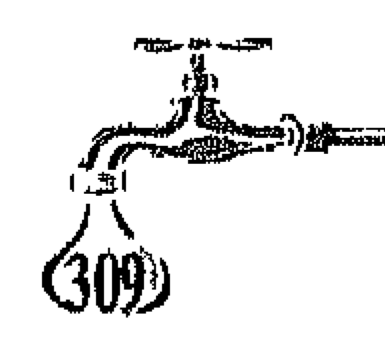
بطريقة أخرى يدركون أبعادها.. أين ذهبت المليارات التي صرفت على الزراعة؟!.. من هم الذين استفادوا بطريقة مباشرة من المعونات

والقروض الحكومية؟!.. كم نصيب المزارعين الذين كانوا يمتهنون الزراعة كمهنة؟!

هناك أسئلة كثيرة قادمة ذات علاقة بوضع التخبط الزراعي والمائي أهمها: لماذا تستغل المياه لتبرير الأهداف الزراعية المشؤومة على مستقبل المياه الجوفية؟!

إذا كان الحصول على أموال الدولة بطريقة سهلة.. يمثل محور الشر في هذه الزراعة.. فهل انتهى هذا الشر؟!.. أم أن التوسع في البحث عن المزيد ما زال قائمًا وبطرق شتى؟!

يستنزفون المياه الجوفية ثم يتشدقون بعكس ما يجري.. أليس هذا هو العبط؟!. ...



76

● ما زلنا نمارس خداع النفس.. خداع الواقع البيئي الذي يفرض نفسه.. نتجاهل حقائق ومعلومات علمية.. ننسى أعرافاً إنسانية تحترم الماء.. نتغاضى عن رؤية مؤشرات مهمة.. لا نقرأ تأثير مشاهد الجفاف.. واقع يعكس التعسف والجبروت والأطماع والغفلة.. واقع جغرافي في نفهمه.. يتطلب تحكيم العقل والجدية.. وكبح نزوات المصالح الآنية العمياء.

● ما زلنا نتجاهل خطورة استنزاف المياه الجوفية.. نتجاهل تأثير هذا الاستنزاف القاسي على البلاد.. وعلى العباد.. وأيضاً على الأجيال القادمة.. خطورة الوضع تعطينا مجالاً واسعاً للقلق.. الوضع يتطلب هيبة وصلابة رأس.. يقف في وجه تجفيف المياه الجوفية.

● لم نتعظ من تجربة زراعة القمح.. تجربة مريرة.. استنزفت المياه الجوفية.. كانت تجربة أهدرت المياه الثمينة خلال سنوات معدودة.. استنزفتها رغم الأصوات التي كانت تنادي بالتعقل.

● لم نتعظ أيضاً من تجربة زراعة الشعير.. حيث زاد الطين بلّة.. عبط استنزاف المياه الجوفية كان مفزعاً.. لم نتعظ حتى من زراعة الأعلاف المجنونة.. ساهمت هي الأخرى في استنزاف مياهنا الجوفية.

● الكل كان مشغولاً بصراخ الإنجازات الزراعية وتلميعها.. كأن المياه الجوفية نكرة.. زخم حمى تسابق الحصول على الثروات المالية..



على حساب المياه الجوفية.. كان أعظم.

المصيبة أننا نبرر.. وبصورة متقنة.. استنزاف المياه الجوفية.. مبررات نتخيلها.. نصنعها.. نصقلها.. نعلبها في قوانين وأنظمة.. نبارك اعتمادها.. ونسوقها في قوالب إنجازات.. تقود إلى نسيان أمر المياه الجوفية.. تزيد من حيرة أمثالي.. ننسى أن الوضع المائي حرج وخطير ومقلق.

جهات مسئولة.. متسلحة بأهداف متناقضة ومصالح متضاربة.. كل نشاطها يتمحور حول المزيد من استنزاف المياه الجوفية وبشكل جائر.. لماذا يصل الأمر إلى هذه الدرجة من الفحولة المهلكة؟!

في خضم هذا القلق.. هل كاتبكم المخلص الوحيد.. الذي يقلقه وضع المياه الجوفية؟!.. بالتأكيد لا.. الفرق أن هناك من هو مشغول باستنزاف المياه لتحقيق مصالح آنية.. يصعب على أمثالي لجمها.. هذا هو الفرق.

الوزارات المعنية صامتة.. وفي ظل صمتها.. هناك من يمد جذور التوسع في استنزاف المياه الجوفية دون حسيب ورقيب.. نطالب الوزارات المعنية بتوضيح خططها وأهدافها وبرامجها.. أيضاً أنظمتها التي تحمي المياه الجوفية من الاستنزاف.. نطالب بتصحيح الوضع لمصلحة المياه الجوفية.

الذي نلمسه لا يتعدى محض اجتهادات.. وتصاريح خجول غير ملزمة للجميع.. مع تأكيد وترويج لأهداف تتجاهل المياه الجوفية.. وتعزز زراعة محاصيل بشكل غير مدروس.. توسعت الأهداف لدرجة التصدير إلى الخارج.. كأننا بجانب جداول وأنهار وبحيرات عظمى.. أو أننا نزرع في مناطق مطيرة لا تعرف الجفاف والتصحر.

دعونا نأخذ مثالاً على ادعاء كاتبكم.. لنقف على أهداف تأسيس مصنع التمور بالأحساء التابع لوزارة الزراعة.. هذا المصنع نموذج يحرك محركات العجب والعجاب.. من الأهداف التي أنشئ من أجلها المصنع: (تشجيع المزارعين على الاستمرار في زراعة النخيل بسبب

ارتفاع التكاليف وقلة المردود).. هدف فضيحة يعبر عن تخبط.

- الهدف يتطابق مع هدف زراعة القمح.. حيث الادعاء بتشجيع المزارعين على زراعة القمح عن طريق شرائه من الدولة بمبلغ يفوق سعره العالمي.. والسبب ارتفاع التكاليف وقلة المردود.

- يعترفون من خلال رسم هذا الهدف بما هو أبعد.. حيث يواصلون الاعتراف علانية.. بقولهم: (تعويض المزارعين المنتجين لتلك النوعية من التمور المتوفرة لديهم بكثرة.. عن التكاليف الباهظة والتي تنفق على الإنتاج.. والتي تتساوى مع التكاليف المصروفة على إنتاج التمور الممتازة).

- لاحظوا كلمة (بكثرة).. وأيضاً (التكاليف الباهظة).. أي إن التوسع في زراعة النخيل عشوائي ليس له ما يبرره.. وأيضاً مكلف.. وزراعته غير اقتصادية.. هكذا يعترفون.

- هكذا تم تجاهل المياه الجوفية.. ما يهم الوزارة هو تعويض المزارعين عن خسائرهم بشراء منتجاتهم.. لتشجيعهم على الاستمرار في زراعة النخيل.. وهذا يعني تشجيعهم على استنزاف المياه الجوفية.. وهذه مباركة رسمية من الوزارة المعنية.

- حاول كاتبكم جاهداً أن يقنع نفسه بأهمية وجدوى مصنع التمور بالأحساء.. لم أقبل حقيقة أن هذا المصنع لتعبئة التمور كما تدعي وتروج وزارة الزراعة.. وكما تشير إليه طوابير السيارات المحملة بالتمور في ساحات المصنع.. الذي تبلغ مساحته (114000) مائة وأربعة عشر ألف متر مربع.

- نشاهد جحافل السيارات في كل عام حول المصنع.. ونقول هذا مصنع تعبئة التمور.. ولكنه في الواقع كابوس.. إذا نظرنا إليه من زاوية أخرى.. هذا المصنع في واقع الأمر.. يعلب المياه في (أكياس).. ويرسلها مجاناً إلى خارج المملكة. ...✍

77

الأوجاع والفواجع تجعلنا نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.. ونضيف: إنا لله وإنا إليه راجعون.. وعندما يستحيل علينا كبشر رد القضاء.. نوكل أمرنا إلى الله سبحانه وتعالى.. وفي أحوال كثيرة.. يستطيع الإنسان تجنب أوجاع.. وفواجع القضاء.. أقلها تجنب التهلكة.. بالبعد عن مسبباتها.. كنتيجة، هل نقود أنفسنا.. نحو تهلكة عطش استنزاف المياه الجوفية وإهدارها؟!

عندما نتحدث عن المياه تحت سطح الأرض.. لا نتحدث عن الغيب.. لا نتقول على الله.. هناك مؤشرات تدل على النتائج الحتمية.. إن الاستنتاج الذي يعتمد على معايير البحث العلمي يحدد التوقعات الصحيحة.

لم يأمر (سبحانه) أن نعبث بمواردنا المائية.. أمرنا بالعمل.. والبعد عن التهلكة.. أيّاً كانت.. ولتحقيق الغايات.. لا بد أن نأخذ بالأسباب.. ونحافظ على الأرض.. مع تجنب الرمي بأنفسنا في أحضان المهالك.

الماء قصة تطول.. وكما يبدو من المسارات.. النهاية مفجعة.. نحن لا نتحدث فقط عن شهامة ونخوة وفزعة.. نتحدث عن العقل الرشيد الواعي.. يعي أبعاد وخطورة الوضع.. نتحدث عن التجاهل..

والتخريب المتعمد.. والفساد والإفساد.. في النهاية، التهلكة التي لا نريدها.

- تحدثت في المقال السابق.. كمثال.. عن مصنع تمور وزارة الزراعة بالأحساء.. مصنع بمؤشرات مقلقة.. كأننا نغلف السم في ورق من ذهب.. نخدع أنفسنا.. نتجرعه مرتاحين.. أخص هذا المصنع لأنه حكومي.

- يدعي كاتبكم.. أن التمر عبارة عن ماء بكل ما تعنيه الكلمة.. يستنزفون المياه الجوفية لري النخيل.. إنتاجها يزيد على احتياجاتنا المحلية.. أصبح التمر جزءاً من تصدير المياه الجوفية.. وأداة لاستنزاف المياه وإهدارها.

- هل سألتم.. عن تكلفة كيلو التمر الواحد من المياه الجوفية؟!.. ابحثوا عن إجابة منطقية ترونها مقبولة.

- أصبح التمر يمثل تناقضات وزارة الزراعة.. تغلف المحذور في كلام معسول.. لنتقبله دون اعتراض.. انظروا ماذا يقولون عن مصنع التمور:

- (امتداداً للعطاء السخي.. من حكومة المملكة.. لقطاع الزراعة والمزارعين.. وتوفير أسس الدعم اللازم.. لتشجيع المزارعين.. على الاهتمام بزراعة النخيل.. وزيادة إنتاج التمور.. لما تمثله النخلة من مكانة خاصة.. لعموم مواطني المملكة.. فقد تمت الموافقة على أن يكون جزء.. من تبرع المملكة.. لبرنامج الغذاء العالمي.. عينيّاً على شكل تمور).

- كالعادة.. لم يدخل الماء في حساباتهم.

- شغلتهم المادة عن رؤية الحقيقة المؤلمة.. الناتجة عن استنزاف

المياه الجوفية.. النتيجة النهائية هي الجفاف والفشل الزراعي.

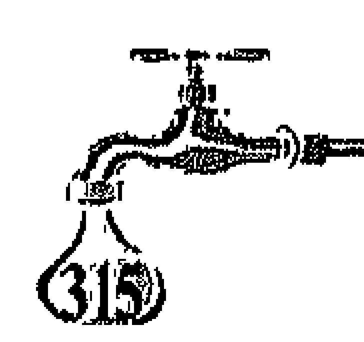
يحجبون الصور القاتمة.. لواقع استنزاف المياه الجوفية.. يمجدون للجميع.. زراعة خاسرة.. بكل المقاييس.. التباهي شعارهم.

يقولون: (المصنع.. وساحة كبرى للتصنيع.. تحتوي على ستة خطوط.. لتنقية التمور وغسيلها.. تتفرع إلى (12) خطّاً للتجفيف والوزن والتعبئة.. بالإضافة إلى وحدة أخرى لإنتاج العبوات الصغيرة المتفرغة من الهواء.. إلى جانب مكاتب للإدارة.. ومستودعين كبيرين.. سعتهما (9000) طن.. ومستودعات مساندة مبردة.. سعتها (5000) طن.. وثلاثة موازين للشاحنات المحملة بالتمور.. وكذلك عدد (22) غرفة تبخير.. طاقتها الاستيعابية (500) طن يوميّاً.. بالإضافة إلى ورش صيانة مختلفة.. ومسجد.. وغير ذلك من المرافق الهامة.. وتبلغ الطاقة الإنتاجية للمصنع من التمور المعبأة نحو (30) طنّاً في الساعة).

كالعادة.. لم يدخل الماء في حساباتهم.

يواصلون شرح الأهداف: (تحسين أوضاع السوق المحلية للتمور.. بسحب جزء من الفائض من التمر.. تقديم هذه التمور ذات القيمة الغذائية.. كتبرعات حكومية.. مباشرة.. على بلدان وجهات محتاجة.. داخل وخارج المملكة.. الاستفادة داخليّاً من القيمة النقدية.. التي كانت الدولة تدفعها لبرنامج الغذاء العالمي.. تعريف العالم الخارجي بإنتاج المملكة من التمور.. مما يساعد على إيجاد منافذ تسويقية خارجية لها.. إتاحة فرص العمل لتشغيل أعداد كبيرة من العمالة الوطنية في المصنع.. تشجيع الصناعات الوطنية.. حيث يتم تأمين جميع مستلزمات التعبئة من الإنتاج الوطني).

وكالعادة.. لم يدخل الماء في حساباتهم.

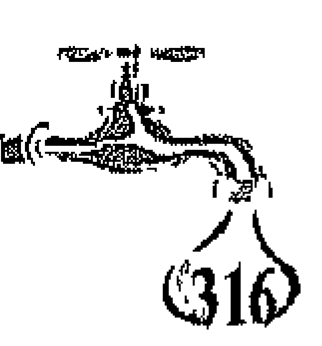


- يوضحون لنا الكثير من المعلومات التي تحجب الرؤية الصحيحة لوضع المياه الجوفية.. أهداف وتبريرات تدين أكثر مما تبرر.

- أن يرسل التمر إلى الخارج.. فهذا في غير مصلحة ترشيد واستغلال المياه الجوفية بطريقة مثالية.. نستنزف مياهنا الجوفية من أجل الآخرين.. هل هذا مقبول في ظل تلك التبريرات؟!

- بقي أن تعرفوا الفاجعة التي تتجاهلها البيانات.. إن كيلو التمر الواحد يستهلك كميات من المياه تعادل قيمتها حوالي (5000) ريال.. وذلك بسعر صناديق المياه على رفوف الدكاكين.. ويتضاعف المبلغ في بعض المواقع.

- زراعة عشوائية تستنزف المياه.. هل لديكم تفسير علمي لما يجري؟!. ...



78

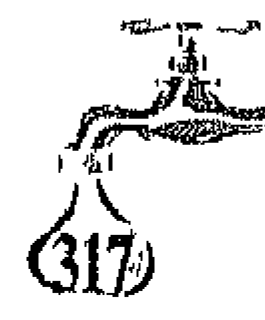
تدعي وزارة الزراعة اهتمامها بالزراعة والمزارعين.. كنتيجة، زادت سعر التمور الموردة لمصنعها.. من (3) ريالات إلى (5) ريالات.. لصنفي (الخلاص) و(الشيشي).. و(4) ريالات على صنفي (الشبيبي) و(الرزيز).. هذه الزيادة للمزارعين المطبقين لأنظمة الري الحديثة.. أما المزارعون غير المطبقين لنظم الري الحديثة.. فسيبقى سعر تمورهم لكل الأصناف (3) ريالات للكيلو.

في هذه اللوحة تشكيل عجيب من العجن واللت.. وأيضاً التناقضات والمغالطات.. وكسر (الخشوم).. وإعلان الفشل.. يمكن استنتاج الكثير.. هل هذا تشجيع؟!.. هل هذا سعر عادل ومنصف للمزارعين؟!

وبغض النظر عن الأمور الأخرى.. نتساءل هل هذا مبرر، ومجد لاستنزاف المياه الجوفية؟!.. هل هو مبرر كاف لإهدار المياه على نخيل تنتج تمراً هذا سعره ؟!.. ماذا عن الأصناف الأخرى؟!

شيء معيب أن يكون هذا مسلك وزارة.. مسئولة عن مورد بلد بكامله.. لماذا تبديد الموارد المائية بهذه الطريقة الهزلية؟!.. لا أقول هذا المصنع يستغل المزارعين.. لكن أدعي أن المصنع.. بجانب التوسع في زراعة النخل.. يمثل تناقضاً فاضحاً.. لا يحقق تطلعات ترشيد استخدام المياه الجوفية بشكل رشيد.

حتى في ظل اشتراط تطبيق أنظمة الري الحديثة.. الشرط عبارة



عن لي ذراع.. ليس بهذا الأسلوب يتم إقناع المزارعين.. لماذا استغلال حاجتهم.. وضعفهم.. وقلة حيلتهم؟!.. علميًا هذا التصرف غير مقبول.

- حتى سعر (5) ريالات غير عادل.. سعر لا يغطي ثمن مياه الري المستنزفة والمهدرة.. والتي تصل إلى (5000) ريال لكيلو التمر.. يعلبه المصنع.. ثم يذهب هبات.. هذا يعني تحميل المياه الجوفية المزيد من الاستنزاف والإهدار.

- للأجيال القادمة حق في المياه الجوفية.. ليس من حقنا استنزافها.. وإهدارها بشكل عشوائي.. كما قلت سابقاً.. نحن لم نرث الأرض لكننا مستأمنون عليها.

- كل الدلائل تشير إلى وجود خلل فاضح في تصرفات وتطلعات وزارة الزراعة.. يعني انعدام الإستراتيجية لهذه الوزارة.. كنتيجة ليس هناك خطة علمية.. كما يتضح هناك اجتهادات.. كيف نخضع مصالح العباد والبلاد للاجتهادات؟!

- تقول البيانات إن عدد النخل في المملكة وصل إلى (24) مليون نخلة.. هناك (نخلة) لكل مواطن ومقيم.. وهناك زيادة للأجيال القادمة.. الفاجعة، أن ثمن ما يستهلكه هذا النخل من المياه يزيد على (4000) مليار ريال سنويًا.

- تأتي المنطقة الوسطى.. (الرياض والقصيم).. في المرتبة الأولى.. بعدد يصل إلى (11) مليون نخلة.. يعني أن هذه المنطقة هي الأعلى في استنزاف المياه الجوفية.. فهل هذا التوسع في زراعة النخل يحقق الجدوى من زراعته؟!

- تأتي المنطقة الغربية.. (مكة والمدينة).. في المرتبة الثانية.. بعدد يصل إلى (5) ملايين نخلة.. ثم المنطقة الشمالية.. (الجوف، حائل، تبوك).. في المرتبة الثالثة بعدد (3.5) مليون نخلة.. ثم المنطقة الشرقية.. في المرتبة الرابعة بعدد يصل إلى (2.5) مليون نخلة.. وأخيراً المنطقة

الجنوبية.. (جيزان، عسير، الباحة، نجران).. بعدد مليوني نخلة.

كنتيجة.. نجد أن النخيل المزروع في مناطق الصخور الرسوبية.. التي تعتمد على المياه الجوفية غير المتجددة.. يصل إلى أكثر من (70) بالمائة.. وتستأثر منطقة الدرع العربي.. التي تعتمد على المياه الجوفية المتجددة بباقي النسبة.

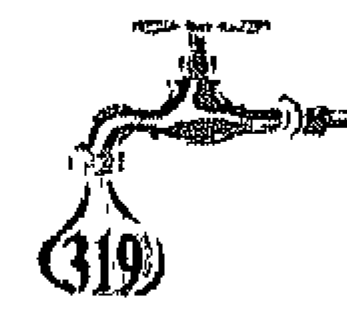
إذا كان الهدف كما تدعي وزارة الزراعة هو مساعدة المزارعين.. فهل هذه هي الطريقة الرشيدة؟!.. المزارعون بهذا الطرح.. لا يحصلون إلا على الفتات.. بينما الضحية الأهم.. تتمثل في المياه الجوفية الثمينة.

هناك أكثر من طريقة لمساعدة المزارعين.. وفي حال عجزت وزارة الزراعة عن تقديم المساعدة المثالية.. التي لا تؤثر على المياه الجوفية.. يمكن دفع هذا السعر للمزارعين مجاناً.. ومدى الحياة.. دون زراعة كل هذا النخل.. الحفاظ على المياه الجوفية للأجيال القادمة مطلب.. عجز وزارة الزراعة واضح.. بجانب استنزاف المياه الجوفية.. وفي ظل واقع زراعي.. تقوده وتشرف عليه.. بجانب سوء التسويق أيضاً.

عجز وزارة الزراعة عن إيجاد حلول لمشكلات المزارعين.. ومنها سوء التسويق.. يجعل الوضع الزراعي متخبطا.. وبمشكلات لا حصر لها.

بدلاً من المساعدة في زراعة رشيدة مستدامة.. ومقتصدة في المياه.. وتسويق مسيطر عليه.. نجد أنها تستغل الوضع المتردي.. بشراء إنتاج التمور بـ(أبخس) الأثمان.. وهي تعلم وتعترف بذلك.. هل هذا التصرف مساعدة تدعيها الوزارة.. وتتشرف وتفتخر برصدها في سجلاتها؟!.. هل هذا تصرف رشيد وعادل؟!.

أن تعجز وزارة الزراعة عن حل مشكلات المزارعين.. وتلجأ إلى وسائل مضرة بالمياه الجوفية.. فهذا أقرب إلى الهدم منه إلى البناء. ...



مقالات 2011

إهدارنا لمياه الأمطار

79

في جريدة (اليوم).. الخميس (16 صفر 1423).. صفحة عزيزي رئيس التحرير.. كتب المواطن.. علي أحمد الغزال.. من الأحساء.. ردّاً على مقال سابق لكاتبكم.. بعنوان [دلالات عميقة].. بتاريخ الأحد (22-12-1413).. معلقاً.. على المقال المذكور.. بتساؤلات كثيرة ومهمة.. كان منها هذا السؤال: هل نترك نخيلنا تموت يا دكتور؟!

سؤال صعب وقاس على النفس.. سؤال يدمي ملامح التاريخ الزراعي المتوارث.. ويعكر رؤية المستقبل الزراعي.. وأيضاً يعبر عن الواقع الزراعي المؤلم.. ماذا تتوقعون أن يكون جواب كاتبكم؟!

نستطيع ترميم انكسار رؤيتنا.. ببعض الكلمات.. لدعم الأمل والحث على التفاؤل.. ولكن هناك واقعاً لا يعطي مجالاً.. إلا لذكر الحقائق المرة.. ولكي لا يقع كاتبكم في حبال الكذب.. بتجميل القبيح.. أحاول سرد مؤشرات نعيشها.. لكي نقف على الإجابة بكل وضوح.

وقبل الجواب.. أود توضيح بعض الملامح.. هناك خلط.. وأحياناً سوء فهم.. البعض لا يود أن يفهم إلا ما يرضيه.. ولا يرغب في تصديق الحقائق.. هذه الحقائق.. في أحيان كثيرة.. تشل قدرة الإنسان على الفهم.. لقوة الصدمة.. استنتاجاتهم متناقضة.. تحملهم في متاهات..

وسبب ذلك يعود إلى ارتباط الزراعة بالماء.

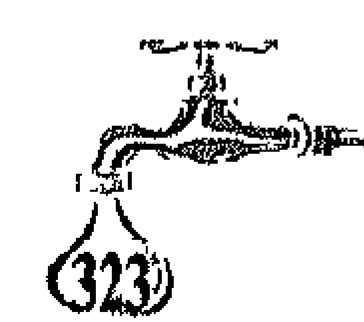
- نعرف أن الزراعة نشاط إنساني.. يتم توريثه.. ويصبح تراثاً يعبر عن أجيال.. أما الماء فليس للإنسان أي جهد في وجوده.. كنتيجة، يتجاهل الإنسان الماء وينشغل بنتائج جهوده.. وتعبه وشقاه.. المتمثل في الزراعة.. وهي جهود أجداده الذين مضوا.. يراهم في هذه الزراعة إنجازاً وقناعة.. كنتيجة يرتفع مثل هذا السؤال.

- نعرف أن النشاط الزراعي يعتمد كليّاً على الماء.. هبة الله سبحانه.. ليس له ثمن.. وليس للإنسان أي جهد في وجوده.. فقط جهود استخراجه من باطن الأرض لنروي نشاطنا الزراعي.. وبزيادة مساحة هذا النشاط.. نرفع من سقف استخدام الماء.. لري مساحات جديدة.. وفي مراحل الغباء.. يصبح هذا على حساب المياه.. وهذا جرم يرتكبه البشر بحق أنفسهم.. خاصة في مثل مناطقنا الجافة.. حيث الماء ندرة.. عبر تاريخ مسيرة الإنسان في ربوعها.

- إذا كانت الزراعة جهداً ومالاً يبذله الإنسان.. فإن هذا لا يتحقق إلا بوجود الماء.. كنتيجة يصبح الماء أرخص موجود.. ولكنه يصبح أغلى مفقود.. وعندها نقول: إذا فات الفوت لا ينفع الصوت.

- مع الزراعة هناك شروط لا يمكن تجاوزها.. منها البيئة والماء.. مع غياب هذه الحقائق عن البعض.. يظهر مثل ذلك السؤال الجائر على النفوس.. وبالتأكيد هذا السؤال مطروح.. لكن الأخ علي الغزال.. استطاع إيصاله إلى مسامعنا.

- ذلك التساؤل يمكن أن يرد مع أي مقال لكاتبكم عن الزراعة والماء.. للناس طرق مختلفة للفهم والاستنتاجات تتوقف على كثير من العوامل.. وفي معظم مقالاتي.. أخاطب واضعي الخطط والسياسات المائية والزراعية.. كنتيجة، قد يتم فهمها.. من آخرين.. بطرق مختلفة



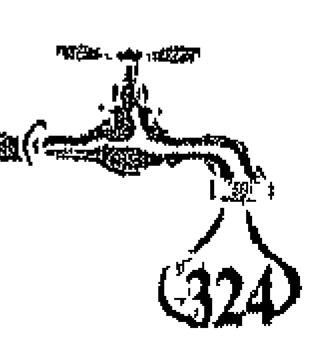
وفقاً لعوامل كثيرة.. وقد يكون هناك استنتاجات بعيدة عن المقال.. لكن الفكرة واضحة في أي مقال لأصحاب الشأن.. وأشكر المواطن علي الغزال.. على إثارة هذا السؤال.. على الأقل جعلني أعود إلى الكتابة عن المياه والزراعة.. للتذكير والتوضيح والتبيان والنصح.. وهناك حقائق يتم تجاهلها بغباء.. تزيد الأمور غموضاً وتعقيداً.

- من الحقائق الملموسة.. الواضحة.. التي بين أيدينا وأمامنا.. والتي لا يمكن لأي فرد التشكيك في صحتها.. يمكن استنتاج الجواب.. بل ويصبح سهلاً واضحاً كالشمس.. حتى وإن كان في مرارة العلقم.. الجواب: نعم نخيلكم ستموت.. مهنتكم الزراعية انتهت.. الخيار ليس بيدك.. أو بيدي،، أو بيد الوزارة.. أو بيد أي مخلوق.. الموضوع خرج من أيدي الجميع.

- وهناك من تسبب في الوضع.. هي قضية وقت فقط.. إن لم تتركها للموت فسيتركها أبناؤك.. أمر هذه النخيل أصبح عبئاً.. وحملاً ثقيلاً على المزارعين.. هناك أجيال جديدة سيكون لديها حسابات مختلفة.. وإليك يا أخ علي الغزال.. جزءاً من القصة.

- وزارة الزراعة خلطت الأوراق بشكل محير.. تجاهلت الأسر الزراعية التاريخية في جميع أنحاء البلد.. بل أذاقتهم مرارة التجاهل.. أضرت بهم ضرراً تاريخيّاً فادحاً.. لدرجة أن الزراعة كمهنة.. لم تعد موجودة أو أنها تحتضر.

- تخلى هؤلاء المزارعون عن مهنة الزراعة.. لعدم قدرتهم على المنافسة.. وهذا أمر ناتج عن تصرفات غير حكيمة.. وغير طبيعية.. من قبل الوزارة.. شجعت رجال الأعمال.. والشركات.. والمؤسسات.. على الاستثمار الزراعي.. على حساب مياه الوطن الجوفية.. والمهنة الزراعية لهذه الأسر.. ويستمر المقال بعنوان آخر. ...



80

بدلاً من حصر توزيع الأراضي البور.. والمعونات والقروض الزراعية.. على أصحاب الشأن والحق.. المزارعين الذين يمتهنون الزراعة كمهنة وحيدة.. وعلى خريجي كليات الزراعة.. تعمدت الوزارة توزيعها على رجال الأعمال.. وكبار الموظفين.. وأصحاب النفوذ.. من جميع المهن غير الزراعية.. اعتبرتهم مزارعين.. منحتهم الإعانات والقروض والتسهيلات.. وأسست الشركات والمؤسسات الزراعية.. ومنحتها مساحات واسعة من الأراضي.. في بلد جاف وصحراوي.. ليس أمامه سوى المياه الجوفية غير المتجددة.. فهل هذا تصرف رشيد؟!

وهذا النّهج.. كيف يستطيع المزارع.. مع تجاهل وزارته.. مواجهة هذا المد والطوفان.. الذي سحق ومحق من يمارس الزراعة كمهنة؟ خذلوهم.. دون حماية وإرشاد وتوجيه.. تركتهم لقدرهم المحتوم.. ثم كانت الطامة الكبرى لهذه السياسة.. بنضوب المياه الجوفية.. بجانب ضياع أكثر من (100) مليار ريال.. ذهبت لتشجيع التوجه هذا للوزارة.. الوطن اليوم.. بدأ يدفع الثمن غاليا.

وبعد.. هل لدى المزارع خيار المنافسة؟!.. في إحدى السنوات.. عشت حرب القضاء على المزارعين.. ومنهم المزارعون الذين يستأجرون مزارع بشكل تقليدي.. كانت الأسعار إحدى وسائل حروب الشركات والمؤسسات الزراعية.. على المزارعين الذين يمتهنون الزراعة كمصدر دخل وحيد لهم ولأسرهم.. في إحدى مراحل هذه الحرب.. عمدوا إلى

بيع كرتون (الخيار) بثمن لا يزيد على ربع ريال.

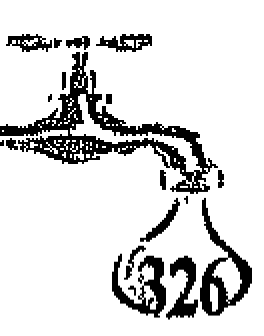
كانت هذه (الأسر الزراعية) تزرع وتحصد.. وتنافس بسعر أقل من إنتاج الشركات والمؤسسات في السوق المحلية.. تحقق لهذه الشركات والمؤسسات ما أرادوا.. فكيف يمكن يا أخ (علي الغزال) أن تحافظ على نخيلك.. وسط هذا الكم الهائل من نخيل رجال الأعمال والمستثمرين؟!.. هل يغطي دخل المزرعة تكاليف إنتاجها؟!.. إذا كان الجواب بالنفي.. دعها تمت.. أو بعها على من يملك كنزاً.. يصرف عليها حتى التفليس.

يتم ذلك في غياب حماية وزارة الزراعة (الأسرة الزراعية).. التي تمارس الزراعة كمهنة.

وزارة الزراعة أطلقت العنان لرجال الأعمال للتوسع الأفقي الزراعي في مناطق الصخور الرسوبية.. وهي مناطق المياه الجوفية غير المتجددة.

تم توزيع أكثر من أربعة ملايين هكتار في هذه المناطق الصحراوية الجافة.. توسع ساهم أيضا في استنزاف المياه الجوفية.. ومنها محافظة الأحساء الغنية بالمياه عبر تاريخها.. لكنها بنهاية ثمانينيات القرن الماضي.. جفت جميع عيونها الفوارة.. واليوم أصبحت مياه العيون الفوارة.. في بعض المواقع.. على أعماق تزيد على (35) متراً.. وقد كانت تتدفق بارتفاع يزيد على المترين فوق سطح الأرض.. مع هذا الوضع هل ما زال لديك يا أخ (علي) أي شك في موت النخيل في واحة الأحساء؟

أكرر.. هذا الفعل كان بسبب سوء تصرف وزارة الزراعة.. وهناك مواطنون.. مهنتهم الزراعة.. يعملون بجهدهم في مزارع لغيرهم.. لا يملكون أراضي زراعية.. يعملون ويدفعون من إنتاجهم لأصحاب تلك المزارع.. وفي الأحساء يسمى هذا النشاط (تقبيلا).. أليس هؤلاء أولى بالجهد وبالأراضي البور التي وزعتها الوزارة على رجال الأعمال والموظفين؟!



نسأل وزارة الزراعة عن عدد.. أمثال.. هؤلاء المزارعين.. وخلال العقود السابقة.. الذين حصلوا على أراض زراعية؟!.. على الأقل في محافظة الأحساء.. وزارة الزراعة تجاهلت بكل أسف هؤلاء المزارعين.. وأيضاً (الأسر الزراعية) في مناطق مختلفة من المملكة.

وعبر التاريخ.. تعتبر (الأسرة الزراعية) صمام الأمن الغذائي.. الذي يعتمد عليه البلد بثقة.. لتأمين الغذاء تحت أي ظرف.. بعكس نشاط رجال الأعمال والشركات والمؤسسات.. يمكن أن تنسحب من النشاط الزراعي في حال تعرضها للخسائر.

في أمريكا استطاعوا من خلال البرامج الإرشادية.. الارتقاء.. وأيضاً ترسيخ جذور الأسرة الزراعية وتشجيعها على البقاء.. أصبحت الأسرة الزراعية الواحدة تؤمن الغذاء لـ (50) أسرة غير زراعية.. فهل تعرف وزارة الزراعة هذه المعلومة؟!

(الأسرة الزراعية) في البلد.. لم تعد قادرة على تأمين العيش لأفرادها من الزراعة.

كيف يمكن أن تنافس (الأسر الزراعية) الشركات والمؤسسات الزراعية؟!.. وأيضاً كيف يمكن لهم منافسة مزارع رجال الأعمال؟!

الزراعة كمهنة تحتضر بسبب سياسة وزارة الزراعة.. وليس بسبب مقالاتي التي تدعو إلى عدم استنزاف المياه الجوفية بشكل جائر ومضر.

مقالاتي عن الزراعة والمياه لا تستهدف (الأسرة الزراعية) بسوء.. وأيضاً من يمارس الزراعة كمهنة.. لكن مقالاتي تشجعهم وتدافع عنهم.

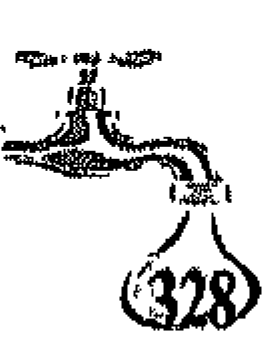
أكرر.. (الأسرة الزراعية) هي الأولى بجهد وإمكانيات وزارة الزراعة.. وليس رجال الأعمال والموظفين.. فهؤلاء يملكون المزارع كـ (زينة) لحياتهم.. على حساب المياه الجوفية.. نعم.. لديهم دخل آخر.. يغطي كل نفقات (البهرجة) المضرة بمياهنا الجوفية. ...

81

يوم الثلاثاء الماضي.. (22 مارس 2011).. احتفل العالم باليوم العالمي للمياه.. إلا العرب.. رغم كونهم أكثر البشر عوزا للماء.. هل تناقص وتآكل اهتمامهم بالماء؟!.. الذي لا يهتم.. هو من تصبح حياته مهددة.. بشيء آخر غير الماء.. وحياتنا.. ولله الحمد.. ليست كذلك.. العوز المائي يجعلها كذلك.... وحتى في ظل الحروب.. يظل نقص الماء وتلوثه العدو الأول للحياة.

الأجيال بحاجة إلى إدراك أهمية المياه.. وأهمية الحفاظ عليها.. هناك غفلة.. حملت العقل إلى اهتمامات أخرى.. غفلة غيرت الأولويات في حياتنا.. جعلت الأهم ثانوياً وأقل.. وفي ظلها، تكون العاقبة سوداء.. ومن أهم المحاذير.. تغييب الأجيال في متاهات.. واهتمامات أخرى.. ليصبح الماء شأناً ثانوياً في حياتهم.. يجب أن يظل الماء في دائرة اهتمامهم.. ويقظتهم على الدوام.

تآكل احترام الماء.. وهذا يعود إلى حزمة من الأسباب.. أهمها ثقافة التبذير.. وتغييب الحقائق المائية من الحياة العامة.. خاصة المناهج الدراسية في جميع المراحل.. يجب أن تعرف الأجيال.. أهمية الماء في حياتها.. وأهمية الحفاظ عليه.. مع دوام أهمية القلق على المياه كمنهج حياة.. نحن في بيئة جافة.. يكفي هذا كمؤشر.. على خلق القلق.. وتعزيزه في النفوس.



اليوم العالمي للمياه.. اعتراف بمشكلات المياه التي تواجه البشرية.. ومنهم العرب.. العالم يواجه مشكلات خطيرة.. منها التلوث.. والاستنزاف الجائر.. والإهدار.. وسوء الإدارة.. وكل هذه المشكلات يواجهها العرب.. إضافةً إلى ندرة المياه في أراضيهم.. ويظل العرب أكثر شعوب العالم.. تعرضاً للعطش ونقص المياه.

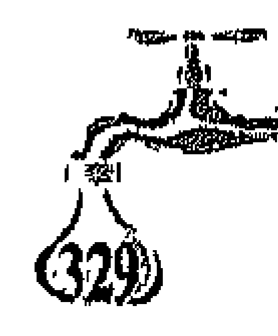
مؤسف أن يمر اليوم العالمي للمياه دون انتباه.. هل توقف إحساسنا بأهمية الماء؟!.. هل أصبح الماء كأرضنا العربية.. ليست ذات أهمية إلا في الخرائط العالمية؟!.. معظم خيرات أراضي الدنيا على سطحها.. وخيرات العرب تحت سطحها.. ومنها المياه.

ورغم تمتع البعض بالأنهار والبحيرات.. إلا أن (90) بالمائة من المياه العذبة.. تحت سطح الأرض.. موجودة في الصخور الرسوبية.. وتمثل (5) بالمائة من مكونات الكرة الأرضية.. هي المياه الجوفية.. الذهب النادر النفيس في عالمنا العربي.. الأكثر ثمناً وأهمية في المملكة.. هل ندرك أبعاد استنزافها.. لهواً.. ولعباً.. وإنتاجاً زراعيّاً عشوائيّاً؟!

الوعاء الحامل لهذه المياه الجوفية.. هو الصخور الرسوبية.. هي فتات الصخور النارية الصلدة.. نشاهدها في جبال السراة.. وبقية مناطق الدرع العربي.. تفتتت بفعل عوامل كثيرة.. في عصور جيولوجية مختلفة.. ثم في مرحلة لاحقة.. تجمعت هذه المواد.. بعد اختلاطها ببقايا عضوية من النباتات والحيوانات.. مكونة صخوراً جديدة مسامية.. أطلق عليها العلماء الصخور الرسوبية.

وتشكل هذه الصخور ثلثي مساحة المملكة.. وكانت مناطق هذه الصخور.. بحراً ضحلاً واسعاً.. إلى أن وصل إلى المرحلة التي نعيش عليها.. في هذه المساحة.. تقع مناطق مهمة.. منها منطقة الرياض.. والشرقية.. والقصيم.. وتبوك.

في جميع مناطق الصخور الرسوبية.. هناك مكامن مهمة للمياه



الجوفية.. التي لا يمكن تعويضها بعد الاستنزاف.. وقد تم استنزاف معظم مياه هذه التكوينات.. لري مزارع القمح.. التي تم إيقافها.. بعد استنزافها لهذه المياه الثمينة.. في زمن قصير.. مرت الحكاية دون مساءلة.. كعادة العرب مع كوارثهم.

لم يحتفل العرب باليوم العالمي للمياه.. يعيشون حالة من التناقض.. تجاهلنا لهذا اليوم جزء من المشكلة.. وكان الأجدر بنا في مثل هذه الأوضاع.. أن يكون هناك أسبوع للمياه.. تتبناه الوزارة المسئولة.. وبدعوة كل الجهات للمشاركة.. ومنها المدارس.. والجامعات.. وعلى مستوى جميع الوسائل الإعلامية.. بجانب الندوات والمحاضرات والمؤتمرات.. وفي جميع المناطق.. بجانب المسابقات.. والبرامج الإذاعية والتلفزيونية.. تركز على المياه الجوفية وأهميتها.. وسبل ترشيد استخدامها.. وتقديم معلومات ترتقي بثقافة الفرد حول المياه.

وبهذه المناسبة نسأل: لمن تتبع المياه الجوفية؟!.. هل هي مسؤولية وزارة الزراعة؟!.. أم هي مسؤولية وزارة المياه؟!.. أم هي بدون وزارة؟!.. اليوم العالمي للمياه يعطينا حق التفكير.. في مستقبل مياهنا الجوفية.. يعطينا حق التأمل في تصرفاتنا.. غير المسئولة مع المياه الجوفية.

أدعو إلى سن تشريعات واضحة.. وفرض معايير.. يمكن الاحتكام إليها.. لمواجهة كل من يسيء لهذه المياه.. باستنزافها وإهدارها عبثا دون فائدة مستدامة.

الناس شركاء في المياه الجوفية.. هل من العدل.. أن يستأثر البعض بهذه المياه؟!.. وهل من حقهم.. استنزافها وإهدارها دون معايير؟!.

للأجيال القادمة نصيب في المياه الجوفية.. نحتاج إلى وقفة حازمة.. ما زالت المياه الجوفية تبحث عن إدارة.. وتبحث عن وزارة.. وتبحث عن مناصرين. ...

82

نعم.. وصلت إلى مرحلة التشبع.. هناك من لا يكترث.. بدأت الكتابة عن مياهنا الجوفية.. مع بداية العقد الثامن.. من القرن الماضي.. قبل أكثر من ثلاثة عقود.. حان الوقت.. لأتوقف.. حفاظاً على صحتي.. ومشاعري.. وحالة عقلي.. وأيضاً حفاظاً على مشاعر قوم.. لا يكترثون بالمياه.. لهم مشاعر يجب عدم جرحها.. لهم عقول يجب وقف التطاول عليها.. وتركها تعبث بالماء كما تشاء.. ولهم صحة.. يشجعون الحفاظ عليها.. بإهدار المزيد من المياه حولها.. لتبقى لياقتهم.. تتمدد في كل اتجاه.. ويبقى جنون سعادتهم.. التمتع.. بالتوسع في استنزاف المياه وإهدارها.

نعم هذا هو المقال الأخير عن المياه.. كاتبكم وجد نفسه يؤذن في خرابة.. كما يقول المثل الشعبي.. يعززه المثل الآخر الذي يقول.. ينفخ في قربة مخرّقة.. فلماذا أكتب المزيد.. لعرب يعيشون في المريخ؟!

آخر هذه الفرقعات التي قادت كاتبكم إلى رفع راية الإحباط.. هي نافورة الأحساء.. جعلوها مميزة.. مجّدوها قولاً وفعلاً.. يسعون إلى دخولها مجال الأرقام القياسية عالميّاً.. هذا هو ما يهمهم.. ويعجل بشهرتهم.. نعم.. يقولون عنها أكبر نافورة في العالم.. وكاتبكم يقول صحيح.. ولكن لتبخير المياه الثمينة.. وضياعها.

كيف تريدون من كاتبكم الاستمرار في الكتابة عن المياه.. مع هذا التصرف المتناقض؟!.. بدلاً من احترام المياه.. بتحريم.. وتجريم.. إنشاء النّوافير في البلد.. نجد أن هناك من هو مفتون.. ببنائها ظهيرة وسط الصحراء.. يمجدونها بكلام كثير.. كاتبكم يرى كلامهم من سخرية القدر.. ويدل على خواء بيئي.. يقولون.. طولها يزيد على (700) متر.. ويقولون.. نافورة راقصة.. ويقولون.. المياه تتراقص على أنغام الموسيقى.. هكذا جعلوا الماء يتراقص في الصحاري الساخنة.. لزيادة تبخير الماء في الفضاء.. لم يتوقفوا عند هذا الحد.. لكن جعلوها نموذجاً لإنجاز العقل السعودي.. فهل يستغل التقنيات الحديثة لإهدار المياه؟!

يقولون.. كمية المياه في حوض النافورة.. تزيد على (3000) متر مكعب.. هذا لا يعني لهم شيئاً.. هم في بلاد مطيرة.. وبلاد باردة.. وبلاد تحوي البحيرات والأنهار.. بلاد لا تعاني نقصاً في المياه.. ماذا يعني هذا الرقم لهم؟!.. كاتبكم يدعي أن هذه الكمية مؤشر على ضياع أمثالها في كل مكان.. دون اكتراث.. دون اهتمام.. هذه الكمية من المياه تعني الكثير.. فهي تعادل حمولة أكثر من (300) صهريج ماء كبير.. هذا يعني أن ثمن هذا الماء أكثر من (ثلاثة ملايين) ريال.. هذا يعني استنزاف المياه الجوفية وتبخيرها.. على المكشوف.

اختاروا للنافورة مكاناً يزيد من كميات تبخيرها.. يصل البخر في منطقة النافورة إلى أكثر من (6000) ملم سنويّاً.. تقع النافورة في مكان معروف بارتفاع درجة الحرارة.. تصل تحت الظل إلى أكثر من (49) درجة مئوية.. هي الأعلى على مستوى المملكة.. إضافة إلى هبوب ريحها الشديدة الساخنة.. ريح لا تتوقف.. ثم يقولون.. النافورة قادرة على خفض درجة حرارة الجو إلى (أربع درجات) مئوية.

رباه.. لم يعد للعقل احترام.. فكيف تريدون من كاتبكم.. الاستمرار في الكتابة عن المياه الجوفية والدفاع عنها.. في وجود بشر لا يكترثون إلا بأنفسهم؟!.. ونسأل هل يكذبون الكذبة ويصدقونها؟!.. كيف ثبت لهم أن درجات الحرارة ستنخفض إلى أربع درجات مئوية؟!.. مياه الخليج العربي بكاملها.. لم تستطع تخفيض درجة حرارة المنطقة الشرقية.. أو حتى جزء منها.. وتلك بحيرة الأصفر.. (الفضيحة).. لتبخير المياه الجوفية.. هل خفضت درجة حرارة الأحساء؟!.. وذلك البحر الأحمر بكامله.. هل استطاع تخفيض درجة حرارة المملكة.

لم يعد هناك احترام للعقل.. يسوقون معلومات مغلوطة على الجميع.. عبر جميع وسائل الإعلام.. المسموعة والمقروءة والمنظورة بالعين المجردة.. ثم تتوقعون من كاتبكم الاستمرار في الكتابة عن المياه الجوفية.. فرّطوا في مياه الأحساء.. وكانت أنهاراً وبحيرات.. اليوم أصبحت الأحساء جزءاً من الصحراء.. لا أنهار.. لا بحيرات.. ولا حتى عيون فوارة.. أصبح ماء الأحساء غوراً.. فهل إنشاء هذه النافورة تصرف حكيم ورشيد؟!

إنه عار.. أطالب بإلغاء هذه النافورة.. بقرار ينشر عبر جميع الوسائل الإعلامية.. لرد الاعتبار لمياهنا النادرة.. يجب أن تكون تحت الحماية الدائمة.. إنشاء النافورة.. في ظل مؤشرات نقص المياه.. وشحها.. في محافظة الأحساء.. يحمل دلالات تسيء حتى للمستقبل.. ولن أتحدث عن تكاليف إنشائها.. وتكاليف صيانتها.. وتكاليف تشغيلها.. فهي أمور لم تعد تهم.. حتى الكتابة عن المياه.. وهذا الوضع.. لم تعد تهم. ...

83

♦ بهذا المقال.. يكتمل نصاب الألم والإحباط.. نستمر مع روح المقال السابق.. بتاريخ (8-5-2011).. بعنوان.. [مقال كاتبكم الأخير].. نواصل الحديث.. لتكتمل صور تبخير مياهنا الجوفية.. انكشف وجه حقيقتنا.. وجه مبذر لنعمة الماء.. جعلنا التبذير ثقافة.. نُمارسها دون استنكار.. هل لديكم تفسير لما يجري؟!.. أفعالنا تناقض أقوالنا.. هل هو نتاج أمراض نفسية؟!.. هل استنزاف المياه الجوفية منكر وجريمة؟!.. هناك ممارسات غير مسئولة.. تحدث مع مياهنا الجوفية.. تنبئ وتقول.

❢ وهذه الأحساء خير نموذج.. حتى بداية العقد الثامن من القرن الماضي.. كانت المياه تجري على سطح ثراها.. ومع نهايته.. جفت الأرض.. أصبح ماؤها غورا.. ورغم ذلك.. ما زال البعض يمارس استنزاف المياه الجوفية المحدودة بشكل غير مسئول.. كاتبكم تحدث عن نافورة الأحساء.. الأكبر عالميًا.. كنموذج.. وذلك حسب مصادر أهلها.

❢ فكّروا.. رسموا.. خطّطوا.. نفّذوا.. افتتحوا.. احتفلوا.. تباهوا.. كل ذلك على حساب المياه.. يمثلون جهة حكومية.. قادرة على تمويل أي مشروع لتبخير الماء دون مساءلة.. ولهذه النافورة مؤشرات.. بجانب بحيرة الأصفر لتبخير الماء وسط الصحراء.. هل تستطيعون تخيل الأمر وفهمه وهضمه؟!.. ليت الأمر توقف عند هذا الحد.. فوجئ

كاتبكم بما هو أدهى وأمر.

هناك جهة حكومية ثالثة بالأحساء.. تبني بحيرة اصطناعية في وسط الصحراء.. تعرفون أبعاد موقع الأحساء على حواف الصحراء.. هل يسعون إلى تحقيق نجاح كسر سخونتها الملتهبة؟!.. يستنزفون المياه الجوفية لتبخيرها في الفضاء.. وكنتيجة لمثل هذه الممارسات وغيرها.. سيصبح بطن الأحساء كسطحها.. خالياً من المياه.

تزيد مساحة هذه البحيرة على (30) ألف متر مربع.. هذا يحصل في الأحساء.. هل يتطلعون إلى المنافسة على الأرقام العالمية؟!.. عاشت الأحساء فتنتها عبر السنين الماضية.. أخيراً سيحتفلون بأكبر بحيرة في الصحراء.. كاتبكم يدعي أن الأحساء أكبر منطقة لضياع المياه الجوفية عالميّاً.. مياه بدون ثمن.. لا حسيب أو رقيب.. [البلاش كثّر منه].. هل هذا هو الشعار؟!

حتى أهالي الأحساء.. دخلوا سباق إهدار المياه الجوفية.. وصل الجنون بالبعض إلى حد زراعة الأرز في أراضي الأحساء الرملية الساخنة.. بهدف التباهي والتفاخر.. يهدرون المياه الجوفية على زراعة الأرز في الصحاري.. ونسأل: لماذا؟!

أين الوزارات المعنية؟!.. وهناك من تخلى عن زراعة المحاصيل الاقتصادية.. زرعوا بدلاً منها أحواض المسابح.. بدون خوف من نضوب نعمة الماء.. يمارسون حفر الآبار بحرية.. يستنزفون المياه الجوفية ويهدرونها كما يشاؤون.. أصبح ضياع مياه الأحساء جزءاً من نشاطهم.. وتجارتهم الرابحة.. يؤجرون مزارعهم الترفيهية.. على حساب الاستنزاف والإهدار.. مياه سائبة.. ليس لها حام وراع.. ولزيادة سقف عدم المبالاة.. تفتق الذهن المبدع.. إلى إنشاء هذه البحيرة.

ستسمعون عن افتتاح هذه البحيرة (الفلتة) قريباً.. بجانب ملاعب (الغولف) حولها.. هل سيستضيفون بحّارة من أستراليا

وإسبانيا بقواربهم الشراعية.. بهدف الترفيه عن النفس العربية؟!

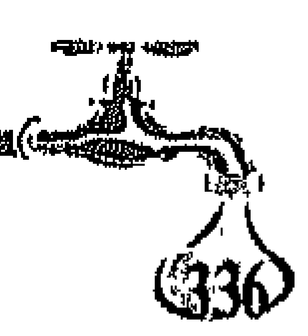
• هل يريدون قهر الصحراء؟!.. هل سيرفعون للعالم بوابات النصر على حواف الأحساء مع الصحاري.. وقد رفعوها مع مزارع القمح في الربع الخالي.. والنفود.. والدهناء.. الصحاري ستنتصر.. ستسود في ظل عقول لا تحترم نعمة الماء.. أصبحت الصحاري مصبّاً لمياهنا الجوفية.. أين عقولنا العلمية؟!.. تحدي البيئة غباء.. وتبديد للمياه.. وفشل للحياة.. يكفي درس زراعة القمح.

• حوض البحيرة الاصطناعية العملاق مصمم ليتسع لأكثر من (30) ألف متر مكعب من المياه الجوفية الثمينة.. هكذا بدون تفكير في العواقب.. استنزاف على المكشوف.. سعر هذه الكمية يعادل (60) مليون ريال.. تحققوا من ثمن لتر الماء في (الدكان) المجاور لبيتكم.. كميات المياه المتبخرة سنويّاً أكثر من (18) ألف متر مكعب.. أي أكثر من نصف مياه البحيرة.. بثمن يعادل (36) مليون ريال سنويّاً.. هذا بخلاف مياه ري ملاعب (الغولف) الخضراء.. هل نقول.. هزلت؟!

• ولأنهم جهة حكومية.. فهذا يعني أن (الفلوس) لا تهم.. عليهم فقط التمني والتخيل.. والرفع لوزارة المالية.. ستدفع.. حتى للصيانة والتشغيل.. ولمضخات استنزاف المياه الجوفية.. ولحفر آبارها.. ولصرف الرواتب.. وأيضاً لاعتماد الترقيات على هذا الإنجاز.

• ونسأل: هل للمياه الجوفية وزارة تحميها؟!.. غداً سيتم عقد المؤتمرات والندوات.. وسيتحدث الإعلام عن هذه البحيرة كواجهة حضارية.. وكنوع من الإنجاز الذي تعودنا على فرقعاته.

• أخيراً.. ومع مهازل استنزاف المياه الجوفية.. ومع العقول التي لا تحترم نعمة الماء.. ومع هذه البحيرة.. أدعوكم لفهم مدلول المثل الشعبي في بلاد غامد.. [الحجر من الأرض والدم من رأسك]. ...



84

- خبر لم يُعره الكثير أي اهتمام.. لا يتناول مشكلات الحياة اليومية.. مشكلات تحجب أشياء مهمة.. يسجّل الخبر لكاتبكم بعض النصر والراحة.. كاتبكم طرح الموضوع قبل أكثر من عشرين عاماً.. الخبر: [يُخضع مجلس الشورى.. المطالبة التي قدّمتها لجنة الإسكان والمياه والخدمات العامة.. للحد من بناء سدود جديدة.. لعشر سنوات قادمة.. للمناقشة والتصويت.. في مستهل جلسته العادية السادسة والخمسين].

- وبشيء من التفصيل: [شدّدت لجنة المياه على الحد من بناء السدود.. حتى تتضح آثار ونتائج السدود المنفذة.. والأخرى التي تحت التنفيذ.. والبالغ عددها (450) سدّاً.. ويتم التعرّف على إيجابياتها وسلبياتها.. على البيئة والمجتمعات الريفية.. في ظل التغيّرات المناخية التي تشهدها المملكة.. وتضرر المزارع المنتشرة حول الأودية الواقعة خلف السدود].

- صوت كاتبكم وصل أخيراً.. إلى مسامع البعض.. وصل الصوت إلى مجلس الشورى.. يؤكد كاتبكم بشكل علمي أن بناء السدود في المناطق الجافة تقليد عديم الفائدة.. وخلال هذه السنين لم أتوقف عن الكتابة.. والمطالبة بضرورة إيقاف بناء السدود.. ولكن هناك أذناً من

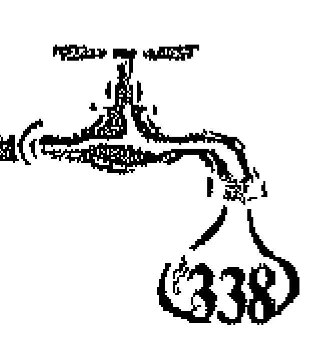
طين وأخرى من عجين.

وإذا كان مجلس الشورى قد طرح الموضوع للتصويت.. فإن حقائق كاتبكم العلمية تدين بناء السدود.. وترتقي إلى المطالبة بمحاكمة الذين تبنّوا بناء السدود في هذه المناطق الجافة.. العجيب أن الوزارات المعنية.. تتجاهل الرأي العلمي.. تعتبره تغريداً خارج السرب.. وخلال هذه السنوات تلقيت الردود المجحفة والقاسية.

قناعتي تتعاظم بأن هذه السدود مضيعة للوقت والجهد والمال.. أعتبرها أداة لضياع مياه الأمطار.. توصّلت إلى حقيقة أن بناء السدود إحدى علامات التصحّر في المناطق الجافة.. أعترف بأن نظريتي هذه ظهرت في وقت.. كان الجميع فيه مقتنعاً ببناء السدود كمنقذ من الجفاف.. تابعت بكل جهد وتضحية الدفاع عن نظريتي من خلال الكتابة.. ومن خلال طلابي والمحاضرات عن إدارة مياه الأمطار.. من المفرح أن عدداً كبيراً من العلماء في الجامعات السعودية وخارجها من أصحاب الشأن والتخصص.. ناصروا نظريتي حول هذه السدود.

كانوا يتصلون معلنين قناعتهم بما أطرحه من آراء وأفكار حول هذه السدود التي أصابت الوطن كمرض عضال من جراء السياسة الزراعية والمائية العشوائية.. زاد تعجّبي من مجلس الشورى.. هل ما زال لديه الشك فيما أدعو إليه منذ أكثر من عشرين عاماً؟!.. ألم تتضح الصورة لديهم؟!.. كما يبدو من الخبر.. لم تتضح آثار ونتائج السدود.. يتحدثون عن إيجابيات.. ولا أملك سبباً واحداً إيجابيّاً لبناء هذه السدود.. ولكن كلها سلبيات على البيئة وعلى المجتمع وعلى المياه النادرة.

وما زال التخبّط يأخذ مجراه من الجميع.. الموضوع ليس خاطرة.. أو فزعة.. أو حفظ ماء وجه.. الموضوع أكبر.. الأمر يتعلق



بمستقبل مياهنا الجوفية التي تغذيها مياه الأمطار.. خاصة في مناطق الدرع العربي.. مكة المكرمة.. جيزان.. نجران.. عسير.. الباحة.. المدينة المنورة.. وبعض أجزاء أخرى من بعض المناطق القريبة من منطقة الدرع العربي.

الوزارات المعنية.. وفي كل مرة أكتب عن هذه السدود.. تحاول التهرّب بوضع مبررات توحي بالكثير من الاستنتاجات السلبية.. فهل هناك مصالح شخصية من بناء السدود؟!.. بداية الأمر كانت الوزارات المعنية تدّعي عبر وسائل الإعلام وفي تقاريرها السنوية أن الهدف من بناء السدود هو تغذية المياه الجوفية.. هذا موثّق لديهم.. وبعد نسفي بالأدلة العلمية القاطعة بأن ما يدّعونه أقرب إلى الهراء.. غيّروا النغمة بقولهم.. إن بناء السدود هو من أجل حماية الأرواح والممتلكات.. وبعد مواجهتهم بأن هذا أيضاً فذلكة غير علمية غيّروا النغمة إلى أن بناء السدود بهدف تأمين مياه الشرب للمواطنين.. وهكذا يهربون من سبب إلى آخر.. بشكل يوحي ويقول.

الحقيقة أن بناء السدود جزء من فشلنا في حسن استثمار مياه الأمطار.. نعمة عظيمة لم تدركها الوزارة المعنية.. ولن تدركها في ظل عقليات متشبعة برأي واحد.. وهناك من يناصر رأيهم لأسباب لا أود الخوض فيها، ولكن الحقائق العلمية أمامي تدين توجّههم نحو بناء السدود.. رغم وضوح الأضرار.. أقلها تضرر المناطق التي تقع خلف السدود من قلة المياه بعد تنفيذ السدود.. لا أرغب في إعادة ما قلته خلال العقدين الماضيين.. لكن، أسأل مجلس الشورى كيف يمكنه التحقق من إيجابيات وسلبيات السدود على البيئة والمجتمعات الريفية؟!

المهم أن تعرفوا أن كاتبكم قد طرح أيضاً البديل عن بناء السدود.. وهذا هو الأهم. ...

85

كالعادة.. سيقول البعض: كاتبكم يغرد خارج السرب.. سيقولون: يبحث عن شهرة.. ويكررون: خالف تُعرف.. الحقائق أثبتت عبر هذه السنين خطأ قولهم.. ومع ذلك ما زال البعض يمارس التكهُّنات.. يعتقدون أن كاتبكم يكتب خواطر.. رغم كونها حقائق علمية.

الحقيقة تنبئ بأشياء لا يمكن حجبها.. الفشل يتعاظم مع استثمار مياه الأمطار النادرة في بلادنا.. فشل مُخل ومُخجل.. فشل غير منطقي.. خاصة في مناطق الدرع العربي.. مناطق تغذية مياهنا الجوفية وتنميتها.. فبجانب السدود التي تحجز مياه الأمطار خلف جدرانها.. يأتي الآن دور مشاريع تصريف مياه السيول إلى البحر الأحمر في مدينة جدة.. كنموذج وشاهد جديد على سوء استثمار مياه الأمطار.

مشاريع زاخرة بالتناقض.. نقوم بإهدار ونقل مياه الأمطار إلى البحر.. كاتبكم يعتبر التصرّف ناتجاً عن غياب إدارة مياه الأمطار.. وشاهداً على تغييب وعي العقل بأهمية المياه.. هذه المشاريع وأمثالها تمثل ضياعاً لمياه نادرة.. يمكن توظيفها في مناطقها الجافة.

مياه الأمطار نعمة وخير وبركة.. لكننا فشلنا.. لم نفكر أصلاً

في التعامل معها بطريقة رشيدة.. لم نستطع التعامل معها بحكمة.. أخضعناها لسوء تصرّفنا وتجاهلنا.. وسوء فهمنا لأهمية هذه المياه.. كنتيجة، أصبحت تشكّل خطراً يهدّد الحياة.. ثم قادنا هذا الاعتبار إلى مثل هذه المشاريع الاستثنائية.. أصبحت بسبب سوء تخطيطنا ضرورة.. لم نفكّر في البدائل كحلول مفيدة حتى للمستقبل المائي لمصلحة الأجيال القادمة.

• يكتب كاتبكم اليوم بكل ثقة وقناعة.. مدافعاً عن مياه الأمطار.. جعلنا مخاطرها تتعاظم.. نجهل طرق الاستفادة منها.. لم نُعطها بالاً وأهمية.. نراها بدون قيمة.. وبالمقابل هناك مليارات الريالات تصرف لتحلية مياه البحر.. أليس هذا تناقضاً؟!

• هل مياه الأمطار ذات شأن لدى الوزارات المعنية.. ومحل عناية؟!.. الحقائق تشير إلى حاجتنا الملحّة لكل قطرة ماء.. بتعطل بصيرة العقول.. تتيه إبرة الميزان عن تلمّس فوائد مياه الأمطار وأثرها الإيجابي في تنمية وتغذية مواردنا المائية الجوفية.. هل جعلنا مياه الأمطار شرّاً ونقمة؟!.. لماذا؟!.. هل تعاني من سوء الإدارة؟!.. لماذا؟!.. هل تعاني سوء فهمنا وتجاهلنا؟!.. لماذا؟!

• مياه الأمطار محصول.. لا يختلف عن بقية المحاصيل الزراعية.. مثلها مثل القمح الضروري.. مثل الأعلاف والشعير.. مثل التمر وفاكهة الشركات الزراعية التي تصدر الورد والبطاطس إلى أوروبا.

• لماذا ينعدم الاهتمام بمياه الأمطار؟!.. لماذا نتركها تذهب إلى البحر هدراً وضياعاً؟!.. بالتأكيد تركها بهذا الشكل.. ليس بطراً كما يقولون.. لكنه الجهل الذي تعاني منه العقول.. جهل ينعكس على طرق تفكيرنا وتعاملنا.. كنتيجة، لا نفكّر بشكل إيجابي وصحيح مع مياه

الأمطار.

- نتبنّى حلولاً تهدر مياه الأمطار بدون خوف وخشية ومسئولية.. غاب العلم.. غاب التحليل والتفسير والاستنتاج وحسن التعامل مع المعلومات والمؤشرات.

- بناء مثل هذه المشاريع العملاقة للتخلص من مياه الأمطار يُثير حزمة من التساؤلات.. هذه المياه ورغم كونها نعمة.. جعلناها نقمة.. هناك وسائل يمكن بواسطتها حصد مياه الأمطار لمصلحة البلاد والعباد.. والأجيال القادمة.

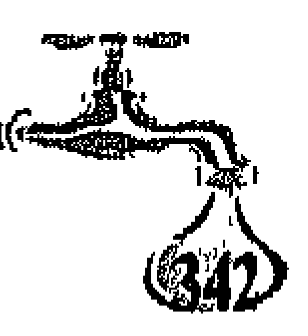
- هناك إدارة لمياه الأمطار مفقودة.. بحاجة إلى عقول تعي مسئوليتها.. تحتاج إلى من ينظر إلى المستقبل بعين الحكمة.

- مشكلتنا توجيه الفكر نحو حلول لمشكلات نخلقها.. نحاول حل نتائج المشكلات بطرق تزيد الطين بلّة.. بينما تظل المشكلات قائمة.

- مشاريع مياه السيول في جدة منقصة حضارية.. هل هذه المشاريع هي الحل الأمثل؟!.. كاتبكم يدّعي أنها الحل الأعمى للتخلص من مياه الأمطار النادرة الثمينة.. هذه المشاريع تُثبت أننا لا نعطي للمياه أي قيمة.. ننظر إلى يومنا ولا ننظر إلى مستقبلنا المائي.. نحاول إظهار قدراتنا على لجم قوة اندفاع هذه المياه.. ولا نحاول استثمارها بطريقة مفيدة.

- هكذا ننقلها إلى البحر.. ونحتفل.. هل يتم تبنّي مثل هذه المشاريع في بقية مدن وبلدات مناطق الدرع العربي؟!.

- السؤال الذي يجب طرحه من الجميع هو: لماذا كل هذه السيول؟!.. لماذا تزداد سنة بعد أخرى؟!.. البعض ركب موجة التغيير



المناخي.. والحقيقة تقول إن هذه المياه.. التي تتعاظم بتجمعها.. وتتعاظم قوة اندفاعها بتجمّعها.. خاضعة لأسباب بيئية.. بتجاهلها تتشكل خطورتها.. هذه المياه تعطي مؤشراً على عدم فهمنا لبيئتنا.. وعدم فهمنا لأهمية الحفاظ على مواردنا المائية.

عندما يتم تجاهل الحقائق.. واللجوء إلى مشاريع تزيد من إهدار المياه.. بدلاً من الاستفادة منها.. فهذا يعني عضل العقل.. هناك تطبيقات.. تعطي حلولاً نهائية.. تحقق فوائد مستدامة للبلاد والعباد.

...

مقالات 2012

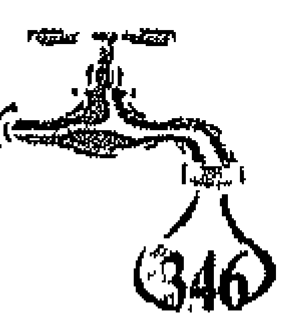
مياه الأجيال القادمة

86

♦ مَن يدلُّنا.. على سوق المسؤولية؟!.. من يستطيع تحديد مكانه؟!.. نريد الهبوط إليه كبارًا وصغارًا.. نريد أن نبيع نتائج معالم المقولة الشهيرة: (يا عمي رح اشتر).. نغمة وردت في طيات جواب وزير الزراعة.. أثناء زيارته منطقة نجران.. هل هي قانونية؟!.. دعونا نسبح في مجال الدهشة.. معها لا شيء يهمّ.

♦ الوزارات ليست ملكًا للمسؤول.. كل وزارة تحمل هموم قطاع محدّد.. هل يعتقدون أن الوزارة جزء من الممتلكات الشخصية؟!.. هل يعطون أجوبة تدور في فلك هذا الاعتقاد؟!.. مزارع بسيط.. كان يسأل عن تأمين (أمصال) الحمى القلاعية لـ(ماشيته).. فيأتي رد الوزير.. (يا عمي رح اشتر).

♦ تأمين هذه (الأمصال) من مسؤوليات وزارة الزراعة.. تعطيه للبعض وتمنعه عن آخرين بحجة النقص.. توجيه السائل إلى الشراء من السوق.. ليس من مهام أي مسؤول.. التوجيه (لطمة) للمزارعين.. فهل كانت الإجابة نتاج عجز؟!. جواب يعطي مؤشرات مخيفة.. الحقوق للجميع.. تحت مظلة النظام.. وليس الاجتهاد.. هل للإجابة سند قانوني؟!.. كانت (تغريدة) في الفضاء العربي.



أيها الفلاح السعودي.. السوق أمامك.. فهل يعني أن أبواب وزارة الزراعة في وجهك موصدة؟!.. انعموا بالفرجة المجانية على الاجتهادات.. البعض لا يرى إلا نفسه.. هالة من المعقول واللا معقول.. هذه ليست شفافية أو أسلوب إقناع.. هي تعدٍّ على الحقوق.

هناك حقائق ومسؤوليات تم تغييبها.. تحوّلت إلى عبوس الوجه وانفعاله.. الآن عرفنا.. لماذا لا ترد وزارة الزراعة على ما يُكتب عنها في جرائدنا المحلية؟!.. أمور شخصية.. تمّ إقحامها في ثنايا الرد.. مواطن.. بلحية بيضاء.. جزء من مسؤوليته الحفاظ على (حلاله) من الأمراض.

ولكن رد المسؤول عصف بآماله في جواب بارد يعطي مدلولًا بأنه لا رجاء من وزارة تصرف على رجال الأعمال.. وتتجاهل المزارعين.. لا رجاء من وزارة تعتبر رجال الأعمال وكبار الموظفين مزارعين.. تدعمهم بالتسهيلات.. والمعونات والقروض.. ثم توجّه صغار المزارعين إلى المجهول.

كم مليار ريال تم صرفها على الزراعة العشوائية؟!.. كم كان نصيب المزارعين في القرى والأرياف؟!.. أقصد المزارعين الذين يمتهنون الزراعة كمهنة.. كم مليارًا يتم صرفها سنويًا على العناية بتربية خيول الوزارة؟!.. كم مليارًا يتم صرفها لرجال الأعمال لمساعدتهم للاستثمار الزراعي في الخارج؟!.. كم مليارًا لميزانية الوزارة؟!

كم مساحة الأراضي البور التي تمّ توزيعها في مناطق الدرع العربي.. مقارنة بالمناطق الأخرى؟!.. للعلم.. تمّ توزيع أكثر من 4 ملايين هكتار خلال السنوات الماضية؟!.. نصيب هذه المناطق مجتمعة وهي: جيزان.. والباحة.. وعسير.. ومكة المكرمة.. والمدينة المنورة..

ومنطقة نجران.. .. لا يزيد على (3) بالمائة.. ونسأل كنتيجة: كم كان نصيبهم من القروض والإعانات والتسهيلات؟!

ما هي أهداف زيارات المسؤولين للمناطق؟!.. لماذا يعتقد المسؤولون أنهم يملكون الوزارات؟!.. نقص الإمكانيات جزء من التهاون.. بجانب أن يشعر المواطن بأنه أمام مسؤول لا يملك إجابة قانونية مقنعة.

المواطن صاحب حق.. وقادر على استيعاب وفهم الحقائق.. ماذا أضاف جواب الوزير لهذا المزارع؟!.. أرهقه الشراء من السوق.. وكان يأمل أن يشمله خير دولته.. من خلال وزارته وزارة الزراعة.. التي كان يجب أن تكون للمزارعين.. وليس لرجال الأعمال وكبار الموظفين.

هناك مزارعون ورعاة.. ما زالوا على عهدهم القديم (حفاة عراة).. لا تعلم عنهم وزارة الزراعة شيئًا.. لا يهمها أمرهم وشأنهم.. مشاعرنا ليست فقيرة.. فهل إجابة الوزير جزء من برنامج الوزارة في مجال الإرشاد الزراعي؟!.. يا عمي ليش تسأل.. (يا عمي رح اشتر).

يا عمي يوجد نقص وعليك تحمّله.. وزيرك لا يراك.. وزيرك يصرف على مزرعته من جيبه.. وقد حلف بالله على ذلك.. وزيرك يعرف أنك بعيد في أقصى البلاد.. ليش تسأل عن دواء لحلالك؟!.. ليش ما تهاجر إلى مناطق (التدجين)؟!.. ليش ما تصبح رجل أعمال؟!.. ليش.. وليش..!! ...

87

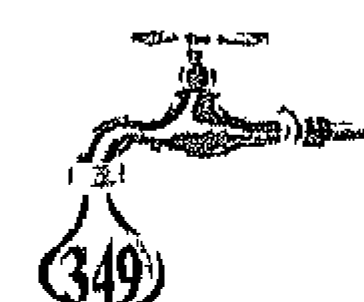
هل يتجاهل المسؤولون خطورة استنزاف المياه الجوفية؟!.. أم أنهم لم يستشعروا الخطورة.. على مستقبل الأجيال القادمة؟!.. ما زال هناك تعامٍ.. وتجاهل.. وتجاوزات.. وحتى الآن.. ما زلنا نتطلع إلى قرارات حاسمة وشجاعة.. تحدُّ من عبث تبذير المياه الجوفية.. استنزافها غير المدروس.. يشكِّل خطرًا على مستقبل الأجيال القادمة.. ماء وجدناه مخزونًا في أرضنا.. نعمة يجب أن نحسن التعامل معها.. مَن المسؤول عن المياه الجوفية؟!

أصبح الوضع حرجًا للغاية.. مع زيادة سعير استنزافها على زراعات عشوائية.. يجب وضع هذه المياه تحت المجهر.. يجب سنّ الأنظمةً والقوانين والتشريعات الرادعة.. وتطبيقها على الجميع.

ونكرِّر القول بتوضيح أن المياه الزراعية في المملكة مياه جوفية.. متجدِّدة وغير متجدِّدة.. المياه المتجدِّدة تعتمد على مياه الأمطار.. ونجدها في مناطق الدرع العربي.. الممتدة على طول البحر الأحمر: مكة المكرمة.. المدينة المنورة.. الباحة.. عسير.. جيزان.. ونجران.

وبالنسبة للمياه غير المتجددة نجدها مخزونة في باطن الأرض.. من العصور المطيرة.. تشكّل مناطقها الأخرى ثلثي مساحة المملكة.

المياه الجوفية ثروة يتم استنزافها بزراعة عشوائية اجتهادية عبثية.. وتشوّهات مريضة وخطيرة على المستقبل.. حيث يتم اختراق



طبقات الأرض عن طريق الآبار الارتوازية.. وتسحب المياه بمضخّات عملاقة دون أدنى مسؤولية أو محاسبة أو مراقبة.

الاهتمام بالمياه الجوفية معدوم.. مع الوزارة القديمة (وزارة الزراعة والمياه) كانت الزراعة تتوسّع على حساب المياه.. ومع الوزارة الحديثة (وزارة المياه والكهرباء) أصبح الاهتمام بها أقل شأنًا وأهمية.. مقارنة بما تعطيه الوزارة الجديدة من اهتمام بمياه التحلية.. وتزداد الحيرة عندما يترك الحبل على الغارب للاستنزاف والإهدار.. بدون حساب.. وبدون خطط زراعية ومائية محسوبة.. للسيطرة على كل قطرة ماء.

ما زالت وزارة الزراعة تمارس تناقضاتها مع المياه الجوفية الثمينة.. وما زالت وزارة المياه تتجاهل هذه المياه الجوفية.. زراعات عشوائية قادت إلى أوضاع حرجة.. لكن أن تستمر عشوائية وزارة الزراعة في استنزاف المياه دون مبرر.. فهو أمر يجب أن يثير علامات استفهام.. وزارة الزراعة ما زالت تمارس تخبُّطها.. ليس لديها خطة زراعية واضحة.. ولكن الاجتهادات ما زالت قائمة.. وهذا أمر يجب أن يتوقف.

التوسُّع في زراعة الفواكه على حساب المياه الجوفية.. خير دليل على تخبُّط وزارة الزراعة.. زادت مساحتها المزروعة في المملكة.. خلال العشر السنوات الماضية.. بنسبة فاقت (26) بالمائة.. هذه الفواكه ليست غذاء أساسيًّا.. ويمكن الاستغناء عن زراعتها نهائيًّا.. ولكنه الجشع و(الطنبشة).. الشركات الزراعية ورجال الأعمال والموظفون.. الذين تعتبرهم وزارة الزراعة مزارعين.. ما زالوا يمارسون دورًا مخلًّا بالمياه الجوفية.. لسنا بحاجة إلى زراعتهم هذه الفواكه.. الماء أهم بكثير من كل هذا التوسُّع غير المدروس وغير المنطقي.. ثراؤهم من خلال الزراعة أحد أنواع الفساد الذي يجب أن يتوقف فورًا.

زادت المساحة المزروعة بالفواكه في مناطق الدرع العربي بحوالي (27) بالمائة.. خلال العشر السنوات الماضية.. ولكنها زادت بنسبة

(73) بالمائة في مناطق المياه الجوفية غير المتجدّدة.. وهذه مياه لا يمكن تعويضها.. وهنا تكمن كارثة استنزاف وإهدار المياه بالزراعة العشوائية.

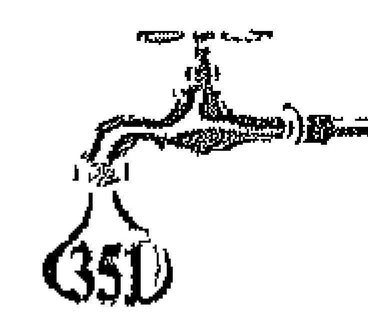
تظل المياه هاجسًا يتطلب المزيد من وضوح الرؤية.. في بلاد تشحّ فيها المياه السطحية.. نحن لم نرث هذا المورد الهام.. بل مستأمنون عليه.. إنه أيضًا ملك للذين لم يولدوا بعد.

بتصرُّفاتنا الزراعية العشوائية نساهم في هدم أمننا الغذائي.. الذي يعتمد على هذه المياه الجوفية.. الأمانة والمسؤولية ملزمة لأي مسؤول لوقف الزراعة غير الرشيدة.. لماذا يتم السماح للبعض باستنزاف هذه المياه.. واستخدامها كأداة للثراء على حساب الأجيال القادمة؟!

وعندما نتأمل تقارير وزارة الزراعة.. نجد أنها زاخرة بالكثير من التناقض.. دعت إلى عدم زراعة القمح وهو السلاح الأهم في عناصر الأمن الغذائي.. بسبب غور المياه الجوفية.. ولكنها تسمح بالتوسُّع في زراعات أخرى يمكن الاستغناء عنها.. فهل هذه الزراعات العشوائية أهم من حياة الأجيال القادمة.

وكمثال.. نجد أن المساحة المزروعة للفواكه أصبحت أكبر من المساحة المخصَّصة لزراعة القمح.. بحوالي (20) ألف هكتار.. وكانت المساحة المزروعة من القمح حوالي (420) ألف هكتار عام 2000.. ولكنها تقلصت إلى (200) ألف هكتار بنهاية 2009.. وبالمقابل نجد أن مساحة الفواكه كانت (190) ألف هكتار، ثم ارتقت لنفس الفترة إلى (240) ألف هكتار.

وهناك الكثير من التناقضات التي توحي وتقول.. وتظل مياهنا الجوفية الضحية الأولى لهذا التخبط.. الذي تسبّبت في تشكيله وزارة الزراعة.. أمننا الغذائي والمائي خط أحمر.. ومع ذلك تجاوزته وزارة الزراعة دون مساءلة.. إلى متى؟! ...



88

من أخطاء وزارة الزراعة.. السماح بتأسيس الشركات الزراعية.. والسماح لرجال الأعمال.. والمستثمرين بالاستثمار في مجال القطاع الزراعي.. بجانب منحهم الأراضي بمساحات مهولة.. وأيضاً توزيع الأراضي البور على الموظفين.. وعلى أفراد خارج نشاط الزراعة.. أخطاء بمحاور.. يمكن اعتمادها كمعايير.. لتوضيح فداحة الأخطاء.. ويظل محور المياه الجوفية الأهم على المستوى الاستراتيجي.

تمّ تجاهل ندرة المياه.. الأخطاء نتاج اجتهاد.. لم تكن نتاج تخطيط.. وبرامج.. مبنية على أساس استراتيجي مستقبلي.. كان اندفاعا عشوائيًّا.. كان يجب محاسبة المتسببين في هذا التخبُّط.. وما زالت المحاسبة مطلبًا.. نتائج الأخطاء ما زالت وستظل اعتمادًا على المؤشرات.

التساؤلات مقدّمة لتصحيح الأوضاع.. ولكنها غير كافية.. والتصحيح يتطلب (نية) للتغيير وتصحيح الأوضاع.. لماذا تبنّت وزارة الزراعة تأسيس الشركات الزراعية؟!.. لماذا سمحت لرجال الأعمال والموظفين بالاستثمار في القطاع الزراعي؟!.. لماذا أجازت

توزيع الأراضي البور على الشركات والمؤسسات؟!.. لماذا منحت رجال الأعمال والموظفين الأراضي الزراعية؟!.. لماذا تقاعست عن مساعدة المزارعين.. الذين يمتهنون الزراعة كـ(مهنة) خاصة في مناطق الدرع العربي.. وهي المناطق المطيرة في المملكة؟!

من أخطاء وزارة الزراعة.. إطلاق اليد لاستنزاف المياه الجوفية دون قيود وشروط.. وضع مُخل ومُضر للبلاد والعباد.. ما زالت الشركات والمؤسسات الزراعية.. وكذلك الموظفون ورجال الأعمال يمارسون النشاط الزراعي العشوائي.. نشاطهم الزراعي يشكّل خطرًا على مستقبل المياه الجوفية.. وعلى المستقبل الزراعي برمته.

هناك (موجات) اندفاع زراعي.. لا تختلف عن موجات البحر الخطيرة.. موجات لها بدايات مريبة.. وتتغيّر وفقًا للمصالح.. أصبح الجميع ينهش حتى في جسم المورد المائي دون خوف وخشية.. لم تقم الوزارة بتوجيه المسار بما يحقق توازن القطاع الزراعي.. ويحميه من الأطماع والجشع والأنانية المفرطة.. لتحقيق حماية المياه الجوفية.

كانت زراعة القمح تمثل الموجة (الأولى).. أحدثت (جرحًا) نازفًا في مناسيب المياه الجوفية.. ثم شكّلت زراعة الشعير الموجة (الثانية).. وساهمت في استنزاف المزيد من المياه الجوفية.. وكانت الموجة (الثالثة) تمثل التوسُّع في زراعة البرسيم والأعلاف.. والأرقام توضح بجلاء قوة ضربات هذه الموجات.. كان يحرّكها محور المصالح.. سعيًا وراء الثراء السريع.. على حساب المياه الجوفية.. وعلى حساب خسارة أمننا الغذائي.

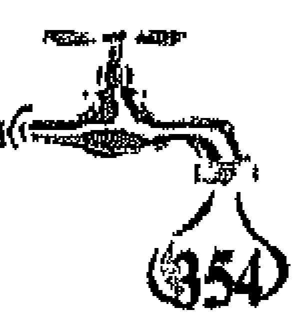
في موجة القمح الأولى.. سعت الوزارة مبكراً إلى فرملة التأثير

السيئ لهذه الموجة.. بحجة الحفاظ على المياه الجوفية.. كنتيجة ومع نهاية (1994) تقلصت المساحة المزروعة من القمح بحوالي (8) بالمائة.. لكنها وفي تناقض صارخ سمحت بالتوسّع في زراعة الشعير.. وزادت من سعر شرائه.. كنتيجة تشكّلت الموجة الثانية من استنزاف المياه الجوفية.. فزادت المساحة المزروعة من الشعير بنسبة (477) بالمائة خلال أربع سنوات من 1990 إلى 1994.

فماذا يمكن تسمية هذا الوضع.. وليت الأمر توقف عند هذا الحد.. لكن موجة زراعة البرسيم والأعلاف الأخرى استمرت في التوسع.. ارتفع تأثيرها السلبي بشكل مفجع.. وخلال نفس الفترة السابقة، ارتفعت نسبة زراعة البرسيم بحوالي (47) بالمائة.. وزادت نسبة ارتفاع مساحة الأعلاف الأخرى إلى حوالي (105) بالمائة.. وبعد أليس هذا تخبطًا.. وسرقة للمياه الجوفية؟!.. وهناك مقالات أخرى لمزيد من التوضيح.

الوضع لم يتغيّر.. موجة تعقبها أخرى.. وزارة الزراعة حاليًّا تؤسس لموجة جديدة من التوسّعات الزراعية المضرة.. تمارسها الشركات والمؤسسات الزراعية.. بجانب (مزارع) رجال الأعمال والموظفين دون رقابة ودون رادع.. بل تحظى بالمباركة والإشادة.. وحتى وسائل الإعلام.. ركبت موجة التفاخر بهذه الإنجازات الزراعية.. في ظاهرها إنجازات.. وفي باطنها موت أحمر وفضيحة.. تشكّل تهديدًا للمياه الجوفية.

إن فناء هذه الزراعات حتمية قادمة لا محالة.. في ظل المؤشرات القائمة.. فلماذا الخراب والهدم؟!.. ولماذا تسمح وزارة الزراعة



بالأنشطة الزراعية المخلّة؟!

آخر هذه الموجات التي تشجّعها وزارة الزراعة موجة زراعة أشجار الزيتون.. فهل هناك عقل يجيز التوسّع في زراعة أشجار الزيتون على حساب الأمن المائي للبلد.. زراعة الزيتون في العالم لا تعتمد على مياه الري.. ولكنها زراعة تعتمد على مياه الأمطار.. لماذا نمارس الاندفاع الزراعي من أجل مصالح مجموعة من البشر.. على حساب أجيال المستقبل؟!

الماء أهم من زراعة أشجار الزيتون.. الماء أثمن وأغلى من زيت الزيتون.. وصل بنا الحال إلى تبديد مياهنا الجوفية.. من أجل (تصدير) زيت الزيتون إلى بعض الدول الأوروبية.. أين العقل؟!.. لماذا يغيب هذا العقل؟!.. لماذا لا يتصرّف بحكمة؟!.. أيهما أهم.. القمح أم الزيتون؟!.. لا بد من الضرب بيدٍ من حديد.. على كل مَن يهدم أمننا الغذائي والمائي. ...

89

عندما نتحدث عن الشأن الزراعي.. نُشخّص تناقضًا واضحًا نعيشه.. في ظل غياب إستراتيجية زراعية واضحة للجميع.. تناقض يُشكّل مرضًا يهدّد المستقبل.. ويُثير في الحاضر قلقًا مشروعًا.. نعرف أن القطاع الزراعي مهم.. كنتيجة أصبح له وزارة.. تأسست عام (1953).. ولأن الزراعة مرتبطة بالمياه.. كان اسمها وزارة الزراعة والمياه.

أستطيع القول إن هذه التسمية.. ما زالت حتى اللحظة.. رغم أن المياه استقلت بوزارة جديدة.. ثم تحوّلت في نهاية المطاف إلى (وزارة المياه والكهرباء).. أما كيف أن التسمية ما زالت مستمرة؟!.. فهذا يعود إلى تجاهل وزارة المياه والكهرباء للمياه الجوفية.. تركتها شيئًا مستباحًا للزراعة العشوائية.

أصبح اهتمام وزارة المياه الجديدة موجّهًا نحو تحلية مياه البحر.. وتلك قضية أخرى.. ولكن المياه الجوفية مستباحة في ظل الوزارتين.. والحال هذه.. كان يجب أن يتمّ تعديل اسم وزارة الزراعة إلى اسم آخر.. وهناك عدة أسماء يمكن طرحها للاختيار.. من هذه الأسماء



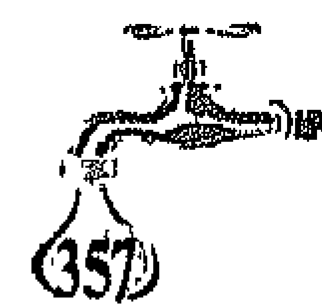
وزارة (الزراعة والمياه الجوفية).. لتصبح جزءًا من مسؤولياتها بشكل مباشر.

- أو تسمّى وزارة (الزراعة والبيئة).. أترك لكم الإبحار في تأليف أسماء أخرى.. ولكن أرجو وضع محور المياه الجوفية أساسًا لكل تسمية.. التسمية تحمل معنى.. في أبسط المعاني.. الدلالة على النشاط.. فهل هي وزارة للزراعة بشكل فعلي؟!

- وزارة الزراعة تتجاهل موضوع المياه الجوفية.. وتشجّع على الزراعة.. ولكنها لا تشارك في رسم مساراتها.. تهرول خلف النشاط الزراعي للفرجة والتباهي.. نشاط يُمارس خارج سيطرتها.. أصبحت وظيفتها لا تتجاوز مباركة ما يجري.. بهذا التصرّف كأنها تحاول الابتعاد عن وجع الرأس.. تركت الزراعة لرجال الأعمال.. وللشركات.. وللموظفين الذين (يتسلّون) بالزراعة.. على حساب المياه الجوفية.. سياحة زراعية شخصية.. بوجود عمالة أجنبية تخدم (البيه) صاحب المزرعة.

- يستمتع باستنزاف المياه الجوفية.. تجري كالأنهار في مزرعته.. مَن منحهم هذا الحق؟!.. تجاهل نصيب الأجيال القادمة من المياه الجوفية علامة فساد.

- نعود بكم إلى ميدان المياه الجوفية.. يتمّ استنزافها مجانًا.. بدون مساءلة.. أو قيمة وحتى احترام.. المياه نعمة لا تختلف عن رمي (أطنان) الغذاء في براميل القمامة.. مع احتفالاتنا التي لا تحترم النعمة.. حتى التبذير أصبح ثقافة.



الجميع مشغول باستنزاف المياه الجوفية.. الاستنزاف مستشرٍ في جميع مناطق المملكة.. وفي مناطق المياه الجوفية المتجددة.. وهي مناطق الدرع العربي.. أصبح الماء غورًا.. جفت الأودية والآبار.. أصبح الوضع غير قابل للحياة الزراعية.. انحبست مياه الأمطار.. فهل سألنا أنفسنا: لماذا؟!.. الشواهد موجودة.. وهي شواهد علمية.. تشكّل حزمة من الأسباب.. ولكن مؤشر التصحُّر هو الأبرز.. ويجب توظيف عنصر التصحُّر في هذه الحالة.

لماذا التصحُّر في هذه المناطق؟! (عسير.. نجران.. جيزان.. الباحة.. مكة المكرمة.. والمدينة المنورة).. الجواب في غاية البساطة.. يعود الأمر إلى انهيار النظم الزراعية التقليدية في هذه المناطق.. وعلميًّا يُعتبر هذا الانهيار إحدى علامات التصحّر المهمة.

ومع التصحّر ترتفع درجات الحرارة.. وهذا يعني أن السحب ستمضي بمائها بعيدًا عن هذه المناطق.. لكي يسقط المطر.. لا بد من وجود ظروف مناسبة لسقوطه.. منها درجة الحرارة.. هذا يعني أن الزراعة وكثافة الغطاء النباتي مطلب مهم في هذه المناطق.. لتوفير ظروف مناسبة لسقوط المطر.. وزارة الزراعة تتجاهل هذه الحقائق.. لم تعمل على المحافظة على النظم الزراعية التقليدية.. ولم تساهم في تنمية زراعة هذه المناطق طيلة العقود الأربعة الماضية.. وتجاهلت حتى الغابات.. ثم نتساءل: لماذا جف قطر السماء؟!

وفي محور آخر مهم.. نطرح أبعاد خطورة التناقض الذي تمارسه وزارة الزراعة.. إذا كان الحفاظ على المياه الجوفية هو سبب منع زراعة القمح كما تبرّر وزارة الزراعة.. فلماذا التوسّع في زراعات أخرى؟!..

لماذا نصدّر المنتجات الزراعية إلى الخارج؟!.. ولماذا يزداد استنزاف المياه الجوفية سنة بعد أخرى.. حتى وصل إلى أكثر من (20) مليار متر مكعب سنويًّا؟!

أسئلة مشروعة.. تهدف إلى حماية المياه الجوفية.. خاصة المياه غير المتجددة في مناطق الصخور الرسوبية.. الوعاء الحامل لهذه المياه المخزونة من فترات العصور المطيرة.. وكانت المياه الجوفية بحيرات تحت الأرض.. استنزفتها زراعة القمح المكثفة في سنوات قليلة.. بجانب الزراعات العشوائية الأخرى.. كل ذلك نتيجة لقبضة الأطماع والجشع والثراء السريع.. قادنا هذا إلى مرحلة قياسية من فحولة التخبط.. وصل إنتاج القمح إلى أربعة ملايين طن.. في الوقت الذي كان الاستهلاك المحلي أقل من مليون طن.. فهل هذا تصرُّف رشيد؟!

التوسعات الزراعية الأخرى تؤكد أن منع زراعة القمح بهذا الشكل يدلّ أيضًا على استمرار التخبُّط. ...

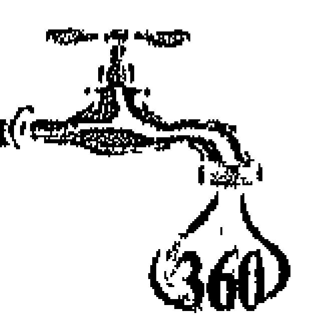
90

نكتب العنوان باللغة الإنجليزية.. (عسى) أن تكون ثقافتهم إنجليزية.. يفهمون.. يدركون.. يفكرون باللغة الإنجليزية.. يمكن.. ونحن لا ندري.. علّهم يتفاعلون.. نريد إزاحة الغموض.. عن مواقع الأسئلة.. عن سراديب التعجب.. عن واحة الأحساء الشهيرة.. في قلب الصحراء.. لها مساحة.. ذات حجم تاريخي.. ينبض بالحياة.. عصور تعاقبت.. ظلّت حيّة.. السرّ في استمرار حياة نخلها.

نخلة تحكي للأجيال قصّة حياتها.. مع الماء.. مع الإنسان.. مع المناخ.. مع الأرض.. هل تتوقف الحكاية؟!.. جاءت معايير جديدة.. وصلت الواحة إلى مرحلة تنذر بالخطر.. هوية الأشياء بالعملة.. بالقياس المتري.. حتى أبعاد الأشياء كانت معنوية.. تفوق كل الأثمان.

واحة.. أصبحت تقاس بالمساحة.. اندثرت المكانة المعنوية.. ننظر إليها بمساحتها.. (8000) هكتار.. جعلوا (الهكتار) (10000) متر مربع.. تحولت قيمتها إلى شيء يمكن قياسه.. يمكن السطو عليه.. يمكن تآكله والقضاء عليه.. يمكن تحويله إلى سلعة.. يمكن أن يتحول إلى خرابة.

حتى الإهمال جزء من السطو.. كانت واحة الأحساء حضارة زراعية ومائية.. تفاعل معها الإنسان.. استوطنها.. فضّلها عن غيرها.. تجود بالماء الغزير.. يأتي إلى سطح الارض حُرّاً.. طليقاً.. عذباً.. الماء واهب العطايا.. الماء مبدع الحضارات.. الماء من يحدد المصير.



هكذا كانت الواحة.. بحيرة ماء.. ينابيع من جوف الأرض.. تحمل دفئها.. تشكل لوحة حياتها.. تحيط بها بحار الرمال.. تنتظر الزحف لطمرها.. لكن هذا الطّمر.. وبصورة غير متوقعة.. جاء من الإنسان.

استنزفوا الماء.. أهدروا الماء.. أساؤوا استخدام الماء.. لوثوا الماء.. أخيراً نضب الماء.. مع هذه الأوضاع.. نتساءل عن حال الواحة.. نسأل ما مصيرها مستقبلاً؟!.. أسئلة تطفو في سمائها المبتلّة.. بدموع تاريخ مضى.. أسئلة تعطي إجابات.. بلون لم يحدد بعد.

كاتبكم يبحث في خفايا الأوضاع.. لتحديد هذا اللون.. هناك مؤشرات نشاهدها في الواحة.. نقرأ المؤشرات بعناية.. ومع مزيج أوجاعنا بوضع حالها.. يتكون اللون.. لا يصعب وصفه باللغة العربية.. لكن هي الحظوظ.. أظهرت رسم الوصف.. بتلك العبارات في العنوان.. (Save Alhassa Oasis).

رسم.. لكنه رمز يعبر عن حالة.. لا تحتاج إلى شرح.. هي الرواية بحذافيرها.. ماذا تعني لكم؟!.. كانت وستظل وشماً.. يشهد حتى على اعوجاج اللسان العربي.. في إنسانه العربي.

تسألون.. كيف تفتق الذهن بتلك العبارة.. لم يخترعها أحد من قبلي عن الواحة.. ولن يتبنّاها أحد من بعدي لمصلحة الواحة.. عبارة لها قصة.. لها رقصة ألم.. مشابهة لقصة حياتي التي أحمل.. قصةّ حياتي مضت نحو الأحسن والأفضل.. أمّا الجسم فسيعود منكسراً إلى الطّين.

حياة الواحة الزراعية.. تمضي إلى وضع.. لا أود البوح بوصفه.. أتركه لأهل الاهتمام والغيرة.. كنت أدرس في (اسكتلندا) العريقة.. لتحقيق متطلبات درجة الدكتوراه.. كان موضوعها عن واحة الأحساء الزراعية.. عن مياه الواحة.. هموم واحة الأحساء المائية والزراعية.. سرت في دمي.. التحفت معاناتها.. حملت همّها.. فكانت تلك العبارة.. أتت مع بداية التسعينيات من القرن الماضي.

في إحدى ليالي (اسكتلندا) الممطرة والباردة.. أنجبت الفكرة بهدوء.. كنت أشاهد صورة.. لمنظر مألوف من واحة الأحساء.. نخل ميّت.. واقف بشكل منكسر نحو الأرض.. كان جزءاً من تشكيل عنفوان النخل الأخضر.. شامخ في الفضاء.. أصبح ميّتاً.. بسعف متهدل جاف.. بجذوع سميكة.. متصدعة.. تميل حزناً بقاماتها نحو الأرض.. حولها فسائل جاثمة فوق الأرض الجافة.. صغار نخل يابس.. ميّت.. رمز لتقاعس الإنسان.. خان الأمانة.. يحمل إعاقة.. تخلى عن مسئوليته.. خر أسيراً في قبضة المغريات.

صورة تحمل مشهداً.. التقطته عدسة قلبي قبل (كامرتي).. مشهد يمثل مجزرة لنخل مظلوم.. كان يحمل التاريخ ويتطلع إلى المستقبل.. كان عابراً فضاء الأرض حوله.. كان الإنسان يساند.. بالغرس.. بالعناية.. بالحماية.. بالرعاية.. وجاء العطش.. عطش النفس للمال.. وعطش النخل للماء.. جاء زمن تضارب المصالح.. وتعارض أهداف الرجال.

نضب الماء.. جفت الجذور.. نتاج إهمال.. وسوء تصرف.. بدأت الحياة تتوقف.. زحف بطيء نحو الاندثار.. مؤشر تتعامى عنه الأبصار.. ينبئ بوضع أسود قادم.. حاجة الواحة ملحة.. حاجتها إلى إنسان يدرك المعاناة.. يدرك قيمة الواحة.. يدرك عمق تاريخها.. الواقع يحتاج إلى إنسان يدرك أن مستقبله في واحته.. يستشعر أهمية استمرار عرش واحته الزراعية.. تاج رأسه.. وتاج رفات أجداده.. وتاج حقائق قوة بقاء أجياله.

صورة ما زلت أحتفظ بها في رأسي.. قبل ملفاتي الورقية.. صورة تنطق بما لا يقال.. تغني عن ألف كلمة.. تعبر عن واقع.. تدين واقعاً.. ترسم ملامح مستقبل أسود.. كيف يموت النخل وإنسانه حوله؟!.. ويستمر الحديث عن الصورة بعنوان آخر. ...

91

♦ حملت الصورة بيدي.. وبكل حزن وأسى.. فحصتها روحًا ورؤية.. قرأت مستقبلها.. غموض يكتنف واحة الأحساء.. حلمت.. تطلعت.. تخيّلت.. عشت الصراع ونقيضه.. قرّرت طبع الصورة على قميص ألبسه.. وفي أزقة الحلّ والترحال أطوف به.. أريده قميصًا محفزًا.. لا يُعطي دلالة قميص يوسف.. وقميص عثمان.. ثم إلى محل مختص.. لتنفيذ الحلم.. طلبت طبع الصورة على القميص.. مع كتابة العبارة التالية: (Save Alhassa Oasis).

♦ في نهاية المشهد.. قررت إرسال نسخة من القميص إلى معالي الدكتور غازي القصيبي (رحمه الله).. سفير خادم الحرمين الشريفين في (لندن).. تزوّدت بأكثر من قميص.. لتوسعة مجال التأثير.

♦ كنت أحلم.. أردّد كلمات [مارتن لوثر كينج]: (I have a dreem).. لم أجد ما يقابلها بالعربي غير مقولة: (إننا عائدون).. لمن لا يعرفه.. زعيم أمريكي.. جذوره إفريقية.. كان يطالب بإنهاء التمييز العنصري.. أصغر مَن حاز على جائزة نوبل للسلام.. اغتالوه عام (1964).. كان يدعو إلى الحرية وحقوق الإنسان.. دعا إلى تحكيم أخلاق النفوس وليس ألوان الجلود.

♦ ولمن لا يعرف (إننا عائدون).. صوت اللاجئ الفلسطيني في خيام العار والذل العربية.. من خلال المذياع.. كانوا يبثون سلامهم وتحياتهم عبر

الأثير.. وقد تناثر الشمل في كل اتجاه.. يختمون حديثهم موجّهين الحديث لأقاربهم في الأماكن البعيدة.. قائلين: [طمئنونا عنكم.. إننا عائدون].

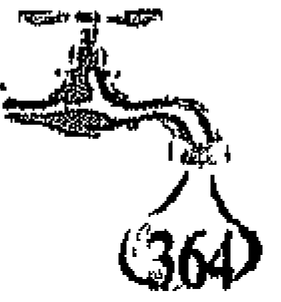
تحقق حلم (مارتن).. ولم يتحقق حلم (اللاجئ) الفلسطيني.. تم اغتيال قضيته وحقوقه بمعاهدة السلام.. ليتحقق المزيد من القتل والتشرذم.. والظلم العالمي لأهل فلسطين.

نعود إلى قميص الغامدي.. قميص الواحة.. سهل الحمل.. سريع الغسل.. لمّاح.. يمكن تعليقه على الحائط كزينة وتذكار.. يمكن حبسه في صندوق.. وتعليقه في مستودع الملابس البالية.. يمكن أن يكون دليلًا للإدانة.. المهم أن تدوم نعمة التواصل مع الواحة.. من خلال ما يحمل من رسالة.. المهم أن يستطيع الآخرون قراءة الرسالة.. بهدف فهمها والتفاعل معها.. وتبنّي قضيتها.. اقتناعًا بأهميتها في الحياة.

ذهبت لأستلم القميص.. فكانت أول الأفراح أخلاقًا تؤمن بأهمية الحفاظ على البيئة.. رفض المحل استلام أجرة العمل.. قال: مشاركة من المحل في إنقاذ هذه الواحة.. كان متألمًا.. بشعور متعاطف.. شكرني على هذا العمل.

فرحت بهذا الشعور.. زادت مساحة فرحي توهجًا.. ليس لأنه وفّر على كاتبكم دفع التكلفة المالية.. فلي حق الفرح كـ(غامدي).. ولكن فرحت بموقف الرجل (الاسكتلندي).. كان لتفاعله قوة تأثير زادت من إيماني بقضيتي حول واحة الأحساء.. تفاعله عزز قوة مشاعري نحو الواحة.. وأيضًا عزز في نفسي حمل قضية الواحة.. عزز استدامة التفاؤل.. شكرته ومضيت إلى مكتبي.. أيقنت بأن الحقيقة أمامي.. يجب قطفها.. يجب توزيعها على الجميع.. أولهم معالي السفير.

أرفقت بالقميص رسالة بخط يدي.. خط يمثل صاحبه.. تراني في كل حرف.. وتشعر بدمي في مداد كل كلمة.. أخبرت معاليه بقصة وجودي في (اسكتلندا).. رسمت له خارطة طريقي.. حدّدت له تاريخ عودتي إلى



المملكة.. الأهم.. عتابي لمعاليه.. لعدم تناوله المياه في قصائده الشعرية.

طلبت منه المشاركة.. فالعرب يفهمون الشعر ورموزه أكثر من أي شيء آخر.. وقد تغنوا عبر التاريخ بهذه الواحة ومائها.. ما زالوا يتخيلونها كذلك.. ولكن الشعراء يقولون ما لا يفعلون.. وهكذا هم العرب جميعًا شعراء.. لدعوتي ما يبررها.. دعوته إلى قول ما تيسّر من أبيات الشعر.. لتحريك شعائر الحفاظ على الماء قبل النضوب.

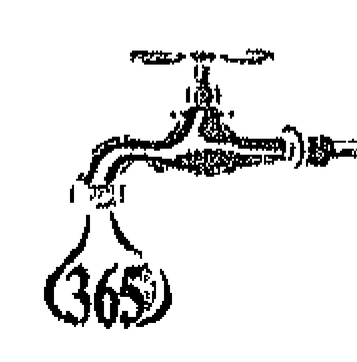
ولكن ماذا تعني لكم كلمة (save)؟!.. هناك معانٍ كثيرة منها: [ينقذ.. يصون.. يدّخر.. يجنّب.. يوفر.. يحافظ.. يقتصد].. اختاروا ما تشتهون.. اختاروا ما يروق لكم من طابور المعاني أمامكم.

وبالنسبة لكاتبكم.. وضعت كل هذه الكلمات في خلاط عربي.. حشرت الكلمات بشكل عشوائي.. بدون تقطيع وتقشير.. حرّكت أنامل المشاعر والعواطف العربية.. وكان النتاج خلطة تعني (save).. هل فهمتم شيئًا؟!

شربت عصير الخلطة.. فأصبحت صاحب قضية.. كنتيجة أنهيت دراستي بنجاح.. حسدني عليه البعض.. وما زال حسدهم يسري.. حزمت نفسي في أكوام ذاكرتي وذكرياتي.. غادرت (اسكتلندا) متجهًا إلى (لندن).. راجيًا إنهاء أوراق العودة.

دخلت الملحقية من بابها الرسمي.. فجأة هبّ الجميع يتساءلون: هل أنت (محمد الغامدي).. كان الجميع في انتظاري يترقب الوصول.. لم يتركوا لي مجالًا للدهشة والتساؤل.

فجأة طلع أمامي الأستاذ القدير (عبد الله الناصر).. الملحق التعليمي في ذلك الوقت وعضو مجلس الشورى حاليًا.. قال هناك سيارة تنتظرك.. عليك الذهاب فورًا لمقابلة السفير قبل مغادرته.. ثم قال: أرجو ألا يكون قد غادر.. ويستمر الحديث عن القميص بعنوان آخر. ...



92

ذهبت إلى السفارة.. لم أجد السفير.. غادر قبل وصولي بدقائق.. كانوا يحاولون (مهاتفتي) منذ يومين.. لم ينجحوا.. كان التليفون خارج الخدمة.. متطلبات إبراء الذمة.. لمغادرتي النهائية لـ(اسكتلندا).. استقبلتني الموظفة.. استقبالاً ما زال في الذاكرة.. تملّكها شيء أشبه بالخوف والرهبة والرعب.. رجتني أن أنتظر.. السفير سيعود بعد ساعات.. حددتها.. كانت مرتبكة.. قلقة.

رجتني إبلاغ السفير بقصة التليفون.. فشل الاتصال ليس إهمالاً.. لكنه حقيقة.. خارج عن إرادة الموظفة.. شكرتها.. اعتذرت.. توهّج ارتباكها يدلّ على الانضباط.. هذا تميّز السفير.. دقته في إدارة الوقت.. أحد أسرار نجاحه.. عبر تاريخ حياته الحافل بالكثير من الإنجازات.

رجوت الموظفة تسليم السفير (غازي القصيبي) نسخة من رسالة الدكتوراه.. رجعت إلى الملحقية.. إلى سعادة الأستاذ القدير (عبد الله الناصر).. صاحب الجهد والفضل في تذليل العقبات أمام المبتعثين.. ومعه في مكتبه.. اتضحت كل خطوط الحكاية.

عُدت إلى المملكة دون مقابلة السفير.. وكسبت مقابلة سعادة الملحق الثقافي لأول مرة.. مقابلة أسَّست لعلاقة تقدير ومحبة..

أحفظها لسعادته حتى اليوم.. وكنت أعرفه عبر الرسائل.. ومكالمات التليفون أثناء الدراسة.

وصلت إلى الأحساء مع بداية التسعينيات من القرن الماضي حاملاً لواء الدفاع عن المياه الجوفية.. ليس في واحة الأحساء فقط.. لكن في كل أرجاء المملكة.. منها قريتي.. غبت عنها أكثر من عقدين في حينه.

وفي زمن وهج الحماس والتطلعات.. والأحلام الواسعة.. بدأت الكتابة عن المياه الجوفية.

مررت على الواحة ساعة وصولي.. لم أسألها: [هل في المصلّى أو المحراب مروان]؟!.. أخبرتها بعودتي.. ومن رؤيتها زادت طاقة التحفيز.. وجدتها في وضع أسوأ.. نخل مهمل وبكثرة.. نخل ميت يابس وبكثرة.. نخل شاحب اللون ينتظر الموت.. ونخل باسق له أهل يعتنون.. خليط من كل شيء.. حتى البشر حول النخل.. من كل جنس ولون.

أشياء أخرى تغيّرت.. تحوّلات تعيشها الأرض بما تحمل.. وظل الطين والنخلة ثنائيًّا ينتظر الماء.. يشكّلان لوحة المكان والفراغ.. حتى بيوت (المدر).. تحوّلت إلى بيوت (خرسانية).. تزيد من غربة النخل في أرضه.

مع الزمن المتغيّر السريع.. فقد الناس توازن الخطوة.. أصبح الناس لا ينتمون لشجر النخل العريق.. شجر البيئة الجافة والحارة.. أصبح انتماؤهم لقيمة التراب الذي تحوّل إلى تبر تفوح منه رائحة الغنى والثراء.. المال يخدع الأبصار.. غلاء الأرض يُقاس بالمتر المربع.. وليس بعدد ما تحمله من نخل وزرع.

أصبح ثمن المتر يزيد على (1000) ريال.. هناك حُزم من

الأسباب.. بروائح المشكلات.. تسوق الإنسان سوقًا إلى التفريط والتغاضي.. ونحر البيئة.. قرى كثيرة منتشرة داخل الواحة.. الأهالي يتكاثرون.. تزيد حاجتهم إلى المزيد من المساكن.. النخل يحتل الأرض حول القرى.. وكنتيجة لنقص الأرض السكنية.. أصبح سعر المتر المربع في القرية يفوق سعره في المدن.

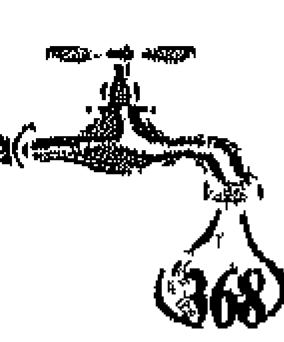
معادلة مقلوبة.. لا تجدها إلا في الأحساء.. الإنسان المرتبط بالقرية لا يريد الفكاك من أسرها.. وكيف له ذلك؟!.. كل مَن في القرية أهله وذكرياته.. هل يستطيع الإنسان التخلّي عن تاريخ أهله؟!.. لنقل: هل هناك بديل متاح؟!

أيقنت أن الواحة إلى الزوال.. في ظل المشكلات وتوجّهاتها.. أيقنت أن الواحة تحتاج إلى دراسات خاصة؛ لتشخيص المشكلات وتحديد الاحتياجات.. أيقنت أن الواحة بحاجة إلى خارطة تنمية خاصة.. تراعي جميع الجوانب.. أيقنت أن الواحة لا يمكن أن تستمرَّ إلا في وجود حماية ورعاية وتنمية.. أيقنت أن الواحة بحاجةٍ إلى أن تكون (محمية زراعية).

موروث حضاري وإنساني يجب حمايته.. يجب ألا يندثر ويختفي من الوجود.. وفي غياب الرؤية الصحيحة.. والبحث العلمي.. كل شيء يمكن أن يكون.. خاصة في ظل الطمع والجشع والفساد والإفساد.. بجانب الجهل بنتائج التصرّفات المضرة.. التي لا تظهر إلا في وقت متأخر.

إذا فات الفوت ما ينفع الصوت.. هكذا قالت العرب بعضها لبعض قبل حضارة النفط.

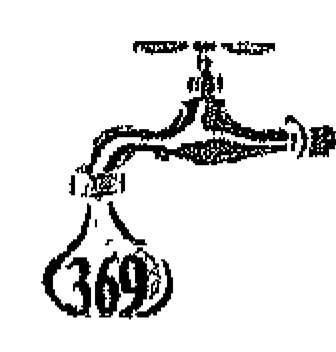
المبادرات الشخصية ليست حلًّا.. لا يمكن لها الاستمرار.. تنتهي بنهاية أصحابها.. تبقى وزارة الزراعة المسؤولة عن الواحة.. المسؤولة



عن جميع المناطق الزراعية التقليدية في المملكة.. وقد سمحت بتحويل المزارع إلى مرافق أخرى ليس لها علاقة بالزراعة.

وسط هذا الحراك.. تمّ تتويج الشاعر (غازي القصيبي) وزيرًا للمياه.. وكنت أطالبه فقط بنظم بعض الأبيات عن الماء.. هل ارتدى قبعة الحفاظ على المياه الجوفية.

هل تحلّى بلبس قميص: (Save Alhassa Oasis)؟!.. قميص يحمل صورة النخل الذي هلك عطشًا؟!.. فرحت.. لكن.. هل تجري الرياح بما تشتهي السفن؟!.. ويستمر الحديث بعنوان آخر. ...



93

أصبح (غازي القصيبي) وزيرًا للمياه.. وقتها هاتفني الأستاذ (عبد الله الناصر).. طلب زيارة معاليه.. وتقديم نفسي وخبرتي وعلمي.. حثّني على التعاون.. طالبًا الوقوف بجانبه.. شجّع بالكثير من الكلام الطيّب.. كنت في أخذ وردّ.. هل يتحقق ذلك؟!.. هل الأمنية بالعمل مع الوزير تحققت هي الأخرى؟!

كنت أتمنّى العمل برفقته.. حتى قبل تخرّجي في الجامعة.. كنت وما زلت وسأظل معجبًا بقدرات هذا الوزير المبدع.. معجبًا بالجوانب الإنسانية في شخصه.. لمستها وعشتها وقرأتها في مواقفه وشعره وأعماله وإنجازاته.. أقنعت نفسي عبر مراحل مختلفة.. هو الرجل المناسب للمهام الوزارية.. حتى بيت الشعر الذي ينسج.. يُعطي نتائج مؤثرة.. يمنح بُعدًا مفيدًا.. فكيف وقد أصبح وزيرًا للمياه؟!

هكذا كنت أمنّي النفس بسلسلة من حلقات الأمل.. ليس لها نهايات.. هل أرسله الله ليتم إنجاز أمل رؤيتي عن المياه الجوفية؟!.. رؤية لمصلحة الوطن وأجياله القادمة.

فرحتُ.. ابتهجتُ بمكالمة الملحق التعليمي بـ(لندن).. لكن المكالمة من جانب آخر بعثرت كل الأوراق.. حين قال: أعطيت اسمك معالي الوزير.. انتهت المكالمة.

بقي وقع الكلمات يتردّد.. شغلت عقلي بشكل قوي.. دارت رحى الكلمات ساعات وأيامًا.. كنتيجة، قرّرت الإحجام عن زيارة الوزير.. وعن

الاتصال.. قلت: اسمي في أوراقه الشخصية.. هذا يكفي.. قلت: إن رأى معاليه أن الاتصال ضرورة.. فأنا جاهز.. يعرف اهتمامي بالمياه الجوفية.

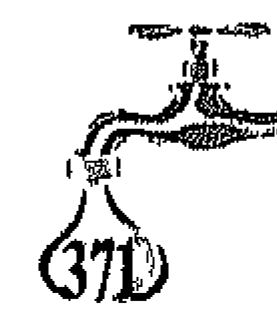
• تعزز جسم القرار بالكثير من الشواهد.. أحد الزملاء أيضًا.. أخبرني بأن السفير ذكر اسمي.. في إحدى زياراته إلى (لندن).. حيث دار حديثهما عن المياه.. كل ذلك قبل أن يصبح وزيرًا لهذه المياه.. ربما يقرأ هذا الزميل هذه الكلمات.. أشكره على روايته.. لكنها أصبحت جزءًا من مسببات الإحجام.

• قد يسأل البعض عن سر اهتمام الأستاذ (عبد الله الناصر)؟!.. وعن أسباب اتصاله؟!.. لا علاقة شخصية سابقة.. لكنها روح المسؤولية.. ودقة المتابعة وحفظ الحقوق.. كان متابعًا لدراستي العليا.. ذلك بحُكم منصبه كملحق تعليمي.. لا بد أنه عرف من خلال التقارير الدراسية التي كانت تصل إليه من الجامعة.. ما جعله يزوّد السفير باسمي.. وكما قال.. كان ذلك بناء على طلب معالي الوزير.. طلب تزويده بأسماء الذين كانت دراستهم تدور حول محور الماء في المملكة.

• تجذّر الاسم من خلال خطابات الشكر.. أستلمها مع نهاية كل فصل دراسي.. وطيلة سنوات البعثة.. وأيضًا مكافأة مالية مع كل خطاب شكر.. نتيجة التفوّق.. تقدير ممتاز.. هذا تفسيري الشخصي لاهتمام الملحق التعليمي.

• كل إنجاز خلال البعثة ثمرة فخر هذا المسؤول.. ونجاح أي مبتعث هو نجاح لمهامه.. ما زلت أحتفظ بحزمة خطابات الشكر التي استلمتها من الملحقية.. أفتخر بتعدّدها.. أفتخر بما تحقق.. سبق أن قلت: [حرف (د) إنجاز دولة وعطاء علم].. هذا بجانب متابعته ما أكتب عن المياه الجوفية.. اتصاله ذلك يعبّر عن شيم المسؤولية والافتخار بالإنجاز.

• هذا ليس من باب الفخر فقط.. لكن خطابات الشكر تلك.. شكّلت مصدر قوة وإلهام وحماس.. أصبحت أداة لتعزيز تطلعاتي العلمية لخدمة الوطن.. كل ذلك بفضل مسؤول.. النجاح يولّد النجاح.



انتظرت شهورًا.. لم تأت مكالمة الوزير.. لم يصل خطابه.. دارت معارك التردّد داخل النفس.. هل أتقدّم بنفسي وهمّي الذي أحمل إلى وزير المياه الجديد؟!

القناعة زادت.. عندما رأيت الجميع يتهاوى.. ليدّعي أن تخصّصه في مجال المياه.. الكل أصبح أمام الوزير خبير ماء.

أيقنت أن هناك إسفافًا وشغفًا بالظهور الشخصي.. زادني الحراك المريض حماسًا وإصرارًا على استمرار الإحجام.. فضّلت البقاء في جامعتي وبين طلابي.. فضلت عدم الركض مع الراكضين.

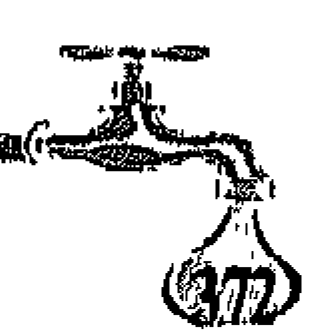
يجب السعي نحو الأكاديمي وليس العكس.. عندما تصبح الأمور معكوسة.. تتيه نزاهة البعض.. كنتيجة، يتأثر الوطن ومصالحه سلبًا.

لكي أقنع نفسي بمبررات عدم اتصال الوزير.. استعرضت الكثير من الاحتمالات.. في نهاية المطاف.. أيقنت أن معاليه لم يجد الماء الذي أصبح له وزيرًا.. كنتيجة أحجم هو عن دعوتي.

رضيت بهذا التبرير الشخصي.. لم يعُد لشخصي ضرورة.. لم تعُد هناك مياه جوفية للخوض في بحورها.. هل أتى الوزير في وقت متأخر؟!

أخيرًا تبدّد الأمل بشكله النهائي عندما صرّح معاليه: التحلية خيار استراتيجي لمواجهة متطلبات المياه.. كنتيجة، شرعت في الإبحار بعيدًا عن كل التطلعات والأحلام التي كنت أنسجها.

أصبح الوزير الجديد في فلك مسار السابقين.. تناقضات الحسابات زادت من إيماني بقضيتي في الدفاع عن المياه الجوفية.. بقيت واحة الأحساء واقفة بجانبي.. ننتظر القادم.. بعد أن فقدت المياه الجوفية الاهتمام المستحق.. ويستمر الحديث بعنوان آخر. ...



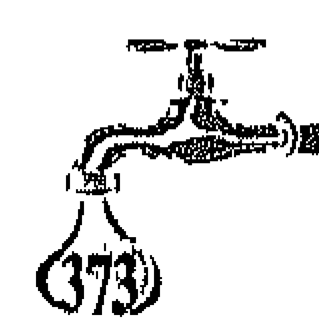
94

● بعد استكمال رسم وجه الحقيقة.. جال بخاطري نزاعات شخصية، كان بجانبها ملامح نزعات.. بعضها يُغري بالاستمرار دفاعًا عن المياه الجوفية.. بعضها يقود إلى ظلام الإحجام.. وتهلكة السكون.. وقد أعلن وزير المياه (غازي القصيبي): تحلية البحر خيار استراتيجي.. لم يأتِ بجديد.. كل الوزراء الذين مرّوا على شأن المياه.. كان لهم نفس النتائج والقرار.. وهذا يعني أن المياه الجوفية شيء مغيّب ومستباح.. لا حسيب ولا رقيب.. لا حامي ولا راعي.. ما زال الوضع قائمًا.. وسيظل.. في ظل مؤشرات واقع الوزارات المعنية.

● يحفرون الأرض.. بحثًا عن المياه الجوفية.. يأتون بأعتى المضخات العالمية العملاقة.. يمارسون الاستنزاف.. كما يشاؤون.. وفق ما يرسمون.. فوق هذا يتم دعمهم ومساندتهم وتشجيعهم.. ويتم منحهم نصف ثمن المضخات الجبّارة.. مهما بلغ ثمنها وبأسها.. لهم أيضًا شراء ما يشاؤون منها.

● وزارات تدفع دون مساءلة.. هل بعد هذا حماس للدفاع عن شيء أصبح مستباحًا؟!.. لماذا ندّعي أن للمياه وزارة؟!.. وهناك وزارة زراعة لا نعرف لها رؤية.. غير التوسُّع العشوائي على حساب المياه الجوفية.

● بالعودة إلى قناعات الوزراء.. أصحاب الشأن.. تفسير قناعتهم..



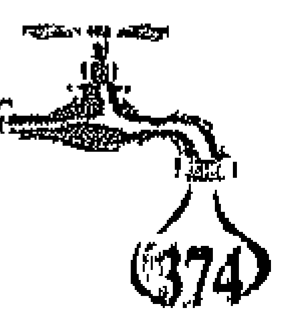
يأخذ اتجاهات وتشعّبات.. جميعها تقود إلى التيه في يوم شمسه طالعة.. تمّ الإعلان عن الضياع بالممارسات.. هناك مَن ينحتُ الضياع.. هكذا الوزارات المعنية.. تقود البلد والأمة إلى الجفاف والعطش.. وقد تأثر كاتبكم بضربة شمس الحقائق.. كنتيجة، هل أصبح في نظرهم (يغرّد) خارج السرب؟!.. هل اعتبروه (يهذي) بشيء خارج المألوف؟!

نحن قوم لا نرى إلّا ما نريد رؤيته.. عندما تتشكّل القناعة حول محور محدّد.. فهذا يعني القضاء على كل شيء آخر ينافس.. يعارض.. لا يتفق.. لا يروق.. أو لا يطبّل.. هنا تكمن خطورة القرار.

الكثير من نتائجه لا تظهر تأثيراتها الضارة.. إلّا في مراحل متأخرة.. عندما تكون قد بلغت شأنًا.. لا يمكن معه فعل أي شيء.. أو إنقاذ أي شيء.. تعامٍ وتجاهل وعشوائية.. هذا ما جرى ويجري مع المياه الجوفية.

هناك أشياء غير الإنسان على ثرى هذه الأرض بحاجة إلى المياه الجوفية.. هي جزء أساسي لاستمرار الحياة في المملكة.. كنت أعتقد.. بوجود فرصة متاحة لكل شخص.. يملك رؤية لمصلحة مياه البلد الجوفية.. لكن وجدت البعض يستأثر بكل شيء.. يضع الوطن ومصالحه أمام خيار واحد.. ثم يتم تعظيم كل شيء حول هذا الخيار.. ويأتي من (ينقع) الزير.. و(يضرب) بالكف الطبول.. تشجيعًا ومباركة.. جهلًا.. أو تداخل مصالح.. أو كليهما، ثم عنوة.. يتم حجب كل شيء آخر.. هذه معضلة.. يجب بترها والتخلص منها.

يجب رصد كل الأفكار المفيدة.. وكل رؤية جادّة.. يجب إعطاء الفرصة لتجريب الأفكار.. خاصة عندما تأتي من علماء شباب يحملون همًّا وطنيًّا.. وفي كل الأحوال.. لا بد من تشكيل فرق عمل من كل التخصُّصات ذات العلاقة.. حتى تكتمل الصورة للجميع.. فكل



تخصّص ينظر من زاوية.. إلى أن تظهر كل الزوايا بشكل سليم.. عندها يمكن أن نثق في تنفيذ ما ينفع.. ويذهب الزبد الذي لاً ينفع.

هكذا دخل الوزير المتاهة من أوسع أبوابها.. ربما بفعل الفاعلين.. إن تجاهل صوت الدماء الشابة لطمة ليس لها ضرورة.. وكنت يومًا أحمل هذه الدّماء.

واليوم أنظر إلى الوراء.. لأجد أن أكبر إنجازاتي هو طرح الرأي.. كنت وما زلت الوحيد الذي يسمعه أيضًا.. ولكن هناك أجيالاً قادمة من العلماء.. يجب أن تكون لهم بصمة.. تجاهلهم نوع من الفساد.

الماء أيها السادة ليس للشرب فقط.. نتفهّم أن تكون مياه التحلية خيارًا استراتيجيًّا لتأمين مياه الشرب للبشر.. لكنها ليست الخيار الاستراتيجي المناسب لما عداه.. الخيار الاستراتيجي على المدى الطويل يكمن في قطرات المطر.. يجب علينا توظيف كل قطرة ماء هاطلة من السماء.

ومن العجائب المحزنة أن تضيع مياه الأمطار بدون فائدة.. ومن المصائب أن نعمل عن قصد.. وبطرق هندسية.. للتخلص من مياه الأمطار ورميها في البحار.. أو تبخيرها خلف جدران السدود.. هذه (طامة) لا يلتفت إليها أحد.. هذه نعمة تُهدر وبشكل قاس.

الأجيال القادمة ستدفع ثمن التصرُّفات الرعناء مع مياه الأمطار.. ولكن كيف يهتمون بمياه الأمطار وهم يستنزفون المياه الجوفية بشكل جائر؟!.. ويمارسون دفن البحار؟!.. ويخربون البيئة ويفسدونها؟!

تهدّمت النظم المائية والزراعية التقليدية أمام أعيننا.. وتلك شواهد مقدّمة التصحر القادم.. الجميع غير مكترث بالنتائج الوخيمة.. البعض لا يذرف الدمع.. لأنه لا يرى المستقبل. ....

الكاتب في سطور

د. محمد حامد الغامدي

- عضو هيئة التدريس .. كلية العلوم الزراعية والأغذية.. جامعة الملك فيصل
- ماجستير .. جامعة جنوب الينوي .. أمريكا.
- دكتوراه .. جامعة استراث كلايد ..اسكتلندا.
- في جامعة الملك فيصل كان:
  - o عضوا في مجلس الجامعة.
  - o عميدا لشئون الطلاب.
  - o رئيسا لمجلس إدارة صندوق الطلاب.
  - o مديرا لمحطة التدريب والأبحاث الزراعية والبيطرية.
  - o رئيسا لقسم الاقتصاد والإرشاد الزراعي.
  - o عضو مجلس كلية العلوم الزراعية والأغذية.
  - o مديرا لمركز خدمة المجتمع.
  - o رئيسا للوحدة الارشادية الزراعية بالكلية.
- له العديد من الابحاث العلمية.
- له العديد من المقالات العلمية في الصحف والمجلات.
- له العديد من الكتب الادبية والمذكرات العلمية.
- كاتب رأي في جريدة اليوم بالمنطقة الشرقية.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية.
- له كتابان : (زمان الصمت).. (التفاؤل هذا الوطن).

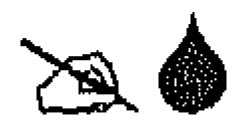
<u>للتواصل مع المؤلف</u>

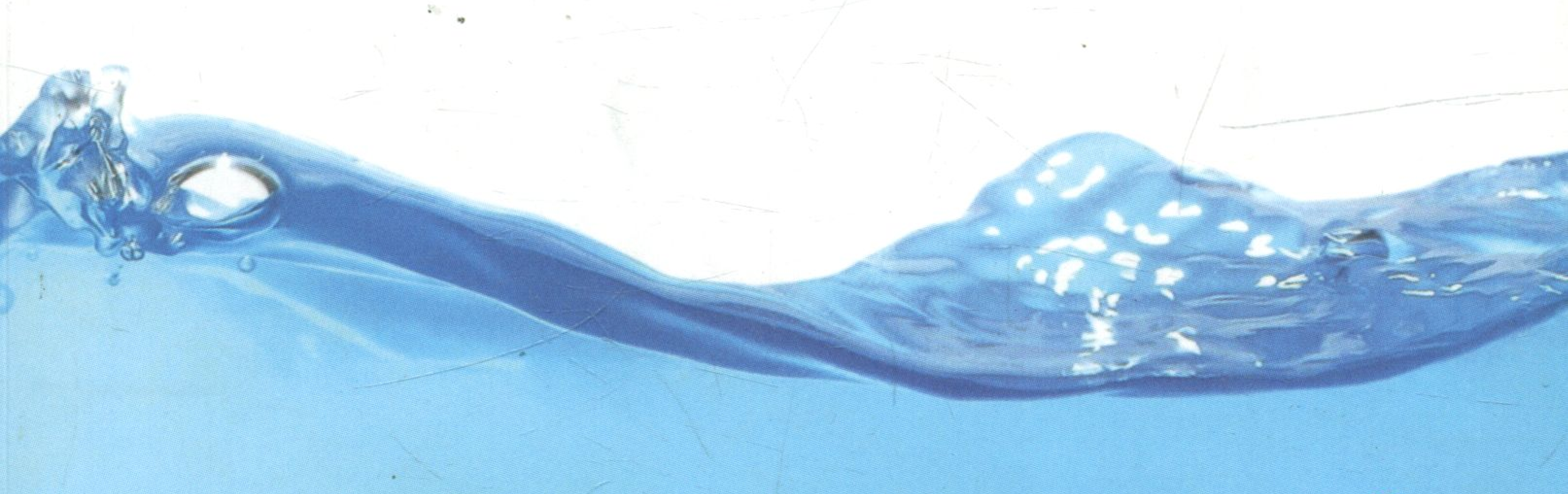
twitter@DrAlghamdiMH

mgh7m@yahoo.com

النهاية

✍ اللهم إني بلغت.. اللهم فاشهد





د.محمد بن حامد الغامدي

تشبّعي بقضية المياه الجوفية.. فجّر الرّؤى والأفكار..
متدفقة لا تتوقف.. زخم أعطى قوة استمرار الكفاح
عنها طوال ثلاثة عقود مضت.. و مازالت.. تميزت
بالدقة.. والمصداقية.. وشجاعة الطرح وشفافيته..
الكتاب يحوي موضوعات أشبه بالمرافعات القوية
والصادقة.. بطرحها.. مع غيرها.. أمام النّاس.. وخلال
تلك السنوات.. أثارت الكثير من الدهشة.. والقلق..
والتساؤلات.. والاهتمام.. وجدل الصدمة.




9786038000731


دار الكفاح للنشر و التوزيع
AL - KIFAH PUBLISHING HOUSE